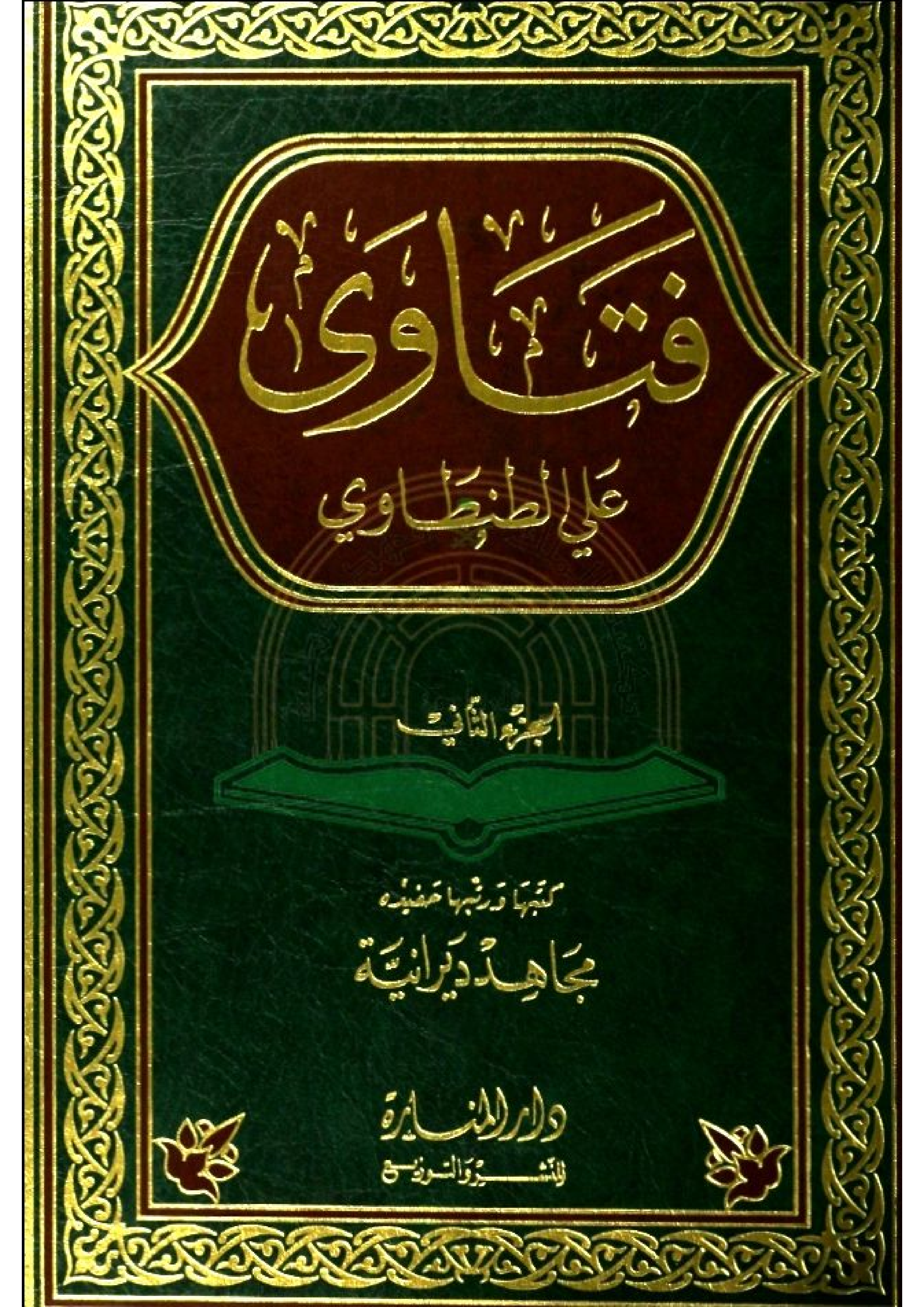


فتاوى
علي الطنطاوي
الجزء الثاني
كتبها ورتبها حفيده
مجاهد ديرانية
دار المنارة
للنشر والتوزيع



فتاوى

علي الطنطاوي


بسم الله الرحمن الرحيم
الرياض
١٤١٠



علي الطنطاوي



الجزء الثاني

كتبها ورتبها حفيده

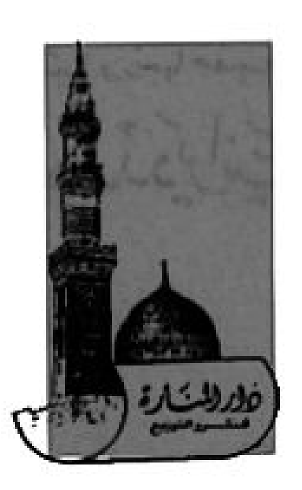
مجاهد ديرانية

دار المنارة
للنشر والتوزيع



الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م





دار المنارة للنشر والتوزيع جدة: ٢١٤٣١، ص.ب: ١٢٥٠ ـ هاتف الإدارة: ٦٦٠٣٦٥٢
هاتف وفاكس: ٦٦٠٣٢٣٨ ـ هاتف المستودع: ٦٦٧٥٨٦٤

مقدمة

في يوم متأخر من عام ١٩٨٢ صدرت صحيفة «الشرق الأوسط» وفيها باب جديد: «فتاوى للشيخ علي الطنطاوي»، وفيه يكتب الشيخ بأسلوبه إجاباتٍ عن أسئلةٍ وفتاوى ترد إليه من قراء الصحيفة. وقد مضى في تلك الشهور الباقية من ذلك العام وطَوال العام الذي تلا وأول عام ١٩٨٤ يجيب -في كل أسبوع- عن طائفة من تلك الأسئلة، حتى اجتمع قدرٌ منها يملأ كتاباً كبيراً، وما لبث ذلك الكتاب أن صدر باسم «فتاوى علي الطنطاوي» في السنة التالية.

ذلك ما كان من الفتاوى التي أجاب عنها جدي -رحمه الله- في كل أسبوع مرة في نحو سنة ونصف السنة، فهل هذا هو كل شيء؟ هل هذه هي فتاواه كلها؟ لقد لبث نحو ربع قرن يحدّث الناس في كل يوم مرةً في برنامجه الإذاعي «مسائل ومشكلات»، وفي كل أسبوع مرةً في الرائي في برنامج «نور وهداية»، فأين هذه الأحاديث وأين هذه الفتاوى؟

الذي حصل أن الشيخ لم يكتب أحاديثه ولم يدوّن فتاواه أبداً، بل كان يقدمها في الإذاعة والرائي ارتجالاً في أول الأمر، ثم بدا له فصار يسجلها على أشرطة. ولعل الذين يذكرون برنامجه في الرائي لم ينسوا المسجِّلة التي كانت ترافقه وهو يُخرج منها شريطاً ويضع آخر في وسط هذه الحلقة أو تلك. هذا ما كان، ومضت سنة بإثر سنة وهذه الأشرطة في ازدياد، حتى تراكم منها عدد يزيد عن الألف! تخيلوا حديثاً قدره في اليوم ربع ساعة، وآخرَ نصف ساعة في الأسبوع، كم يبلغان في سنة؟ نحو مئة وعشرين ساعة، فكم في ربع قرن؟

فلما تراكمت هذه الأشرطة بين يدي جدي وهي في ازدياد، وهو ما زال يقدم من الفتاوى المزيد يوماً بعد يوم، عندئذ تمنى لو تُدوَّن هذه الفتاوى وتُنشَر فيقرؤها الناس. ومن هنا بدأت قصة هذا الكتاب.

* * *

أحبَّ -رحمه الله- أن تُكتَب هذه الفتاوى وأن تُنشر، فأخذَتْني الحماسة وزوجتي عابدة (التي هي ثانية أكبر حفيدات الشيخ كما أنا ثاني أكبر الأحفاد) فذهبنا ففرّغنا عدداً من الأشرطة، ثم اشتغلتُ بها، فأعدتُ صياغتها وحررتُها بقدر ما استطعت حتى تناسب النشر؛ فهي قد سُجّلت على هيئة الكلام المحكي الذي لا يمكن أن يُنشر إلا بأن تعاد كتابته. ثم حملتها إليه والأمل يملأ قلبي بأن يستحسنها فيوافق على المضي في هذا المشروع، ولكن الذي كان غير هذا. فلقد رآها فوجدها غير ما كان يأمُل، ووجد بين الأسلوب الذي كُتبَتْ به والأسلوب الذي كان يمكن أن يكتبها هو به فرقاً كبيراً وبوناً شاسعاً، فلم يستحسنها ولم يوافق على نشرها بتلك الصورة.

لقد أراد جدي لفتاواه التي ستحمل اسمه أن تُكتَب بأسلوبه، وأنّى؟ ومن أين لي بلاغة علي الطنطاوي وهو من ملوك البيان في هذا الزمان، بل وفي كل الأزمان؟ فلما كنت على يقين من أن هذا من المحال، وحين رأيت إصراره على أن تحاكي الكتابةُ أسلوبَه، علمت أن إنجاز هذا المشروع من المستحيلات، فطويت أوراقي وانصرفت عن الأمر، ثم لم ألبث أن غرقت في بحر الحياة الزاخر فنسيت المشروع برمّته وما عدت أعود إليه بذكرى. وكان هذا منذ ست عشرة سنة.

حتى كان يومٌ من أيام السنة التي توفي فيها جدي رحمه الله، فجاءه زوج خالتي، نادر حتاحت، بنسخة من ذلك العمل القديم يضم مجموعة من الفتاوى، وقد صُوِّرت وجُلِّدت على هيئة كتاب صغير. وكان حاضراً في المجلس مع زوج خالتي صديق عمره طارق الحاج إبراهيم، وكلاهما من أقدم محبّي الشيخ وأكثرهم له وفاء، بل هما منه بمنزلة الولد من والده. فما زالا به يجادلانه ويقنعانه حتى رضي بأن تُستكمل هذه الفتاوى وتُنشر، فنسخ ذلك القرار ما سبقه من ممانعة.

ولم أكن قد فكرت بالأمر حتى ذلك الحين، ولا أنا شاركت في نقاش تلك الليلة، بل لم أظن أن الأمر سينتهي إلى غير ما انتهى إليه من قديم، فلما رأيته قد آل إلى ما رأيتم بدأ -في هذه القصة- فصل جديد.

وفكرت وترددت، فإن كان جدي قد كره -بدايةً- أن يُنشَر باسمه ما لم يُكتب بقلمه ولا بأسلوبه، ثم هو قد وافق -بأخَرَة- بعد إلحاح وأخذ ورد، أفيكون الصواب أن تُراعى رغبته القديمة أم أن تستغل موافقته الجديدة؟ وبقيت في هذا التردد شهوراً حتى كان ما كان من أمر مرضه ووفاته عليه رحمة الله، ولم أزل -من بعد- مفكراً في هذا الأمر أقلّبه على هذا الوجه أو ذاك، حتى شرح الله صدري إلى تدوين الفتاوى ونشرها.

لقد فكرت وفكرت، فرأيت أن جدي قد انتقل من هذه الدنيا الزائلة التي لا تعود عليه فيها براعةُ الأسلوب وروعةُ البيان بغير رضا الناس، إلى دارٍ لا تغني يتبعه فيها علمه الذي ينتفع به الناس فينال به رضا رب الناس. فهل من العدل والخير أن يُحرم أجرَ الآخرة من أجل ذكر الدنيا؟ بل إني لأحسبه سيفرح بثواب فتوى من خمسة سطور بقدر ما أفرحه كل ما ناله في الدنيا من ذكر وخير.

فاقرؤوا -يا أيها القراء- هذه الفتاوى وادعوا له بالرحمة والمغفرة وحسن الثواب. واقرؤوها وأنتم تعلمون وتدركون أن الذي كتبها ليس علي الطنطاوي الذي قد عرفتم سمو بيانه وارتقاء أسلوبه، فما في كتابتها من ضعف أو في بيانها من فقر فمني لا منه وهو من ضعفي وقلة زادي. ولكن لا يشغلنّكم شيء من هذا عن الذي أُودع في هذا الكتاب من نفع وخير. وادعوا الله أن يوفق إلى إخراج سواه من الأجزاء، فما يمكن إخراجه -بعد- كثير؛ فلقد جاء هذا الكتاب من نحو ثلاثين شريطاً من أصل ألف شريط أو تزيد. ولكن هل ستصدر الأجزاء التالية؟ إن كتب الله لي عمراً فإني لأرجو أن أخرج في كل عام جزءاً، ولكن من يضمن لي ذلك؟ وما أدراني إن كنت سأعيش حتى أرى هذا الجزء الأول الذي أتممته اليوم بين أيدي الناس. أسأل الله على ذلك العون وأسأله حسن الختام.

* * *

أما ما صنعته مع هذه الفتاوى فهو أنني قد أخذت النص الذي فُرِّغ من الشريط المسجل، فاستخلصت مضمونه وأعدت صياغته على الهيئة التي كتب بها جدي فتاواه المنشورة، مجتهداً في تبويب المسألة وتقسيمها على فقرات واضحة مرقمة كلما كان ذلك ممكناً.

وإذا وجدته استشهد في الفتوى بحديث أو بطرف حديث حرصت على إثبات الحديث كاملاً وذكر مَن رواه ومَن أخرجه، وإذا استشهد بآية ذكرت موضعها من السورة التي وردت بها.

وإذا وجدته أشار إلى موضع مسألة في كتاب من كتب الفقه (كالمغني أو مجموع فتاوى ابن تيمية، وكثيراً ما يرجع إليهما خاصة) رجعت إلى الكتاب فأثبتُّ موضع المسألة من الجزء والصفحة، وقد أُدرجُ خلاصتَها. وإذا ذكر أن للمسألة حكماً في مذهب أو أكثر بينت هذا الحكم أو نقلته من مصادره.

كل ذلك صنعته في الحواشي حتى لا يختلط شيء من حديث الشيخ بشيء من كتابتي، فما كان في أصل الكتاب فهو من حديثه الأصلي لم أصنع به شيئاً غير الصياغة والتبويب، وما كان في الحواشي فهو من زياداتي.

* * *

اللهمَّ اجعل هذا الكتاب في ميزان حسنات علي الطنطاوي وانفعه به في آخرته وانفع به -في الدنيا- الناس. اللهمَّ إن كنت كاتباً عليه أجراً فلا تحرمني من هذا الأجر وأشركني فيه ولو بقدر مثقال ذرة، وما أحوجني إلى مثلها يوم الحساب! أمِّنوا يا أيها القراء. اللهمَّ آمين.

* * *

مجاهد مأمون ديرانية

جدة: آخر صفر الخير ١٤٠٢

(١)

العقيدة والغيبيات

إمهال الله للفسّاق والكافرين [1]

سؤال يقول إن معظم الذين يفسقون ويفجرون في المجتمعات الحاضرة هم من الذين يُرزَقون الرزق الكثير، فهل هذا إمهال من الله لهم أم إهمال؟

✿ والجواب:

١- أستغفر الله العظيم. الله يمهل ولا يهمل، ولا يجوز -حتى في معرض السؤال- أن ننسب إليه الإهمال؛ لأن للّه صفات الكمال، وهذه الصفة من صفات البشر المخلوقين، وهي نقيصة، فلا يجوز وصف الله ﷻ بها أبداً.

٢- ومقياس الله ﷻ بالعطاء والإكرام والسعادة ليس الدنيا. هذه الدنيا موقّتة فانية، ولو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء، كما ورد في حديث النبي ﷺ[2]. ولو كانت الدنيا هي مقياس السعادة

---

[1] أذيعت هذه الفتوى سنة ١٣٩٨.

[2] عن سهل بن سعد ﵁ قال: كنا مع رسول الله ﷺ بذي الحُلَيْفة فإذا هو بشاة ميتة شائلةٍ برجلها فقال: «أترون هذه هينة على صاحبها؟ فوالذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها، ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها قطرةً أبداً». رواه ابن ماجة. وفي رواية للترمذي: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء».

والإكرام لكان أسعد الناس وأرغدهم عيشاً فيها الأنبياء، وهذا نبينا ﷺ أصابته الشدائد وأوذي في الله واختار الفقر على الغنى حتى كان يربط على بطنه الحجر من الجوع، وهو سيد الخلق وأكرم الناس وخاتم النبيين. وكذلك كان حال النبيين السابقين والصحابة الأولين، وكذلك يصيب البلاء الصالحين من الناس فيعوضهم الله بصبرهم عليه أضعافاً من الثواب في الآخرة. وهذا هو المعنى الذي يظهر في الحديث الذي نحفظه في البلاء[1].

٣- أرأيتم إلى من تُهدم داره ويُنقض بناؤه؛ أيسرّ بذلك ويفرح؟ لا يبدو هذا معقولاً. ولكن الحكومة لما أرادت توسعة الحرم في مكة واحتاجت -من أجل ذلك- إلى هدم بعض الدور تمنى كل الناس أن يكون بيته هو الذي يُهدم؛ لأن الذي كانت داره تساوي عشرة آلاف أُعطي بدلاً منها عشرين أو ثلاثين. فكذلك من عرف مقدار التعويض العظيم الذي يُعطاه من ابتُلي في الدنيا بمصيبةٍ فصبر عليها يتمنّى أن يكون قد ابتُلي بمثل ذلك أو بأكثر منه، وإذا رأى الناس -يومَ القيامة- عظيمَ ثواب الصابرين تمنى كلٌّ منهم لو كان أُصيب في دنياه بأعظم البلاء.

٤- فلما كانت الدنيا على الله بهذا الهوان وكانت لا تساوي عنده جناح بعوضة؛ فإنه يمهل فيها الكافرين والفسقة ويمدّ لهم في رزقهم ويوسعه ويكثره عليهم. ولما كانت الحياة مؤقتة سرعان ما تنتهي؛ فإن سعادة هؤلاء المؤقتة العابرة لا تلبث أن تنفد فينتقلون -من بعد- إلى دار الشقاء فيلبثون في عذاب مقيم. انظروا إلى هذه المعاني في الآية العظيمة: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ

---

١ عن سعد بن أبي وقاص ﷺ أنه قال: يا رسول الله: أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل». رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد. وفي رواية لأحمد: «الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل».

بَغْتَةً فإذا هُمْ مُبْلِسون. فَقُطِعَ دَابِرُ القومِ الذينَ ظَلَمُوا، والحمْدُ للّهِ رَبِّ العَالَمين﴾.[1]

نسأل الله أن يجعلنا يومئذ من السعداء الناجين من النار، وأن يغفر لنا ويحسن إلينا ويجعل خاتمتنا على الإيمان.

* * *

أسماء الله تعالى التي يختصّ بها

سؤال عن استعمال أسماء الأعلام مثل: فلان العبد الله والعبد اللطيف وما إلى ذلك، ما الحكم فيه؟

✿ والجواب أن الألف واللام أكثر ما تأتي للتعريف، لذلك لا تدخل على المضاف لأنه معرَّف بالإضافة. لكن التعبير الذي ورد في السؤال ليس من هذا الباب، بل هي مختصرة من «آل»، فيقولون: «العبد الله» بمعنى: «آل عبد الله»، و: «العبد اللطيف» بمعنى: «آل عبد اللطيف».

أما أسماء الله الحسنى فإن منها ما وُضع في العربية قبل نزول القرآن، وهو قد وُضع للمعاني الأرضية البشرية. فلما نزل القرآن باللسان العربي واستعمل هذه الألفاظ وصفاً لله جلّ وعلا أدركنا -بداهةً- أنه لا يُراد بها المعنى الذي وُضعت له؛ لأن الله ليس كمثله شيء، ولا يوصف الخالق بما يوصف به المخلوق. فإن اتفق اللفظ بين ما وصف الله تعالى به نفسه وما يوصف به العباد كقولنا: «الله كريم»، و«فلان كريم»، فإن المعنى مختلف؛ فليس كرم العباد مثل كرم الله، ولا بصره كأبصارهم، ولا سمعه كأسماعهم.

---

[1] الأنعام: ٤٤-٤٥.

ومن أسماء الله ما جاء به الإسلام ولم يكن معروفاً عند العرب كلفظ الجلالة: «الله»، فلا يُطلق على غيره تعالى. ومن ذلك «الرحمن» فهي كلمة مشتقة من الرحمة لم يتعارفها العرب ولم تستعمل لغير الله ﷻ، لذلك سمّوا مسيلمة الكذاب لما ادّعى النبوة: «رحمان اليمامة». وقد أخطأ العقاد في بعض شعره فقال: «والشاعر الفذُّ بين الناس رحمانُ». ومثلها «أحد» في صيغة الإثبات، فالله هو الأحد. نقول في النفي: "ما جاء أحد"، ونستعملها في حالة الإثبات إذا أُضيفت كقولنا: "جاء أحد الرجال"، ولكن لا يجوز استعمالها مثبتةً مفردةً فلا نقول: "جاء أحد"، بل: "جاء واحد".

* * *

لا تنطبق على الله ﷻ
أحكام الزمان ولا أحكام المكان

يقول الله ﷻ عن نفسه في القرآن: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، و«كان» تنصرف إلى الزمن الماضي، والله –سبحانه وتعالى– غفور وتواب في كل زمان، فلماذا جعل الوصف في الآية مقتصراً على الماضي؟

✿ والجواب على ذلك أن الزمان مخلوق والله خالق، فهو كان ﷻ بأسمائه وصفاته قبل أن يكون الزمان وكان قبل أن يكون المكان، فلا ينطبق عليه حكم الزمان ولا حكم المكان. ومسألة الزمان لها اعتبار بالنسبة لنا معشر البشر فقط[1].

---

[1] الزمان ليس له معنى في ذاته لأن الزمان المطلق لا وجود له، بل هو رهنٌ بالحركة، تماماً كما أنه لا وجود للمكان المطلق. والحركة لا يمكن وصفها إلا بنسبة الأجسام المتحركة بعضها إلى بعض، فالسيارة تكون متحركة بالنسبة إلى العمارة الثابتة أو أعمدة النور التي

فالله كان غفاراً وبقي غفاراً وسيبقى غفاراً. وكل ما تقرؤونه في القرآن من صفات الله بصيغة الماضي لا يفيد ارتباط الصفة بالماضي، فلا نفهم: ﴿كَانَ غَفَّاراً﴾ أو ﴿كانَ رَحيمَاً﴾ كما نفهم قول القائل: "كان فلان سخياً أو غنياً أو مريضاً" بمعنى أنه لم يعد كذلك الآن.

فالخلاصة أن الله ﷻ هو الذي خلق الزمان والمكان، وهو فوق اعتبارات الزمان والمكان.

* * *

ورود النار [1]

سؤال يقول: ما تفسير قوله تعالى: ﴿وإنْ منكُمْ إلاّ وارِدُها﴾[2]؟

✿ والجواب أن هذا الورود على النار بالمرور فوق الصراط. كل الناس يمرون عليه، فمن كان من أهل الإيمان والنجاة ممن كتب الله له

لا تتحرك، أما لو مشت سيارتان متحاذيتين أو سار قطاران متجاورين بسرعة واحدة فكل واحد منهما بالنسبة للآخر يكون ثابتاً. وكذلك الأجرام في الفضاء، فالأرض التي نحن عليها تتحرك بأشكال متفاوتة بالنسبة إلى الشمس والقمر وبقية الكواكب، مع أن حركتها -في الأصل- واحدة، فلا يمكن وصف حركتها وصفاً مطلقاً كأن نقول إنها تتحرك إلى الخلف أو إلى الأمام أو إلى الأعلى أو إلى الأسفل، ولا يكون لوصفنا هذا معنى إلا إذا نسبنا حركتها إلى جرم آخر. فإذا كانت الحركة نسبية، والزمان مرهوناً بالحركة، فهو -إذن- نسبي أيضاً؛ وهذه هي نظرية النسبية العامة التي أتى بها آينشتاين في بداية هذا القرن. فإذا لم يوجد زمان مطلق ولا مكان مطلق في الدنيا، فكيف ينطبق حكم الزمان أو المكان على الله -عز وجل- وهو خالق الدنيا وخالق الحركة وخالق الزمان والمكان؟

[1] أذيعت سنة ١٣٩٨.

[2] مريم: ٧١.

السعادة فإنه ينجو من النار، وإن كان من أهل الكفر والعصيان وممن كتب الله عليه أن يصلى النار سقط فيها.

فاسألوا الله السلامة منها، واعملوا بعمل أهل الجنة حتى ينجيكم الله من التردي فيها.

* * *

خلق آدم عليه السلام [1]

طالبان يسألان: ما معنى أن الله عز وجل خلق آدم عليه السلام على صورته؟

✿ والجواب:

١- يظن كثير من الناس أن الضمير في «صورته» يرجع إلى الله ﷻ، وهذا خطأ؛ فإن الله لا يشبه المخلوقات، إذ هو الخالق ليس كمثله شيء، فأي شيء خطر ببالك فالله بخلاف ذلك؛ لأن العقل البشري لا يتصور إلا الأشياء المادية التي أدركها من خلال الحس ثم استخلص منها العلوم والقواعد العقلية والبديهيات، وهذا العقل لا يمكن أن يحيط بذات الله تعالى، وليس له شغل بصفاته عز وجل، لذلك لا نعرف من صفاته إلا ما خبّرنا به، ونقف عند ما ورد، مع ملاحظة تنزيهه -تعالى- عن مشابهة المخلوقات من العالمين.

٢- فليس المقصود أن آدم قد خُلق على صورة الله ﷻ، ولا يعود الضمير هنا على الله تبارك وتعالى، بل فسره المفسرون على أحد تفسيرين:

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٥.

الأول: أن الضمير يعود على آدم ﷺ، فهذه الصورة التي خُلق آدم مُصوَّراً بها هي التي خلقه ربه ﷻ عليها.

الثاني (ولعله هو التفسير الصحيح) يوضح المعنى أكثر: فالعبارة المذكورة هي جزء من الحديث (أو هي تتمّته)، وأوله -كما في تفسير القرطبي- أن الرسول ﷺ مرَّ برجلٍ يضرب عبداً له على وجهه فنهاه وقال له: إن الله خلق آدم على صورته[1]؛ أي أن صورة وجه آدم قد خلقها الله مثل صورة هذا العبد الذي تضربه، وكذلك سائر أولاد آدم وأنت منهم. فكأن رسول الله ﷺ يقرعه بهذا الكلام فيقول له: كيف تضرب وجهه وهو مثل وجهك لأن آدم -أباكما جميعاً- قد خُلق وجهه على هذه الصورة؟

* * *

التمائم والحجب

التميمة أو الحجاب حلال أو حرام؟ وما دام الله قد جعل لكل داء دواء فلماذا لا تكون هذه مثل الدواء؟

✿ والجواب:

١- المسلم يؤمن بواحد من اثنين: الأمر المادي الذي يدركه بحواسه ويقبله بعقله ويُثبِته بتجربته، والأمر الغيبي الذي لا تدركه الحواس ولا يدخل في عالم المادة (أي الأمر الميتافيزيقي) وإنما يثبت بالوحي؛ أي بالآية

---

[1] لم أجد بهذا المعنى سوى الحديث الذي رواه أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته». رواه مسلم، ولأحمد روايات قريبة من هذا اللفظ.

الصريحة أو الحديث القطعي الصريح. أما ما عداهما فلا يكون الإيمان به واجباً على المسلم.

٢- وقد كتب الله على الإنسان الأمراض والمصائب وخلق له من الأسباب ما يدفعها أو يخففها، وأمر بالتداوي فقال النبي ﷺ: «يا عباد الله تداووا؛ فإن الله لم ينزل من داء إلا أنزل له دواء»[1].

٣- والدواء إما أن يكون مادة منفصلة تدخل الجسم عن طريق المعدة أو عن طريق الدم أو عن طريق الرئتين، وإما أن يكون من باب تقوية وسائل الدفاع التي وضعها الله في الجسم فيكون دواء نفسياً كالمداواة بالإيحاء والتنويم المغنطيسي عند من يعتقده.

٤- والشفاء بالدواء من الله ولكن بواسطة قوانين الطبيعة التي وضعها في الأدوية والعقاقير، أو بالرجوع إليه رأساً بالدعاء والرقية، والرقية باب من أبواب الدعاء.

٥- أما ما كان تأثيره غيبياً مثل التمائم والحجب فيتوقف الحكم فيه على دليل شرعي، والدليل الشرعي يقول إن هذه التمائم والحجب لا تجوز وإن من اعتقد من الناس أنها تؤثر بذاتها كانت عقيدته مخالفة لمبدأ التوحيد الذي أتى به الإسلام. وهذه هي الخلاصة في الجواب على هذا السؤال.

* * *

[1] عن أسامة بن شريك ﷺ أن الأعراب قالت: يا رسول الله، ألا نتداوى؟ قال: «نعم يا عباد الله تداووا؛ فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء، أو قال: دواء، إلا داءً واحداً. قالوا: وما هو يا رسول الله؟ قال: الهرم». رواه الترمذي بهذا اللفظ، ورواه أبو داود وابن ماجة وأحمد بألفاظ متقاربة، وفي رواية عنه لأحمد: «فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله». وفي رواية لأبي داود عن أبي الدرداء ﷺ: «إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تداووا بحرام».

وجود الجن

سؤال غريب من طالب يبدو أنه جاهل يقول فيه: إن العلم الحديث ينكر -طبعاً- وجود الجن حيث يعلل علماء النفس الجن بأنه شيء يعتري الإنسان من أمراض ويقولون إن الجن خرافة، وأشياء من هذا القبيل.

✿ والجواب على هذا:

١- الدين والعلم مظلومان كلاهما؛ الدين مظلوم حين يفتي فيه من لا يعرف حقيقته أو من يقف عند حرفية بعضٍ من نصوصه لا يتجاوزها، والعلم مظلوم حين يتكلم فيه من لا يحفظ منه غير كلمتين يظن أنه صار بهما من العلماء.

٢- الإيمان بالله والإيمان بالمغيبات هو الفطرة الطبيعية للإنسان كما أنه النتيجة الحتمية للعلم الصحيح؛ فالعوام البسطاء من الناس الذين لا يزالون على الفطرة يؤمنون بالله والمغيبات إيمان فطرة، والعلماء الكبار يؤمنون عن علم ويقين. اقرؤوا كتاب «العلم يدعو للإيمان» وكتاب «الله يتجلى في عصر العلم»، وسواهما من أمثالهما، كتباً ما ألّفها علماء الأزهر ولا كتبها مشايخ دار الإفتاء، بل بعض أكابر علماء الطبيعة في هذا الزمان.

٣- وأعود فأقول الكلمة التي قلتها مرات وقالها من قبل الإمام ابن تيمية: إننا نتحدى من ينكر على الإسلام أمراً أو يزعم أن فيه ما يخالف العلم أو العقل أن يأتينا بمَثَل واحد لأمر صحيح متفق عليه في ديننا يناقض حقيقة علمية مجمَعاً عليها متثبّتاً من صحتها. ولا تعمدوا إلى نظريات وفرضيات لم تثبت صحتها كنظرية دارون فتجعلوها حجة على الدين، فإنها ما تزال نظرية تحتمل الرد، ولئن كان فيها ما هو صحيح فإن كثيراً مما فيها قد تهافت ورده

أصحاب العلم الكبار، وكنت دللتكم على كتاب صدر من سنوات عنوانه: «نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيها»، لو قرأتموه لرأيتم أن هذه النظرية قد سقطت وتفرق عنها الناس.

٤- وما ندعوه حقائق ليس دائماً حقائق قطعية أو ليس هو الشكل الأخير للحقيقة. فقد كان اليونان يؤمنون بحقائق علمية منها أن في الدنيا أربعة عناصر أساسية هي الماء والتراب والنار والهواء، ثم تبين في عصر النهضة أن ما كانوا يظنونه بسيطاً ليس كذلك بل هو مركّب. ولما جاء آينشتاين بنظريته في النسبية بدّل بعضَ ما كان يُظَن من الحقائق العلمية، وكذلك فعلت النظريات اللاحقة في الفيزياء الكمية. فأين الحقائق القطعية التي لا تتغير؟ لذلك خبّرنا الله تعالى أن البشر لا يعلمون غير ظاهر من الحياة الدنيا وأننا لم نؤتَ من العلم إلاّ قليلاً.

٥- والخلاصة أن حقائق العلم لا تصادم حقائق الدين أبداً، وهذا الذي يقول إن العلم الحديث ينكر الجن ويقول: "طبعاً" (كما لو أن الأمر مؤكد لا شك فيه) ليس سوى جاهل لا يملك من العلم شيئاً.

* * *

سبّ الدين [1]

سؤال عن الذي يسب الدين، يكفر أو لا يكفر؟

✿ والجواب: لكلمة الدين في اللغة معانٍ متعددة، وكذلك استُعملت

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٨.

في القرآن. فالدين: الشريعة[1]، والدين: الجزاء[2]، ومما يتخذه الناس ديناً ما هو باطل أو محرم[3].

فالذي يسب الدين ويقصد به الدين الإسلامي والشريعة التي جاء بها محمد ﷺ يكون كافراً. وإذا صدر مثل ذلك عن مسلم فإنْ كان كلامه لغواً لا يقصده ولا يريد معناه فإنه يزجَر ويعاقَب حتى لا يعود إلى مثله. أما إذا كان عالماً بما يقول قاصداً له فإنه يُستتاب، فإن لم يتب اعتُبر مرتداً ويُقام عليه حدّ الردة وهو القتل؛ لأن الخروج من الإسلام يُعَدّ أعظم الذنوب التي يمكن أن يرتكبها الإنسان، وإذا كان الشرك أكبر المعاصي فإن الذي يخرج إليه من الإسلام أعظم ذنباً من الذي وُلد يهودياً أو مجوسياً، بل هو شر أنواع الكفار.

* * *

الأغاني التي تمس الدين

رسالة تنبه فيها مرسلتها إلى أمر يستحق التنبيه حقيقة، وهو ما نسمعه في الأغاني من كلمات تخالف الدين، بل تمس العقيدة، مثل سب القدر ونسبة الغدر للزمان وأشياء من هذا القبيل.

---

[1] كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ منهم طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهوا في الدِّينِ﴾، وقوله: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أخاهُ في دِينِ المَلِكِ﴾، أي شريعة الملك.

[2] كما في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَومِ الدِّينِ﴾، أي يوم الجزاء أو يوم الحساب، وقوله: ﴿وإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾، أي الجزاء بعد الحساب.

[3] كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ لا تَغْلوا في دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ﴾، وقوله حكايةً عن فرعون: ﴿إنّي أخافُ أنْ يُبَدِّلَ دينَكُمْ﴾.

✿ والرسالة مكتوبة كتابة جيدة، والكاتبة على صواب والحقُّ معها؛ فهذا لا يجوز. كثير من الناس يتحدثون عن القدر بألفاظ لا تليق، فيقولون: «سخرية القدر». حتى أنا في شبابي -مع الأسف- لما كنت مبتدئاً بالكتابة كتبت شيئاً من مثل هذا في كتاباتي الأولى ثم تنبهت وتركته.

ما معنى القدر؟ القدر هو المقدَّر، والمقدر هو الله، فالزمان في ذاته لا ينفع أو يضر، بل هو ظرف أو وعاء والله هو الذي يُجري فيه الأقدار؛ فالله هو النافع وهو الضار.

فلينتبه الذين ينظمون الأبيات أو يصوغون الكلمات فيتحدثون عن غدر الزمان وسخرية القدر ويذمون الدهر، فهذا كله لا يجوز. وفي الحديث القدسي الذي يرويه مسلم: «يؤذيني ابن آدم بقوله يا خيبة الدهر، فلا يقولنّ أحدكم يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر أقَلِّبُ ليلَه ونهاره فإذا شئت قبضتهما»[1]، وفي حديث الشيخين وأحمد: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار»[2].

* * *

[1] رواه أبو هريرة وأخرجه مسلم (واللفظ له) وأحمد ومالك في الموطأ.
[2] رواه أبو هريرة وأخرجه البخاري وأحمد وأبو داود.



(٢)

الموت والقبر

حياة القبر

سؤال يتعلق بفروع العقيدة يقول: هل يحيى الميت في قبره قبل يوم القيامة؟

✿ والجواب:

١- الإنسان العاقل يصدق ما يدركه بحواسه، وما تثبت صحته بالتجربة من الأمور العلمية والعملية المتعلقة بالأجساد أو بقوانين الحياة في الكيمياء والفيزياء وعلوم الدنيا.

٢- والقاعدة عندنا أن الأمور الغيبية التي لا تدركها الحواس نؤمن بها ونصدقها إذا صح فيها الخبر من طريق الوحي الثابت؛ كأن ترد في آية قرآنية صريحة أو حديث ثابت صحيح.

٣- والحياة عند الله ليست من نوع الحياة الأرضية التي نعرفها. وقد ورد أن الشهداء أحياء عند الله: ﴿ولا تَحْسَبَنَّ الذينَ قُتِلوا في سَبيلِ اللَّهِ أمْواتاً، بَلْ أحْياءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقون﴾[1]. ولكنها حياة ليست كحياتنا، ولا يُشترط لدوامها التنفس والطعام والشراب وسائر ما يُشترط لدوام الحياة الأرضية، إنما هي نوع آخر من الحياة لا نعرف عنه أي شيء من التفصيل.

٤- وقد ورد في شرح عقيدة السفاريني (وهو من علماء الحنابلة

---

[1] آل عمران: ١٦٩.

المعتبرين) أن من اعتقد أن الميت يحيى في قبره قبل يوم القيامة فهو مخالف لقول الله في القرآن: ﴿ربَّنا أمَتّنا اثْنَتَيْنِ وأحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ﴾[1] وقوله: ﴿كَيْفَ تَكفُرونَ باللَّهِ وكُنْتُمْ أمْواتاً فَأحْياكُمْ ثُمَّ يُميتُكُمْ ثُمَّ يُحْييكُمْ ثُمَّ إليهِ تُرْجَعون﴾[2]. فإنه لو كان الميت يحيى في قبره لكان الله قد أماتنا ثلاثاً وأحيانا ثلاثاً، وهذا مخالف للنص الصريح في الآيتين المذكورتين.

٥- وربما ردّ على هذا الفهم من يستشهد بقصة ذلك الذي ﴿مَرَّ على قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيةٌ على عُروشِها، قالَ أنّى يُحْيِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها؟ فَأماتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَه﴾[3]، وكذلك بالذين ﴿خرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَهُمْ ألوفٌ حَذَرَ المَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ موتوا ثُمَّ أحْياهُمْ﴾[4]. وكلا القصتين صحيحة ثابتة في القرآن، والجواب أنها من المعجزات، والمعجزات خارقة للمألوف لا يصلح عليها القياس.

* * *

البرزخ[*]

سؤال عن البرزخ يقول: نسمع عن حياة البرزخ ولا نعرفها، فما هي؟

✿ والجواب:

١- البرزخ -في الأصل- هو الحاجز بين الشيئين، كما في القرآن،

---

[1] غافر: ١١.

[2] البقرة: ٢٨.

[3] البقرة: ٢٥٩.

[4] البقرة: ٢٤٣.

[*] أذيعت سنة ١٤٠١.

﴿بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيان﴾[1]. ثم استُعمل بمعنى الفترة الحاجزة أو الفاصلة بين الموت والبعث. قال تعالى: ﴿ومِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثُون﴾[2].

٢- وجود الإنسان ليس مرتبطاً بحياته الدنيا فحسب، وليست الحياة هي الحياة التي نعرفها على ظهر هذه الأرض فقط بحيث لا تكون بغير طعام وشراب وتنفس ومنام ولا تتمثل إلا من خلال الجسد الإنساني فإذا أوذي أو أُتلف انقطعت وتوقفت، بل الإنسان كان موجوداً قبل أن يولد وهو موجود بعد أن يموت، ولكنه وجودٌ من نوع آخر وحياة غير ما نعهد ونعرف. إنها حياة لا يلزم لها ما يلزم لحياتنا الأرضية وليس لها ارتباط بالجسد الإنساني بالشكل المألوف في الحياة الدنيا.

٣- فحياة الإنسان مراحل. كان -يوماً- منطوياً على نفسه مكوَّماً في بطن أمه يعيش بين أحشائها. ولو كان يفكر يومئذ لظن أن هذه هي الحياة فهو يتمسك بها؛ لا يخرج منها إلا مرغماً، ولو كان ينطق لقال إن هذا الخروج موت ودفن في الأعماق مع أنه ولادة وانتقال إلى عالم أرحب هو هذه الدنيا.

٤- ونحن نقيس الأشياء بمقاييسنا المادية ونحكم عليها بمدارك الدنيا التي نعيش فيها؛ فنرى الموت فناء للجسد وخروجاً من هذه الدنيا، مع أنه -في الحقيقة- ولادة وانتقال إلى عالم أرحب؛ هو عالم البرزخ. كما لو ضمّ بطنُ الأم توأمين فولد أحدهما وتأخر الثاني، فإنه يظن -عندئذ- أن أخاه قد مات وغاب في الأعماق ففارقه وغاب عنه، لا يدري أنه قد ولد وانتقل من ضيق الرحم إلى سعة الدنيا ومن ظلمته إلى نورها وضيائها.

---

[1] الرحمن: ٢٠.

[2] المؤمنون: ١٠٠.

وكذلك الموت، في حقيقته، خروج إلى عالم أوسع وتحرر من القيود والقوانين التي تربط الإنسان بالدنيا وتشده إليها. وكذلك نسبة كل مرحلة من مراحل وجود الإنسان وحياته إلى ما قبلها؛ قبل أن يكون جنيناً في بطن أمه وحين يكون، وفي حياته الدنيا (التي نعرفها) وفي البرزخ بعد أن يموت، ثم في الآخرة في حياة باقية لا تنتهي ولا تزول.

* * *

قراءة القرآن للميت [1]

سؤال عن قراءة القرآن للميت، هل يصله ثوابها؟ وسؤال آخر من امرأة توفيت أمها وهي شابة فحزنت عليها وتريد أن تعمل عملاً ينفعها فماذا يمكنها أن تفعل؟

✿ وهذا هو جواب السؤالين:

١- الإنسان إنما يُكافأ بعمله: ﴿وأنْ لَيسَ للإنْسانِ إلاّ مَا سَعَى﴾ [2]، فإذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث؛ كما في الحديث الصحيح: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث (أو ثلاثة): صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفَع به، أو ولدٍ صالح يدعو له» [3]. فإذا ألّف كتباً ينتفع بها الناس أو أنشأ مدرسة أو أوقف على نفقته من يدرُس ويتعلم ثم يُعلّم الناس، ونوى بذلك كله ابتغاء ثواب الله، ناله منه الثواب.

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٥.

[2] النجم: ٣٩.

[3] وهو حديث أبي هريرة المشهور، وقد أخرجه بألفاظ متقاربة مسلم والترمذي والنسائي وأحمد وأبو داود.

٢- الدعاء للأموات: هل ينفعهم أو لا ينتفعون به؟ والجواب: ما هي صلاة الجنازة؟ صلاة الجنازة دعاءٌ للميت ينفعه الله به بعد موته. وكذلك الصدقة عن الميت؛ ففي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وأصحاب السنن أن رجلاً توفيت أمه فسأل النبي ﷺ هل تنفعها صدقته عنها؟ فقال له: نعم، وكان له بستان فقال: تصدقت به عنها[1].

٣- فإذا ذهبت هذه المرأة -وقد توفيت أمها فانتقلت إلى رحمة الله (والأمل في رحمة الله)- فشقت ثيابها أو لطمت خدها أو صاحت أو عملت عملاً ممنوعاً، فماذا تستفيد أمها الميتة؟ هذا كله لا ينفع الميت، ولا ينفعه المأتم الذي يعمله الناس اليوم مخالفاً للدين، إنما تنفع هذه المرأةُ أمَّها بأن تدعو لها وتستغفر لها وتتصدق عنها.

٤- بقيت مسألة أخيرة حول قراءة القرآن وإهداء ثوابها للميت؛ فمن العلماء من قال إن ثواب القراءة لا يصل إليه لأنه حين مات انقطع عمله إلا مما ورد فيه نص، والقراءة لم يرد فيها نص صريح، ومن العلماء من ذهب إلى وصول ثوابها واحتجوا بأنه ما دام يجوز أن يُتصدَّق عنه ويُصام عنه ويُحَج عنه، فإنه يجوز -إذن- أن يُهدى ثوابَ القراءة. فالمسألة خلافية، وأنا ممّن يظن أن الثواب يصل، وممّن قال بذلك ابن القيم وأتى عليه بأدلة كثيرة، وإن كان أكثرها من الأدلة الجدلية.

* * *

---

[1] الحديث عن ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن أمي توفيت، أفينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: نعم. قال: فإن لي مَخْرَفاً فأشهدك أني قد تصدقت به عنها. أخرجه البخاري والترمذي والنسائي وأبو داود، واللفظ للترمذي وقال: هذا حديث حسن وبه يقول أهل العلم؛ يقولون ليس شيء يصل إلى الميت إلا الصدقة والدعاء. قال: ومعنى قوله إن لي مخرفاً يعني بستاناً. وفي الباب أحاديث كثيرة صحيحة، انظر: جامع الأصول ٣١٦/٧-٣١٨.

العمل الصالح عن الميت [1]

ما حكم قراءة القرآن وأداء الأعمال الصالحة كالصلاة والصيام والحج والزكاة عن موتانا إن كان عن طيب خاطر وبلا أجر؟

✿ وفي الجواب تفصيل:

١- فأما الصلاة عن الميت (كأن يصلي ويقول: "نويت أن أصلي ركعتين عن الميت فلان" مثلاً) فهذا أمر لا يجوز بلا خلاف؛ لأن الصلاة عبادة بدنية والعبادات البدنية لا ينوب فيها واحد عن واحد إلا فيما فيه استثناء بنص صحيح.

٢- والحج من هذا الباب؛ فهو عبادة بدنية في الأصل، ولكن الأحاديث الصحيحة قد وردت في جواز أن يحج الحي عن الميت. فهذا أمر ممكن بلا خلاف.

٣- أما الصيام عن الميت فمختلَف فيه؛ لأنه ورد في الحديث فاستنبط قوم أن المراد أن يصوم الحي عن الميت[2]. فإذا عجز الإنسان عن الصيام وهو

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٥.

[2] الحديث روته عائشة عن النبي ﷺ: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»، متفق عليه، وروى ابن عباس نحوه. وفي المغني (٣٩/٣): ولنا ما روى ابن ماجة عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه مكان كل يوم مسكيناً». قال الترمذي: "الصحيح عن ابن عمر موقوفاً وعن عائشة أيضاً قالت: يُطعَم عنه في قضاء رمضان ولا يُصام عنه". ثم قال ابن قدامة: ولأن الصوم لا تدخله النيابة حال الحياة فكذلك بعد الوفاة، كالصلاة. فأما حديثهم فهو في النذر لأنه قد جاء مصرَّحاً به في بعض ألفاظه، كذلك رواه البخاري عن ابن عباس قال: قالت امرأة: يا رسول الله، إن أمي ماتت وعليها صوم نذراً، أفأقضيه عنها؟ قال: «أرأيت لو كان على أمك دين فقضيته، أكان يؤدي ذلك عنها»؟

حي فقد انتقل الحكم إلى الإطعام فصار واجباً مالياً، فإذا مات فهل يُصام عنه أو يُطعَم؟ ذهب بعض الفقهاء إلى الصيام أخذاً بظاهر الحديث وآخرون إلى الإطعام على اعتبار العجز. والصحيح هو الإطعام؛ إذ لا يُعقل أن يكلف الحي عن الميت بأكثر مما يكلف به لو كان حياً.

٤- أما الزكاة عن الميت فتجوز إطلاقاً؛ لأنكم عرفتم القاعدة: «العبادات المالية يجوز فيها التوكيل».

٥- بقيت مسألة قراءة القرآن وإهداء ثوابها للميت، وهذه مسألة مختلَف فيها؛ فقد قال قوم إنها عبادة بدنية يحرك المرء بها لسانه فلا ينوب فيها أحد عن أحد ولا يصل إلى الميت ثوابها؛ إذ ليس للإنسان إلا ما سعى. وقال قوم آخرون إن ثواب القراءة يصل، من قبيل أن القارئ يقول: "يا ربِّ إذا كتبت لي ثواباً على القراءة فأنا أطلب منك -بكرمك- أن تحوله إلى فلان". ومن الذين ذهبوا إلى جواز إهداء القراءة ووصول ثوابها إلى الميت الإمام ابن القيم، وقد جاء على ذلك بأدلة كثيرة في بعض كتبه.

* * *

زيارة المقابر للنساء [1]

سؤال عن حكم زيارة النساء المقابر

✿ والجواب على الزيارة المشروعة الخالية من الشرك ومن البدع.

قالت: نعم. قال: «فصومي عن أمك». وقالت عائشة وابن عباس كقولنا، وهما راويا الحديث، فدل على ما ذكرناه. اهـ كلام ابن قدامة.

[1] هذه الفتوى بخط الشيخ رحمه الله، وجدتها بين أوراقه ولم أجد عليها تاريخ كتابتها، وقد أثبتّها كما هي بلا تغيير.

وزيارة المرأة القبور بهذا الشرط مختلف فيها؛ فمَن منعها احتج بحديث: «لعن الله زائرات القبور»[1]، ومن أجازها احتج بحديث: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها»[2]. والأوامر الشرعية يستوي فيها النساء والرجال.

ونصيحتي للنساء بعدم ارتياد المقابر لأنها لا تخلو من مفاسد في أكثر ما عرفت من البلاد.

* * *



---

[1] عن ابن عباس قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج»، أخرجه الترمذي وقال: وفي الباب عن أبي هريرة وعائشة، وحديث ابن عباس حديث حسن. وأخرجه باللفظ نفسه عن ابن عباس النسائي وأبو داود وأحمد.

[2] عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أُذن لمحمد في زيارة قبر أمه، فزوروها فإنها تذكّر الآخرة». رواه مسلم وأصحاب السنن (الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجة) وأحمد ومالك في الموطأ، واللفظ للترمذي وقال: وفي الباب عن أبي سعيد وابن مسعود وأنس وأبي هريرة وأم سلمة. قال: وحديث بريدة حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم؛ لا يرون بزيارة القبور بأساً. وهو قول ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحق. وفي رواية لأبي داود: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن في زيارتها تذكرة». وفي رواية للنسائي: «إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولتزدكم زيارتها خيراً».



(٣)

القرآن الكريم

كتابة المصحف بالرسم العثماني [1]

أنا أعرف أنني لا أتحدث إلى علماء؛ لذلك أحاول أن أطرق -في هذا الحديث- موضوعات قريبة وأكتبه بأسلوب سهل مفهوم وأجتنب فيه المسائل العلمية، ولكني مخالف -اليوم- هذا الطريق؛ ذلك أني قد بدأت في الجمعة الماضية بالرد على أسئلة المستمعين، فجعلت حديثي الماضي جواباً على طائفة من الأسئلة الاجتماعية، وحديثي اليوم في الجواب على طائفة أخرى من الأسئلة، ولكنها اليوم أسئلة علمية، فمن كان ينتظر مني حديثاً سهلاً مفهوماً، يلذّه السامعون جميعاً ويستمتعون به، فليغلق الرادّ من الآن؛ لأن حديث اليوم درس علمي لا يفهمه إلا المتعلمون.

وهذا إنذار، وقد أعذر من أنذر.

وبعد، فهذا سؤال ورد به عليّ ثلاثة كتب، اختلف أسلوبها واتحدت فكرتها، بيّن أصحابها أن أولادهم يقرؤون القرآن في المصحف المعروف

---

[1] وجدت هذا الحديث بخط جدي -رحمه الله- بين أوراقه فأثبتّه هنا كما هو، وهو من الأحاديث التي كان يذيعها من إذاعة دمشق كل يوم جمعة، وقد كتب عليه تاريخ إذاعته وهو ١٩٦٠/١١/٢٥. وأحب أن أشير إلى أن الجزء المنشور من الفتاوى قد تضمن فتوى مشابهة، وقد كان من منهجي أن لا أضمن هذا الجزء (أو ما سيتبعه إن شاء الله) تكراراً بيّناً، إلا أنني لم أصمد أمام إغراء نشر فتوى وجدتها بخط الشيخ وأسلوبه وأملت أن يكون فيها نفع فأثبتها.

بمصحف فؤاد (والذي كُتب على طريقة كتابة المصحف الذي وجّه به سيدنا عثمان ﷺ إلى الأمصار)، فلا يستطيع الأولاد القراءة فيه. وهم يسألون: هل في الشرع ما يمنع من كتابة المصحف بالخط المتبع اليوم، على القاعدة التي نكتب بها؟ وهل يجب التزام القاعدة التي كتب بها الصحابة المصحف الأول على ما فيها من حذف حروف وزيادة حروف، وفصل حروف نحن نصل بينها ووصل حروف نحن نفصل بينها؟

✿ والجواب: أن الله أنزل القرآن مشافهة لا كتابة؛ ألقاه جبريل ﷺ على سيدنا محمد ﷺ وهو أمي لم يكن يقرأ ولا يكتب، فكان يسمعه منه ويلقيه على الصحابة فيكتبه كُتّاب الوحي منهم. حتى إذا توفي رسول الله ﷺ جمعه أبو بكر أولاً، ثم أمر عثمان بكتابة هذه المصاحف التي أُرسلت إلى الأمصار.

فكان الذي تولى كتابته هم الصحابة. وقد تطور الخط الذي كانوا يكتبون به حتى صار إلى القاعدة التي يقوم عليها الخط العربي اليوم. فكتابتهم اجتهاد منهم وليست بوحي من الله.

ثم إن المصاحف العثمانية نفسها لم تُكتب كلها على صورة واحدة، وقد وقع بينها اختلاف في كتابة بعض الكلمات، بل إن الكلمة الواحدة تُكتب في موضع من المصحف العثماني نفسه على شكلٍ وتُكتب في موضع آخر على شكل غيره (فكلمة «الكتاب» كُتبت بألف وبلا ألف، ومثلها «قال»، و«كِذّاباً». و«نعمة» كُتبت بتاء مربوطة وبتاء مبسوطة، ومثلها «سنة». والأمثلة على ذلك كثيرة).

ولو أوجبنا التقيد بالكتابة الأولى لوجب أن نكتب المصاحف بلا نقط ولا شكل؛ لأن النقط والشكل لم يكونا في المصاحف العثمانية.

والعلماء الذين تشددوا فأوجبوا كتابة المصاحف على النمط الأول (وعلى رأسهم الإمام مالك) قد جوّزوا كتابته للمتعلمين وللصغار بالخط المعروف لئلا يخطئوا في القراءة. وقد نقل صاحب كتاب «إتحاف البشر» أن شيخ الإسلام وسلطان العلماء، العز بن عبد السلام، قال: "لا يجوز كتابة المصحف الآن على الرسم الأول لئلا يخطئ في قراءته الناس فيبدلوا كلماته".

والخلاصة أن أكثر العلماء يقررون لزوم اتباع كتابة الرسم الأول، وبعضهم يجوّز كتابته بالكتابة المتبعة في كل عصر؛ لأن المقصود هو التلاوة الصحيحة، والقرآن أُنزل ملفوظاً لا مكتوباً. وكلهم يجوّز كتابته للتلاميذ بالخط المتبع.

والذي أراه أن من الواضح المشاهَد الذي لا يحتاج إلى دليل أن التلاميذ وكثيراً من المعلمين لا يعرفون القراءة في المصحف العثماني المطبوع في مصر (المعروف بمصحف فؤاد) وأنه يجب أن يُطبع لهم مصحف بالخط المعروف.

ومن الآن إلى أن يوفق الله إلى طبعه، يحسن بالمعلمين أن يُقرئوا تلاميذهم بالمصحف المطبوع في دمشق من القديم المعروف بمصحف الخطاط ملا عثمان[1]؛ فإن كتابته أقرب إلى كتابتنا المعروفة.

* * *

[1] في الفتوى المنشورة في الجزء الأول من الفتاوى: "ولقد جرى المسلمون قروناً طويلة على طريقة الكتابة المعروفة -إلا في كلمات قليلة- وأقر ذلك علماء تلك القرون، حتى إنني وأنا صغير تعلمت في مصحف مطبوع على هذه الطريقة بخط الخطاط ملا عثمان المشهور، حتى طُبع في مصر مصحف فؤاد ملك مصر، وأذكر أنه طُبع سنة ١٣٣٧ وكان عمري عشر سنين، وأشرف على طبعه شيخ قراء مصر يومئذ الشيخ محمد خلف الحسيني" (فتاوى علي الطنطاوي: ٣٢).

العناية بضبط قراءة القرآن [1]

هذه رسالة يلفت كاتبها النظر إلى أن بعض القرّاء في الإذاعة والرائي لا يراعون قواعد التجويد، مثل التفخيم والترقيق والإخفاء وما إلى ذلك.

✿ هذا الذي يسمونه الأداء، وهو قد يكون غيرَ دقيق عند بعض القرّاء ولكن أكثرهم الآن -والحمد لله- يحسنونه، وقد كان هذا داءً غالباً قبل عشر سنين ولكن الأمر اختلف اليوم بحمد الله بفضل جماعة تحفيظ القرآن؛ جزى الله خيراً من بدأ بها وقام عليها وكلٌّ من عمل فيها.

ومن أراد أن يسمع القراءة المضبوطة الضبطَ الكامل فليسمع الشيخ الحصري (أو تسجيلاته رحمه الله)، ومثله الشيخ الحلواني، وكثير غيرهما.

* * *

استظهار القرآن [2]

هل حفظ القرآن (أي استظهاره غيباً) واجب؟

✿ والجواب: لا؛ ليس بواجب. القدر الواجب حفظه من القرآن هو ما تصح به الصلاة، وهذا القدر حفظه واجب على كل مسلم.

والناس -بعد ذلك- درجات؛ فأستاذ الشريعة يحتاج إلى حفظ مقدار أكبر من القرآن، وإمام المسجد الذي يؤم الناس في الصلوات يحفظ ما يؤم به الناس، وأمثال ذلك.

---

[1] أذيعت سنة ١٤٠٠.

[2] أذيعت سنة ١٣٩٨.

التفسير والتأويل [1]

بعض كتب التفسير يكون اسمها «التأويل»، فما هو التأويل وما هو التفسير، وهل هما بمعنى واحد؟

✿ والجواب:

١- في اللغة: فسر بمعنى سفر، وهي من باب القلب. والقلب باب معروف في اللغة العربية ويكون بتقديم بعض حروف الكلمة على بعض مع اتحاد المعنى؛ مثل: أيس ويئس، وجذب وجبذ، ونحوها.

ونقول: سفر وأسفر إذا ظهر، وسفرت المرأة إذا كشفت عن وجهها، ومثله فسر. فإذا أردنا أن نعدّي الفعل فعلنا ذلك بالهمزة أو بالتضعيف؛ فنقول في كرُم: أكرم وكرّم. فالفعل «فسّر» فعلٌ متعدٍّ بمعنى أظهر، والتفسير -في الأصل- معناه إظهار الخفي من المعنى للسائل أو المخاطب؛ لأن ما يكون خفياً بالنسبة لواحد من الناس قد يكون ظاهراً بالنسبة لغيره.

٢- و«آلَ» الأمر إلى كذا أي: صار. نقول: وضعت الماء في الثلاجة فآلَ جليداً؛ أي صار جليداً. والفعل هنا لازم، فإذا أردنا تعديته قلنا: أوَّلَ، وأوّلته بمعنى صيّرته.

ويكون التأويل بمعنى الحال والتحقق؛ كما في القرآن: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [2]؛ أي وقوعه وتطبيقه. ويكون أيضاً بمعنى الانتقال من معنى إلى معنى، وهو التأويل المعنوي، ومنه التأويل الذي فيه الخلاف في آيات الصفات بين من يؤوّل ومن لا يؤوّل.

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٨.

[2] الأعراف: ٥٣.

٣- فالتفسير -إذن- هو إظهار المعنى، والتأويل بيان ما ينتهي إليه المعنى. وقد كانت المفردتان تستعملان قديماً بمعنى واحد فسُمّيت بعض كتب التفسير كذلك وسُمّي بعضها الآخر بالتأويل.

* * *

القرآن والنقد الأدبي [1]

هل نعتبر القرآن نصاً فنياً تنطبق عليه مقاييس النقد؟

✿ والجواب أن النقد لم يعد كما كان من قديم وكما تقرؤونه في كتب الأدب الأولى؛ فقد صارت للنقد -اليوم- مدارس ومذاهب، وله طرائق وأساليب تقوم على أسس علمية. فهل يجوز لبعض المدرّسين أن يأتي إلى القرآن فيطبق عليه هذه الأساليب؟

لا؛ هذه الأساليب تنطبق على كلام البشر ولا تنطبق على كلام الله. الناقد يبحث -مثلاً- عن العلاقة بين نفسية الأديب والقطعة الأدبية، فهل يمكن أن يُطبَّق هذا المنهج على كلام الله؟

لذلك فإن أفضل جواب هو ما قاله طه حسين من قديم (رغم أن أكثر ما يقوله مردود عليه ولا يقبله مسلم، إلا أنه أصاب في هذه)، فقد جاء بكلمة غريبة ولكنها صحيحة فقال إن الكلام ينقسم إلى نثر وشعر وقرآن؛ ومعنى هذا أن القرآن باب مفرد لا تنطبق عليه مقاييس النقد المعروفة التي تنطبق على النثر والشعر.

* * *

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٥.

ترجمة معاني القرآن [1]

سؤال من سائل يقول إنه وجد ترجمة للقرآن باللغة الإنكليزية مكتوب عليها إنها قرآن، فهل مثل هذا يسمى قرآناً؟

✿ لا؛ ليس بقرآن ولا تصح به الصلاة. وهذه الترجمات مفيدة في التعريف بالإسلام والترغيب به والدعوة إليه، ولكنها لا يمكن أن تصل إلى بلاغة القرآن وحلال معانيه. إن ترجمة آثار البشر من كبار الأدباء لا يمكن أن تصل إلى درجة البلاغة التي صاغها بها أصحابها، فكيف بكلام رب العالمين؟

* * *



---

[1] أذيعت سنة ١٤٠١.

(٤)

الإسلام والمذاهب



مرونة الشريعة الإسلامية [1]

هذا سؤال يقول: هل التشريع الإسلامي يخضع لظروف الزمان والمكان أم أن ظروف الزمان والمكان هي التي تخضع للتشريع؟ وهل يقبل الإسلام تغيير وسائله ومظاهره من جيل إلى جيل إن كان في ذلك حفظ لجوهره وتحقيق لغاياته، أم أنه لا يقر تغيير تلك الوسائل وتلك المظاهر وإن لم تعد صالحة لتحقيق غاياته والمحافظة على جوهره؟

✪ السؤال جيد والجواب عليه واسع جداً، ولكني سأحاول تلخيصه فيما يلي:

١- التشريع الإسلامي على قسمين: منه مسائل لا تتبدل ولا يُتصور تبدلها بتبدل الزمان والمكان، وأخرى تتغير بتغير الزمان وتبدل الأحوال.

٢- المسائل التي من صفتها الثبات وعدم التبدل وضع لها الإسلام قواعد ثابتة تفصيلية ولم يترك فيها مجالاً لاجتهاد. العبادات من هذا النوع؛ فلا يُتصور -مثلاً- أن يأتي يوم نحتاج فيه إلى تبديل أعمال الصلاة أو إضافة أشياء عليها. إنها عبادة مبنية على العلاقة بين العبد وبين ربه، والعبد لا يزال عبداً مهما عمل أو صنع، ولو وصل إلى القمر أو إلى المشتري أو اخترع ما

[1] أذيعت سنة ١٤٠٤.

اخترع، وكذلك الرب يبقى رباً، والعلاقة بين العبد وبين الرب لا تتبدل ولا تتغير، فالعبادة لا تتغير إذن. لذلك لو رجعتم إلى أي كتاب في أحاديث الأحكام، «نيل الأوطار» مثلاً أو «سبل السلام» الذي هو شرح «بلوغ المرام» فإنكم تجدون ثلاثة أرباعه عن الصلاة والصيام والحج. لماذا؟ لأن هذه الأمور لا تتغير ولا تتبدل؛ فوُضعت لها -من أجل ذلك- الأحكام التفصيلية الثابتة.

٣- الأمور الدنيوية ليست كذلك، بل هي تتغير بتغير الزمان، ولذلك وضع لها الإسلام الأساس الثابت وترك لنا التفاصيل. خذوا العقود مثلاً: الذي حدده الدين هو القواعد العامة للعقود؛ مثل أهلية المتعاقدين (فلا يعقد العقدَ مجنونٌ أو صغيرٌ لا يدرك مثلاً)، وحرية المتعاقدين (بانتفاء الإكراه، المادي منه -بمسدس أو بأي نوع من السلاح- أو المعنوي)، والألفاظ الدالة على العقد (التي تعبر عن الإرادة الجازمة مثل: بعتك، أو زوجتك، أو سواهما من الألفاظ الدالة على الإرادة القوية اللازمة لإبرام هذا العقد)، وأخيراً الغاية محل العقد (فلو جاء جماعة فعقدوا عقداً استكملوا فيه الشروط الشكلية والغاية منه تكوين عصابة لقطع الطريق لم تكن هذه الغاية مقبولة ولا العقد صحيحاً).

ومثل ذلك القضاء. وضع الشرع له القاعدة العامة في قوله تعالى: ﴿وإذا حَكَمْتُمْ بينَ النّاسِ أنْ تحكُموا بالعَدْلِ﴾[1]، هذا هو الأساس الثابت، فما يخالف العدل فهو مردود، أما طريق تحقيق هذا العدل فمتروك لنا: كيف تُقام المحاكم، وما هي درجاتها، وهل تُشكَّل المحكمةُ من قاضٍ واحد أو اثنين أو ثلاثة قضاة، وكيف تُستأنف الأحكام، ومتى تكون قطعية،

[1] النساء: ٥٨.

وكيف ترفع الدعوى، إلخ. هذا كله تركه لنا الشرع وترك لنا أن نجتهد فيه لأنه مما يتغير ويتبدل بتغير الظروف وتبدل الأزمنة.

٤- الخلاصة أن الأمور التي تتبدل بتبدل الزمان لها عندنا قاعدة شرعية، وهي من قواعد «المجلة» (مجلة الأحكام الشرعية) التي كان يُحكم بها في المحاكم أيام الدولة العثمانية. هذه القاعدة تقول: «لا يُنكَر تبدل الأحكام بتبدل الأزمان». ومقابلها قاعدة تقول: «لا مجال لاجتهاد مع ورود النص». هذه هي خلاصة الجواب على هذا السؤال.

* * *

الدعوة إلى توحيد الأديان [1]

جاءني سؤال مع صورة من عدد قديم من مجلة الهلال فيه مقال بعنوان «توحيد الإسلام والمسيحية» وفيه رأي للأستاذ محمد فريد وجدي -رحمه الله- خلاصته أن الإسلام جاء للتوحيد بين الديانات وأن دين الله واحد، ويستشهد بآية ﴿حتّى لا تكونَ فِتْنةٌ ويكونَ الدِّينُ كلُّهُ لله﴾ [2]، وينتهي إلى أن توحيد الديانتين ممكن؛ وذلك لمحاربة الكفر والرذيلة والإلحاد، وأشياء من هذا القبيل. ويسألني عن رأيي في هذا الأمر.

✿ والجواب أن هذا الموضوع من أخطر الموضوعات، وهو مما يعاد بعثه والحديث فيه بين وقت وآخر بعناوين مختلفة وأسماء متباينة، وجوابي عليه:

---

[1] أذيعت سنة ١٤٠١.

[2] الأنفال: ٣٩.

١- ما قاله فريد وجدي صحيح في قسمه الأول. الدين -في الأصل- لله، والله ﷻ بعث الرسل جميعاً بالتوحيد. الأنبياء جميعهم والديانات السابقة كلها مبناها على توحيد الله وإطلاق العبادة له وحده. نحن نقرأ في القرآن قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسولُ بما أُنزِلَ إليهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ وبعدها ﴿لا نُفَرِّقُ بينَ أحَدٍ من رُسُلِهِ﴾. ونؤمن ﴿باللّه وَمَلائِكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ﴾[1].

٢- فإيماننا بالكتب كلها والرسل جميعاً. نؤمن بالتوراة ونؤمن بالإنجيل، ولكن ليس بالتوراة التي في أيدي اليهود اليوم، فما هذه بالتوراة التي أنزلها الله، والله قال عنهم إنهم: ﴿يكتُبونَ الكِتابَ بِأيْديهِمْ ثُمَّ يقولونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللّهِ﴾[2]. ولا نؤمن -كذلك- بالأناجيل التي في أيدي النصارى اليوم، فهذه الأناجيل ليست هي ما أنزله الله على نبيه عيسى عليه السلام.

٣- القول بأن "الديانات التي بعث الله بها الرسل واحدة" صحيح، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ويَكونَ الدِّينُ كُلُّهُ للّهِ﴾. ولكن كيف يتحقق أن يكون الدين كله لله؟ يتحقق باتباع الديانة الأخيرة والرسالة الخاتمة. مثلاً: لو كان المنهج الذي تقرره وزارة المعارف للصف الخامس في التاريخ هو تاريخ الدولة الأموية، ثم عدلته في سنة أخرى إلى تاريخ الدولة العباسية، فجاء أستاذ فقال: أنا أدرّس الطلاب فأوحّد بين المنهجين، فهل يكون هذا مقبولاً منه؟ كيف يوحّد بين المنهجين؟ هل يدرّس الطلاب تاريخ الأمويين والعباسيين فيكلفهم بما لم تكلفهم به الوزارة؟ هل يخالف الوزارة؟ لا محل لمثل هذا الاجتهاد، ولو قام به واحدٌ من المدرسين لم يُقبل منه؛ لأن المنهج المتأخر ينسخ ما قبله. وحين تصدر أية هيئة تشريعية في الدنيا قانوناً ثم تصدر، هي نفسها، قانوناً آخر معدّلاً له يصبح العمل بالقانون الأخير.

---

[1] البقرة: ٢٨٥.

[2] البقرة: ٧٩.

٤- فهذه هي حقيقة توحيد الأديان التي نقبلها ونجدها صواباً: أن يرجع الناس إلى الدين الأخير وإلى الرسالة الخاتمة، رسالة الإسلام؛ ﴿إِنَّ الدينَ عِنْدَ اللّهِ الإسلامُ﴾[1]. كما قلت لكم من قديم: بين كل نقطتين يوجد خط مستقيم واحد، لا تتعدد الخطوط المستقيمة بين نقطتين اثنتين أبداً، وتوحيد الخطوط المختلفة بين هاتين النقطتين لا يكون إلا بانطباقها على الخط المستقيم. هذا هو توحيد الأديان الصحيح، لا يكون إلا بالتوحيد الخالص واتباع آخر الشرائع التي أنزلها الله.

* * *

علاقة المسلمين بغير المسلمين

سؤال عن علاقة المسلمين بغير المسلمين، والسؤال طويل وفيه تعرض لأمور كثيرة لا أتكلم أنا عنها هنا ولكن أبين وجهة النظر الإسلامية في هذه المسألة.

✪ وأنا أعرف مَن أجاب على هذا السؤال قبلي، والجواب موجود في كتاب تجدونه في كل مكان. إنه الله رب العالمين، وهذا الكتاب هو القرآن الكريم، وفيه قول الله تبارك وتعالى: ﴿لا يَنْهاكُمُ اللّهُ عَنِ الذينَ لَمْ يُقاتِلوكُمْ في الدِّينِ وَلَمْ يُخرِجوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطوا إليْهِمْ، إنَّ اللّهَ يُحِبُّ المُقْسِطين. إنَّما يَنْهاكُمُ اللّهُ عَنِ الذينَ قاتَلوكُمْ في الدِّين وأخرَجوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ وظاهَروا على إخراجِكُمْ أنْ تَوَلَّوْهُمْ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأولئِكَ هُمُ الظّالِمون﴾[2]. فالجواب:

---

[1] آل عمران: ١٩.

[2] الممتحنة: ٨-٩.

١- الكفر ملة واحدة؛ فالكفار كلهم يجمعهم الكفر، ولكنْ تفرق بينهم بعض الأحكام بحسب موقفهم منا.

٢- فالذين لم يخرجونا من ديارنا ولم يقاتلونا في ديننا ولم يعينوا علينا عدوَّنا، هؤلاء لنا أن نجاملهم مجاملة ليست من قبيل الموالاة؛ فنحن لا نواليهم ولا نؤيدهم على فرقة من المسلمين، وإنما هي -فقط- مجاملة وأدب اجتماعي لا يمنعه الإسلام مع أمثال هؤلاء.

٣- أما الذين قاتلونا في ديننا وأخرجونا من ديارنا واستولوا على بيوتنا وغصبوا أرضنا فهؤلاء ينهانا الله عنهم أن نودّهم أو نتولاهم، ومَن يتولاهم فهو من الظالمين.

٤- ومثلهم الذين يظاهرون علينا بإعانة هؤلاء الغاصبين وبمدّهم بالمساعدة وتأييدهم بالدعم، فإن الله ينهانا -كذلك- عن أن نكون لهم موالين أو أصدقاء أو محبين.

هذا هو حكم الله واضحٌ بيِّنٌ في قول الله، فمن عمل به وحرص عليه كان من الناجين، ومن تركه وأباه كان عند الله من الظالمين.

* * *

توظيف غير المسلمين [١]

سؤال من رجل صاحب أعمال يقول إنه يوظف عمالاً منهم المسلمون وغير المسلمين، وقد جاء برجل غير مسلم جعله مديراً لهم ومسؤولاً عنهم، ويسأل: ما حكم ذلك؟

---

[١] أذيعت سنة ١٤٠٤

✪ والجواب:

١- ربنا ﷻ بين لنا في ديننا كل ما ينفعنا في الدنيا والآخرة، وهو قد نهانا عن أن نتخذ بطانة من دوننا: ﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا لا تَتّخِذوا بطانَةً مِنْ دونِكُمْ﴾[1]. ما هي البطانة؟ انظر إلى بطانة الثوب كيف هي أكثر أجزائه قرباً منك. فالبطانة من الناس كذلك؛ هم الذين يكونون أقرب الناس إليك.

٢- فمَن كان محتاجاً إلى من يعينه في عمله فليبحث عن الذين يوثَق بهم من أهل الدين والصلاح، لأن الذي يعيِّن في مثل هذه المناصب غيرَ هؤلاء لا يأمن بغضهم ولو أظهروا له المودة. الله ﷻ قال في تتمة الآية السابقة (بعدما نهانا عن اتخاذ بطانة منهم): ﴿لا يَألونَكُمْ خبَالاً﴾، ولو أظهروا لنا المودة وابتسموا في وجوهنا فإنهم يضمرون العداوة والبغضاء. كلام الله واضح لا لبس فيه، فالبغضاء قد تبدو من أفواههم؛ قد يزل لسان أحدهم بكلمة ينطقها تدل على ما في نفسه من كره وعداوة، ولكن ما يخفيه قلبه من العداوة أشد وأكبر ﴿قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أفْواهِهِمْ، وَمَا تُبدي صدورُهمْ أكبَرُ﴾. إنهم لا يحبوننا ولا يخلصون لنا، فكيف نأتمنهم على أموالنا وأعمالنا وعمّالنا؟

٣- ولكن أنا لا أدعو إلى ظلم أحد من الذميين الذين حافظوا على الذمة بيننا وبينهم، إلا إذا نقضوا عهدهم معنا وآذونا وحالفوا عدونا علينا أو كانوا عيوناً له علينا.

٤- فالخلاصة أن على صاحب السؤال أن يتخذ عماله جميعاً من المسلمين، بل من المسلمين الصالحين.

* * *

---

[1] آل عمران: ١١٨.

التناقض بين الشرع وبين واقع الحياة [1]

سؤال عن التناقض والاختلاف بين العلماء بالفتوى، والتناقض بين الأحكام الشرعية وبين واقع الحياة في المجتمعات الإسلامية.

✪ والجواب:

١- مما ينبغي على كل مسلم أن يعرفه أن من أمور الشريعة ما لا يقع فيه الخلاف بين العلماء، بل ما لا يجوز فيه الخلاف أبداً؛ وذلك مثل قضايا العقيدة والفرائض الأصلية والمحرمات الأصلية.

٢- أما الاختلاف في الأمور الفرعية فيقع ولا يمنع منه الشرع، ومن هذا الباب حديث النبي ﷺ عن المجتهد، إذا أخطأ أجر مرة وإذا أصاب أجر مرتين. وهذا الاختلاف لا يضر، بل إن فيه تيسيراً وسعة على الناس، مثل القنوت في الصلاة يكون قبل الركوع أو بعد الركوع؟ كلاهما جائز ومأثور. يسلم المصلي من صلاة الجنازة تسليمة واحدة أو تسليمتين؟ كلاهما جائز ومأثور. يقول في افتتاح الصلاة: "سبحانك الله وبحمدك" أو "وجهت وجهي"؟ كلاهما جائز ومأثور. وهذه وأمثالها من المسائل التي يقع فيها الخلاف مثل أبواب الحرم: إن كان في الحرم غريبٌ ضلَّ طريق الخروج فسألك دللته على أي باب، فقد يخرج من باب أجياد أو باب السلام أو باب إبراهيم، ومن أي باب خرج وصل إلى حيث يريد، غاية ما في الأمر أنه قد يمشي بضع خطوات زيادة.

٣- أما القضية الأخرى التي أشار إليها صاحب الرسالة فالخطب فيها أكبر بكثير. التلميذ يقرأ في درس الدين بالمدرسة المحرمات ثم يخرج إلى

---

[1] أذيعت سنة ١٤٠٠.

الطريق في أكثر البلاد الإسلامية فيجد المحرمات ظاهرة أمام عينيه. هذه حقيقة ظاهرة مؤلمة، ويجب على المسلمين جميعاً أن يتعاونوا على إزالة هذا التناقض بين أحكام دينهم وبين أوضاع مجتمعاتهم.

* * *

الإيمان بالرسل [1]

سؤال يقول: نقرأ أن النبي ﷺ هو أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، ونسمع من يقول إنه أول خلق الله، والله يقول في كتابه العزيز: ﴿لا نُفَرِّقُ بيْنَ أحدٍ منهم﴾، فكيف نوفق بين هذا وهذا؟

✿ والجواب:

١- معنى ﴿لا نُفَرِّقُ بينَ أَحَدٍ منهُمْ﴾[2] أننا لا نفرق بينهم بالاعتقاد، فنحن نعتقد بأن كل الرسل الذين قصّ الله علينا قصصهم في القرآن هم رسل الله وأن الله أوحى إليهم بالرسالة، فلا نفرق بينهم في اعتقادنا هذا بهم.

٢- ولكن الله يقول: ﴿تلكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بعضَهُمْ على بَعْضٍ﴾[3]، فبعض الرسل أفضل من بعض في ميزان الله.

٣- أما نعت النبي ﷺ بأنه «أول خلق الله» فهي عبارة تُردَّد في الأناشيد النبوية التي وضعها بعض المتصوفة، وترد في التذكير الذي يضاف إلى الأذان ليلة الجمعة في بعض البلدان، وهي من مسائل الصوفية التي لا دليل عليها.

---

[1] أذيعت سنة ١٤٠١

[2] البقرة: ١٣٦ وآل عمران: ٨٤.

[3] البقرة: ٢٥٣.

وأول خلق الله هو آدم عليه السلام كما هو ثابت وصحيح.

* * *

الالتزام بالمذاهب [1]

سؤال يقول: هل المتعلّم ملزَم بالأخذ بأحد المذاهب الأربعة؟

✿ والجواب:

١- يوجد في كل علم من العلوم أو فن من الفنون أصحاب اختصاص انقطعوا إليه وانكبّوا عليه، فهم مرجعٌ فيه يرجع إليهم مِن الناس مَن لا اختصاص له به، ويأخذونه عنهم. فالذي يمرض ولده يأخذه إلى الطبيب، والطبيب يرجع إلى الكتب فيجد الدواء المناسب. وهذه الكتب موجودة بأيدي الناس، فلماذا لم يفتح الأب الكتاب فيبحث فيه عن الدواء لولده بنفسه؟ لأنه ربما أخطأ بفهم عبارة الكتاب فوصف دواء غير مناسب يقتل الولد أو يؤذيه، أما الطبيب فقد درس في كلية الطب وفهم عبارات الكتب وعرف أوجه تطبيقها، فهو فيها صاحب اختصاص. فالقاعدة أن الذي لا يعلم يسأل غيره من أهل الاختصاص فيقلّده ويعمل بجوابه.

٢- والله قد أنزل علينا القرآن الكريم وجاءنا النبي ﷺ بالسنة المطهرة، فهذا وهذه هما المرجع في الدين. والدليل الأصلي في الشرع هو قول الله ﷻ وقول النبي ﷺ الثابت عنه. ولكن الناس يختلف بعضهم عن بعض في فهم الآية وفهم الحديث، وهم طبقات في استنباط الأحكام الشرعية منهما، كما هي الحال في كل علم من العلوم.

---

[1] أذيعت سنة ١٤٠٠.

٣- فمن وسعه من الناس أن يفهم الكتاب والسنة وأن يستنبط منهما الأحكام الشرعية لم يلزمه التقليد، بل هو يجتهد لنفسه. فإن كانت استطاعته جزئية فإنه يقلد غيره بمقدار ما يعجز عنه.

٤- والذي درس في المدرسة مذهباً من المذاهب فلم يعلم غيره يعمل به. والذي درس المذاهب كلها وصار يستطيع أن ينظر في الدليل ويمكنه الترجيح بين الأدلة فيميز الأقوى منها من الأضعف فله -عندئذ- أن يأخذ بالدليل الأقوى ويعمل به ولو لم يلتزم في ذلك بمذهب واحد من المذاهب الأربعة. والمسلمون الذين كانوا قبل المذاهب لم يتبعوا أحداً منها لأن أصحابها (الأئمة الأربعة) لم يكونوا قد ولدوا آنذاك، فهل يؤاخَذون بذلك؟

٥- ومن الناس من هو عامي. والمقصود العامي في الفقه؛ فمن كان بارعاً في اختصاصٍ غيره -كالهندسة أو الكيمياء أو سواهما- وليس له بالفقه علم سُمِّي عند الفقهاء عامياً (كما أن المهندس -مثلاً- عامي في الطب والطبيب عامي في الزراعة...)، فهذا لا مذهب له، بل هو يسأل أي عالم يلقاه فيعمل بفتواه، ولا يلزمه أن يتبع أحد المذاهب الأربعة.

٦- فالمهم أن يعرف المسلم حكم كل عمل من الأعمال التي يعملها والتي تعرض له، والحكم معناه: هل هو فرض أم مندوب أم مكروه أم حرام. فإن استطاع أن يتوثق من الدليل فهو أفضل، وإلا فليعتمد على فتاوى الثقات من أهل العلم.

* * *



(٥)

الوعظ والعبادة

الوعظ بالترهيب

سؤال من طالبٍ في مدرسة متوسطة يشكو من مدرس الدين الذي يقول للطلاب دائماً: إن مآلنا إلى النار ولن يدخل الجنة منا أحد. ويخوّف الطلاب بأشباه هذا الكلام.

✿ والجواب على ذلك أن المسلم المثالي ينبغي أن يتقلب حاله بين الخوف والرجاء؛ فلا ييأس من رَوْح الله ورحمته لأن اليأس من رحمة الله كفر: ﴿إنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللَّهِ إلا القَوْمُ الكافِرون﴾[1]، ولا يأمن مكر الله لأن أمان مكر الله كفر: ﴿فَلا يَأمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إلا القَوْمُ الخاسرون﴾[2]. فمن اعتقد أن الله لن يغفر له ولن يدخله الجنة أبداً وأنه كائن إلى النار لا محالة -كما هو وصف السائل في هذا السؤال- فقد كفر بالله لأنه يئس من رحمته، و من لم يفكر بالنار أبداً ولا بالعذاب واعتقد أن الله سيغفر له مهما كان عمله فقد كفر أيضاً، لأنه أمن مكر الله.

فالمؤمن الحقيقي يرجو رحمة الله ويخاف عذابه. يقف المصلّي في الصلاة بين يدي الله فيقرأ: ﴿الحَمْدُ للّهِ رَبِّ العَالمين، الرَّحْمنِ الرَّحيم﴾ فيمتلئ قلبه بتصوّر رحمة الله ورجاء العفو والمغفرة ودخول الجنة، فهو هنا قد غلب عليه الرجاء. ثم يقرأ بعد ذلك: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّين﴾ فيتصوّر ذلك

---

[1] يوسف: ٨٧.

[2] الأعراف: ٩٩.

المقام العظيم الذي يُسأل فيه عن كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة من عمره من اللحظة التي بلغ فيها سن التكليف إلى أن مات، ويُطلَب منه أن يقدم حساباً عن كل قرش دخل عليه من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، فمن فشل في الجواب عُذِّب بالنار، فإذا تصوّر هذا امتلأ قلبه بالخوف من الله.

فهذا هو شأن المسلم في عامة أحواله: يتقلّب بين الخوف والرجاء، وعلى الواعظين والدعاة أن يذكروا الحالين ويذكّروا بهما. نعم، إن أكثر الناس اليوم يرجون ولا يخافون، ويقولون إن الله غفور رحيم وينسون أنه سريع العقاب، ولكن تخويف الناس والتذكير بالعذاب فقط دون ذكر رحمة الله ومغفرته لا يفيد: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ وأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

* * *

المبالغة في الدعوة إلى الزهد[2]

رجل سمع أحد الوعاظ يخطب ويقول إن من تمتع في الدنيا لم يتمتع في الآخرة، فمن كان عنده في الدنيا المنزل الفخم والسيارة الفارهة وأمثال ذلك فما له في الآخرة من نصيب، وإن من الزهد أن يدع الإنسان أطايب الطعام ويأكل القليل منه لأن النبي ﷺ أكل الخل وقال: «نعم الإدام الخل». ويسألني عن رأيي في هذا القول.

✿ والجواب:

ليس هذا الزعم وأمثاله من الإسلام. الرهبانية من اختراع النصارى

---

[1] المائدة: ٩٨.

[2] أذيعت سنة ١٤٠١.

وسواها من الأديان الباطلة، أما نحن -المسلمين- فندعو الله أن يرزقنا الخير في الدنيا والخير في الآخرة: ﴿رَبَّنَا آتِنا في الدُّنْيا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾[1]، والله ﷻ يقول: ﴿كُلوا مِنَ الطَّيِّباتِ واعْمَلوا صَالِحاً﴾[2] ويقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زينَةَ اللَّهِ التي أخْرَجَ لِعِبادِهِ والطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[3].

بعض الوُعّاظ يقومون على المنابر فيدعون إلى الزهد وإلى التخلي عن الدنيا؛ يريدون من المسلم أن يترك الطعام الطيب ويأكل الخل لأن النبي ﷺ قال: «نعم الإدام الخل». هذه هي مشكلة الفهم الناقص للحديث؛ يقرأ الواحد حديثاً فيريد أن يستنبط منه الحكم وهو لا يملك القدرة على الفهم.

النبي ﷺ كان يأكل أطيب الطعام إن حضر ويحب من اللحم قطعاً أكثر من سواها، وكان يُستعذَب له الماء، ولكنه ﷺ ما كان يسكن قصراً فيه مطبخ وفيه طبّاخون يصنعون له في كل يوم لوناً من الطعام أو يعرضون عليه أصناف الطعام ليختار منها؛ كان يأكل من الطعام ما حضر ولا يذمّ طعاماً أبداً، فإن استطاب الطعام أكله وإلا تركه. وهكذا نفهم حديث «الخل»؛ فقد دخل النبي ﷺ على بعض نسائه فسأل: أعندكم طعام؟ قالت: ما عندنا إلا الخل، فعندئذ قال ﷺ: «نعم الإدام الخل». ولو وجد طعاماً أفضل وأطيب لاستطابه وأكله.

الله ﷻ لم يطلب من المسلم أن يترك طيبات الدنيا ولا ذمّه على التمتع بها، ولكن نهاه عن أن يأكلها بالحرام. فما دام المال الذي يشتري به المسلم الطيبات جاء من حلال، وما دام صاحبه يؤدي حقه بالزكاة ويحمد عليه الله ولم يصر عبداً له، فإنه حلال له لا يؤاخذ على التمتع به.

---

[1] البقرة: ٢٠١.

[2] المؤمنون: ٥١.

[3] الأعراف: ٣٢.

وهذا المعنى هو الذي فهمه السلف، فقد قعد رجل إلى الحسن البصري وبين يديه حلوى يأكلها، فدعاه إليها فأبى وقال: "أخشى ألاّ أستطيع أداء شكرها". فقال له الحسن البصري رحمه الله: "كل يا لُكَع! وهل يؤدي أحدٌ شكرَ الماء البارد؟".

* * *

التأثر بالوعظ [1]

هذا سؤال من امرأة تقول فيه إنها تسمع الموعظة بالإذاعة أو تسمع حديثاً دينياً فتتأثر وتبكي، وتخاف من الله وتتوب وتلتزم بالصلاة، ثم تمر عليها مدة فتترك الصلاة. وتقول إنها من أسرة يصلي أفرادها فرضاً ويتركون عشرة كسلاً عنها. فماذا تصنع؟

✿ أولاً أبشّر هذه البنت بأن في قلبها إيماناً صادقاً، نبتة الإيمان فيه موجودة. مثل الذي في بيته نبات يظنه ميتاً لكن فيه حياة، يظنه كذلك لأنه ذابل من قلة الماء والشمس، فإن سُقي ماء وعُرِّض إلى الشمس فإنه ينمو وينتعش.

ما دام سماع الموعظة يؤثر فيك فإنه ينبه في نفسك الإيمان. إذن أكثري من سماع المواعظ، واسمعي البرامج الإذاعية التي تذكرك بالله، وصاحبي من النساء ذوات الدين، واقرئي القرآن ما استطعت، واقرئي من الكتب النافعة ما يذكّرك بالله وبالآخرة. والله يوفقك إلى ما يرضيه.

* * *

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٥.

التزمّت في الدين [1]

سؤال عن التزمّت. يقول إنه يسمع قدحاً بالذين يتزمتون في الدين، ثم يسأل عن التزمت المبغوض.

✿ والجواب أن الذي يتبادر إلى الذهن عن التزمت الذي لا يحبه الله هو ما بيّنه الإمام ابن القيم عن بعض أنواع الورع، حيث قال إن من الورع نوعين فاسدين: ورعاً كاذباً وورعاً بارداً.

فأما الورع البارد فقد تحدث عنه الأولون، فما هو الورع الكاذب؟ هو الذي عليه الكثير من الناس؛ يهتمون بتجويد الظواهر وإصلاحها قبل إصلاح البواطن. فالتزمت -بهذا التعريف- هو تصليح الظواهر. المتزمت يتورع أمام الناس عن المكروه فلا يأتيه ويأتي الحرام الحقيقي. يحسّن ظاهره فيتبع السنة في شكله وفي مظهره الذي يبدو للناس ثم لا ينقّي قلبه من الرياء ولا سريرته من الحسد ولا من بغض المسلمين.

فمن أراد أن يكون صالحاً ورعاً الورع الحقيقي فينبغي أن يبدأ من الداخل، فيصلح «جوّانيّه» قبل أن يصلح «برّانيّه».

* * *

الرياء والعبادة

سؤال طويل خلاصته: أيترك المسلم الطاعة خوفاً من الرياء؟

✿ والجواب:

---

[1] أذيعت سنة ١٤٠٠.

١- لا. الطاعات التي هي من الفرائض لا يكون فيها رياء؛ فإذا صلى المسلم الظهر أو العصر في المسجد والناس ينظرون إليه لم يكن في عمله رياء لأنه لا بد له من الصلاة، ولكنه لو زاد في صلاته وحسّنها لِظَنِّه أن الناس يرونه فقد خالطها الرياء، وهو يُذهِب بعمله هذا جزءاً من ثوابه.

٢- أما الرياء الخالص المعدود في الكبائر والذي يمس العقيدة فهو أن ينشئ عمله ابتغاء رضاء الناس، فيصلي أو يعمل العمل الصالح ليروه فيكافئوه أو يشكروه، لا يقصد وجه الله بهذا العمل ولا يبتغي ثوابه، ولو علم أن الناس لا يرونه لم يأتِ به أصلاً. فهذا رياء خالص كامل يحبط عمله ويحرمه أجره.

٣- ومن الرياء ما يُسمَّى الرياء الخفي، والبحث فيه موجود في كتب كثيرة، وأفضل من كتب عنه الغزالي في الإحياء[1]. والغزالي عالم ومفكر عظيم ولكنه تأثر في آخر حياته بالصوفية فنشأت من ذلك في «الإحياء» أمور يخالف بعضها السنّة، ولو خلا منها لكان من أعظم الكتب[2]. والأمر الآخر أن كثيراً من أحاديث هذا الكتاب غير صحيح، فمن قرأ فيه فليقرأ معه تخريج أحاديثه للحافظ العراقي، وهي مطبوعة بهامش الكتاب في أكثر الطبعات.

---

[1] انظر للتفصيل: إحياء علوم الدين، الجزء الثالث، ص ٣٢٢ وما بعدها. وانظر أيضاً مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة، ص ٢٣٧ وما بعدها، وهو قد اختصر عبارات الغزالي، وفيه أن الرياء يكون مستبطناً بالقلب وعلامته أن يسر العبد باطلاع الناس على طاعته، فرب عبد يخلص العمل ولا يقصد الرياء لكن إذا اطلع عليه الناس سرّه ذلك وارتاح له. إلى أن يقول: ومتى لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن خالياً عن شوب خفي من الرياء، وكل ذلك يوشك أن ينقص الأجر، ولا يسلم منه إلا الصدِّيقون.

[2] انظر الحديث عن الغزالي وعن «الإحياء» في الصفحة ٢٥٣ من هذا الكتاب.

٤- وأفضل وأوجز ما قيل في الرياء كلمة للفضيل بن عياض، وهو من الصالحين الزهاد وصاحب القصة المشهورة مع هارون الرشيد، يقول فيها: "تركُ العمل لأجل الناس رياء، والعملُ لأجل الناس شرك". ومعنى هذه الكلمة أن ترك العمل الصالح خوفاً من انتقاد الناس رياء، أو هو نوع دقيق من الرياء، أما العمل لأجل الناس فقد عدّه شركاً لأنه عُمِل لغير الله والأصل فيه أن يُعمَل لله.

* * *





(٦)

الطهارة والوضوء
والحيض والغسل

الكولونيا لا تنقض الوضوء [1]

سؤال عن العطور المستوردة (الكولونيا)، هل تنقض الوضوء أو لا تنقضه؟

✿ والجواب:

١- أما أنها تنقض الوضوء فلم يقل بهذا أحد؛ لأنه لو وضع المرء على يده النجاسة لا ينتقض وضوؤه بذلك. النجاسة لا تنقض الوضوء، بل عليه أن يغسل يديه منها ليزيل النجاسة عنها.

٢- بقي الكلام عن الكولونيا ذاتها، أو عن الإسبيرتو الذي تُصنع منه، هل هو نجس أو غير نجس؟ أجيب بإيجاز لأن الكلام سبق في هذا الموضوع مرات. المعروف أن في الخمور نسبة من الإسبيرتو، وكلما زاد إسكار الخمر زادت فيها نسبة الإسبيرتو، فالسؤال هنا هو: هل الخمر نجسة نجاسة حكمية أم نجاسة عينية حقيقية؟

٣- أكثر الفقهاء على أن النجاسة في الخمر حقيقية؛ أي أنهم يعتبرونها نجسة مثل البول وغيره من الأشياء النجسة، والمحققون من العلماء يقولون إنه لا دليل على أنها كذلك؛ أي أنهم لا يتفقون على أن نجاستها حقيقية،

---

[1] أذيعت سنة ١٤٠١.

بل تكاد تكون عندهم نجاسة حكمية.

٤- الخلاصة: هل الإسبيرتو هي عين الخمر؟ الظاهر أن الجواب: نعم، حتى إن معنى الكلمة باللغة الإيطالية هو: "روح الخمر". هل نجاستها حقيقية؟ الجواب أنها تتبع الخمر؛ وقد أفتى من علماء العصر جماعة كبار منهم الشيخ محمد بخيت المطيعي (مفتي الديار المصرية في زمانه) والسيد رشيد رضا وغيرهما بأن الإسبيرتو مادة طاهرة. وفي هذه الفتوى تيسير على الناس لكثرة استخدامها في تطهير الجروح وغير ذلك.

* * *

كشف العورة أثناء الوضوء[1]

رسالة يذكر فيها كاتبها عادة قبيحة منتشرة في أماكن الوضوء العامة في المساجد، وهي أن بعض الناس عندما يأتون إلى الوضوء يقومون بالاستنجاء ويقضون حاجاتهم أمام الآخرين في الأماكن المكشوفة المخصصة للوضوء.

✿ وهذا رأيته أنا مرةً وأنكرته إنكاراً شديداً لما اضطررت إلى دخول مسجدٍ للوضوء في جدة من بضع سنين. والأولى أن يخرج الإنسان من بيته متوضئاً دائماً فحيثما أدركته الصلاة صلّى دون الحاجة إلى تجديد وضوئه.

وبعض الناس يظنون أن الاستنجاء قبل الوضوء لا بد منه فيكشفون عوراتهم أمام الناس. مع أن الاستنجاء بعد الاستبراء سنة وكشف العورة حرام، والفرض إذا كان لا يتم إلا بارتكاب حرام يُترَك خشية الوقوع في الحرام فكيف بالسنة؟

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٩.

وهؤلاء يكشفون عوراتهم جهلاً ولكن بحسن نيّة، ولا أقول إنهم فقدوا الحياء أو قصدوا مخالفة الدين. فينبغي إرشادهم وتوعيتهم، وربما يساعد على ذلك وضع لوحات في أماكن الوضوء تُبيِّن فيها أحكام كشف العورات.

* * *

أقل الحيض وأكثره [1]

سؤال عن الحيض عند النساء، ما هو أكثره وما هو أقله؟

❁ والجواب:

١- لم يُروَ حديث صحيح صريح في تحديد مدة أقل الحيض وأكثره، وحتى الحديث الذي يحتجّ به الحنفية وهو «أقل الحيض للجارية البكر والثيب ثلاثة أيام وأكثره عشرة أيام» قال عنه ملاّ علي القاري (وهو من فقهاء الحنفية، و«ملاّ» معناها شيخ، أي الشيخ علي القاري)، قال عنه في «الموضوعات» إنه لم يصح.[2]

٢- أما تفصيل المسألة في المذاهب؛ فالحنفية قالوا: أقل الحيض ثلاثة أيام بلياليها وأكثره عشرة أيام ولياليها، وأوسطه خمسة. واستندوا إلى الحديث المذكور. وعند الشافعية والحنابلة: أقل الحيض يوم وليلة، وأكثره خمسة عشر يوماً بلياليها.[3] وأما في مذهب مالك: فتقدير أكثر الحيض تابع

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٨.

[2] ورواه في «نصب الراية» من ست طرق ثم قال: وكلها ضعيفة.

[3] ودليلهم الاستقراء؛ وهو السؤال والتتبع لأحوال النساء الذي قام به الشافعي في زمانه.

لعادة المرأة.[1]

٣- وجعلُ التقدير تابعاً لعادة المرأة يبدو صحيحاً؛ فالذي يقوله الأطباء في كتبهم أن دورة الطهر والحيض مثل دورة القمر: ثمانية وعشرون يوماً تحيض المرأة منها سبعة أيام[2]. وسمعت من طبيب نسائي كبير أن الحيض إذا زاد أياماً أو نقص أياماً فهو من تأثير الانفعالات. وهذا هو الذي يذكرونه في الكتب المتداولة من أن الانفعالات النفسية وبعض العقاقير قد تزيد من مدة الحيض أو تنقص منه، وهذا بخلاف المدة الطبيعية.

* * *

لمس المصحف للحائض[3]

تسألني مدرّسة تدرّس القرآن في مدارس البنات عن لمس البنت البالغة المصحف وهي في الحيض، هل قال أحد بجوازه؟ وماذا تفعل هي أو طالباتها إذ كنّ بالحيض وكان درس القرآن أو كان الامتحان فيه؟

✪ والجواب أن المالكية رخّصوا للحائض في لمس المصحف وكتابته

---

[1] فقالوا إنه لا حدّ لأقله، فيُعتبر حيضاً ولو كان دفقة في لحظة. وأما أكثره فيقدَّر بزيادة ثلاثة أيام على أكثر عادتها، والعادة تثبت بمرة، ما لم تجاوز نصف الشهر.

[2] ويؤيد ذلك ما قاله النبي ﷺ لحمنة بنت جحش لمّا سألته: «تحيّضي في علم الله ستة أيام أو سبعة، ثم اغتسلي وصلي أربعاً وعشرين ليلة وأيامها أو ثلاثاً وعشرين ليلة، فإن ذلك يجزيك. وكذلك فافعلي في كل شهر كما تحيض النساء ويطهرن لميقات حيضهن وطهرهن». والحديث رواه أبو داود والنسائي والترمذي وأحمد وصححاه، وحسّنه البخاري (نيل الأوطار: ١/٢٧١).

[3] هذه الفتوى مما وجدته بخط الشيخ بين أوراقه وليس عليها تاريخ كتابتها أو إذاعتها أو نشرها، وقد أثبتها كما هي رغم أن في الجزء الأول المنشور من الفتاوى جواباً مفصلاً على مثل هذا السؤال، انظر «فتاوى علي الطنطاوي»: ١٧٣.

للتعلم أو التعليم، كما رخصوا لها في التلاوة. وأنا أرى أن نأخذ بهذا القول لئلا يمتنع عن التلميذات تعلم القرآن؛ إذ لا تخلو كل حصة من حائض أو أكثر من الطالبات، هذا إذا لم يدّعين الحيض هرباً من الدرس.

والمذاهب الأربعة كلها صحيحة مستمدة أحكامها من الكتاب والسنة. هذا وابن حزم وبعض المفسرين يفسّر آية ﴿لا يَمَسُّهُ إلاّ المُطَهَّرون﴾[1] بأنها إخبارٌ يُراد به الملائكة، وابن حزم وإن كان لا يصح تقليده يُستأنس أحياناً بقوله.

* * *

المذي لا يوجب الغسل

سؤال من امرأة تبدو فيه الرغبة في التعلم ويظهر من خلاله الحياء والأدب، تقول فيه إنها إذا رأت بعض المشاهد العاطفية تحس بشيء مثل المذي الذي يكون عند الرجال، فماذا تفعل؟

✿ والجواب أنه ليس عليها غسل لأن هذا يُذهب الوضوء ولا يوجب الاغتسال، فتتوضأ وتصلي.

* * *

[1] الواقعة: ٧٩.



(٧)

الصلاة

القراءة في الصلاة [1]

سؤال عن قراءة القرآن في الصلاة بعد الفاتحة.

✿ والجواب:

١- في الركعتين الأولى والثانية من صلاة الفرض يقرأ المصلي الفاتحة وبعدها شيئاً من القرآن.

٢- ويصنع مثل ذلك في جميع ركعات النفل. فإذا كانت صلاة النفل ركعتين قرأ بعد الفاتحة فيهما شيئاً من القرآن، وإذا كانت أربع ركعات قرأ بعدها في الركعات الأربع جميعاً.

٣- أما ما الذي يقرؤه بعد الفاتحة فالجواب في قوله تعالى: ﴿فَاقْرَؤُوا ما تَيسَّرَ منه﴾[2]. وأقل ذلك أن يقرأ آية طويلة أو ثلاث آيات قصار، وإذا قرأ سورة قصيرة أجزأته. وقد ورد أن عبد الرحمن بن عوف ﷺ لما تقدم فصلى بالمسلمين الفجر إثر طعن عمر ﷺ قرأ في الركعتين بعد الفاتحة أقصر سورتين في القرآن: «العصر» و «الكوثر».

* * *

---

[1] أذيعت سنة ١٤٠١.

[2] المزمّل: ٢٠.

وقت الصلاة [1]

سائل يسأل: هل يصح تأخير صلاة العشاء إلى ما بعد منتصف الليل؟ ويقول إنه قرأ في كتاب «تعليم الصلاة» للشيخ الصواف أن وقت صلاة العشاء من غياب الشفق الأحمر حتى طلوع الفجر، ومن أدرك ركعة من العشاء قبل طلوع الفجر فقد أدرك العشاء.

✪ والجواب أن هذا صحيح.

أوقات الصلوات لها أول ولها آخر وفيها متسع، وإن كان بعضها أوسع وقتاً من بعض. والصلاة في أول الوقت أفضل من الصلاة في غيره، فالعشاء أولى أن تُصلّى قبل نصف الليل، لكن إذا أُخّرت -كما يقول الشيخ الصواف- فأدرك المصلي منها ركعة قبل دخول وقت الصبح، أي قبل طلوع الفجر الصادق، فقد صلاها في وقتها.

* * *

جماعة النساء [2]

سؤال عن المرأة، هل لها أن تؤم النساء؟

✪ والجواب: نعم؛ يجوز للمرأة أن تؤم النساء إن صلين جماعة، فتقف في الصف في وسطه أو تتقدم قليلاً (وليس كتقدم الإمام من الرجال على صف الرجال خلفه)، هذا الذي قاله الفقهاء. وإن كان في موضع إقامة

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٨.

[2] أذيعت سنة ١٣٩٨.

الجماعة رجل أجنبي يستمع صوت المرأة في القراءة فإنها لا تجهر بها، أما إذا لم يسمعها رجل فلا بأس في أن تجهر بقراءة القرآن.

* * *

الخجل من الصلاة أمام الناس

فتاة تسأل عن جواز قضاء الصلوات التي تفوتها أثناء زيارة صديقاتها. تقول إنها تخجل أن تطلب الصلاة في بيوتهن فتفوتها الصلاة.

✿ والجواب أن تأخير الصلاة عن وقتها لمثل هذا العذر لا يجوز، والأصل أن الصلاة تُؤدّى في وقتها الذي كتبه الله ﷻ لها، لأنها جُعِلت كتاباً موقوتاً.

ولماذا تخجلين يا ابنتي من الصلاة؟ المسلم لا يخجل بإسلامه. المسلم (أو المسلمة) عليه أن يؤدي الصلاة إذا جاء وقتها أينما كان، يجهر بها ويفخر بأدائها، كما يعلن إسلامه ويعتزّ به، والله ﷻ يثيبه ويثبّته ويقويه ويحمل الناس على احترامه.

وقد كنتُ -لما زرت المراكز الإسلامية في ألمانيا وبلجيكا- أطوف مع مجموعات من الشباب، فربما أدركتنا الصلاة في المكان العام فنصلي في حديقةٍ على جانب الطريق، وكنت أجد أن الناس يعجبون ممن يفعل ذلك ويحترمونه ويقدّرونه.

فلا تخجلي من طلب الصلاة في بيوت صديقاتك ولا في أي موضع آخر، واجعلي إظهار ذلك والجهر به مصدر فخرٍ لك واعتزاز.

* * *

صلاة الجمعة في السفر [1]

سؤال عن رجل يخرج إلى السفر يوم الجمعة فيكون في الصحراء خارج البلد، أتجب عليه صلاة الجمعة؟

✿ والجواب:

١- صلاة الجمعة لا تقام في الصحراء، فإذا خرج قومٌ في نزهةٍ أو غيرها فكانوا في البادية فهؤلاء لا يصلّون الجمعة.

٢- بقيت مسألة حول خروجهم: متى يخرجون؟ وهذه فيها خلاف بين المذاهب. فذهب الشافعية إلى أن من أراد الخروجَ من البلد يوم الجمعة يخرج من الفجر أو من أول النهار حتى لا يكون مؤاخَذاً بترك صلاة الجمعة. أما الأحناف فقالوا إنه ما دام قد خرج قبل وجوب الصلاة فلا شيء عليه، فلو خرج قوم في نزهةٍ في الساعة الحادية عشرة (قبل وقت الجمعة بساعة أو نصف ساعة) فلما جاء وقت الصلاة وجدوا أنفسهم في الصحراء فلم يقيموها لم يأثموا، وحجتهم في هذا أن الله ﷻ إنما يؤاخذنا بترك الواجب، والجمعة لا تصير واجبة إلا بدخول وقتها، كما لو سافر المرء في شعبان فدخل عليه رمضان وهو مسافر فأخذ برخصة السفر فأفطر هل يؤاخَذ؟ قالوا: لا؛ لأنه لم يجب عليه الصيام ما دام رمضان دخل عليه وهو غير مقيم.

٣- لكن يبقى أمرٌ ثانٍ، فالحديث -الذي هو أصلٌ من أصول الدين- يقول: «إنما الأعمال بالنيّات»[2]، فإذا خرج هذا الذي يخرج ليهرب من

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٥.

[2] رواه الخمسة (البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي)، وهو أول حديث في صحيح البخاري وأول حديث في الأربعين النووية.

صلاة الجمعة فلا يصليها فإنه يحاسَب عن قصده ويجازى على نيته. وهو قد يخفي نيته عن العباد فلا يعرفونها، ولكن كيف يخفيها عن رب العباد المطّلع على الضمائر وما تخفيه السرائر؟

* * *

الصلاة أثناء خطبة الجمعة [1]

سؤال عن الذي يدخل المسجد يوم الجمعة والإمام يخطب، هل يصلي قبل القعود أو لا يصلي؟

✿ والجواب أن النبي ﷺ أمر من جاء أثناء الخطبة أن يصلي ركعتين خفيفتين قبل القعود، وهو حديث صحيح [2]. وقد ذهب بعض الفقهاء إلى غير

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٨.

[2] الحديث الذي يرويه جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ وهو يخطب: «إذا جاء أحدكم والإمام يخطب أو قد خرج فليصلِّ ركعتين». أخرجه البخاري وترجم للباب بقوله: «باب من جاء والإمام يخطب صلى ركعتين خفيفتين». وأخرجه مسلم عن جابر أيضاً ولفظه: جاء سليك الغطفاني يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب فجلس، فقال له: «يا سليك، قم فاركع ركعتين وتجوّزْ فيهما»، ثم قال: «إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما». وأخرجه عنه أبو داود وأحمد والدارمي، وأخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري وقال: وفي الباب عن جابر وأبي هريرة وسهل بن سعد، قال: وحديث أبي سعيد الخدري حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند بعض أهل العلم، وبه يقول الشافعي وأحمد وإسحاق، وقال بعضهم: إذا دخل والإمام يخطب فإنه يجلس ولا يصلي، وهو قول سفيان الثوري وأهل الكوفة، والقول الأول أصح. حدثنا قتيبة حدثنا العلاء بن خالد القرشي قال: رأيت الحسن البصري دخل المسجد يوم الجمعة والإمام يخطب فصلى ركعتين ثم جلس، وإنما فعل الحسن اتباعاً للحديث، وهو روى عن جابر عن النبي ﷺ هذا الحديث.

هذا الرأي ولكن الحديث أولى أن يُعمَل به بلا شك.

* * *

اقتراحات لتحسين خطبة الجمعة

عدد من الرسائل فيها انتقاد لخطب الجمعة. في إحداها أن ثلاثة أرباع الخطباء (والإحصاء ليس من عندي وإنما على ذمة صاحب الرسالة) لا يؤدون الخطبة يوم الجمعة على الشكل المطلوب، فترى نصف المصلين يستغرقون في النوم والباقين غير متأثرين بالخطبة، لأن الخطب تجري على نمط واحد ولا تُتلى بأسلوب يبعث الحماسة في قلوب المصلين... وتفصيلات أخرى من هذا القبيل.

❁ وأنا لست في مقام من يحق له أن يوجّه الخطباء، لأن كثيراً منهم أعلم مني وأفضل. ولا أقيم نفسي واعظاً لهم أو مفتشاً عليهم، ولكني أقترح وأرجو حتى تتم المقاصد التي من أجلها شُرعت الخطبة، والتي لو أمكننا أن نستفيد منها حقاً لغيّرنا وجه العالَم؛ لأننا نملك مئات الآلاف (وربما الملايين) من المنابر، يقوم عليها يوماً من كل أسبوع مئات الآلاف (وربما الملايين) من الخطباء فيخاطبون مئات الملايين من المصلين، لا يملك أحدٌ منهم أن يقاطع أو يعترض، بل هم ملزَمون كلهم بالإنصات والاستماع، ولا يستطيع أحدٌ منهم أن يغادر أو ينصرف، بل هم مرغَمون جميعاً على البقاء حتى تنتهي الخطبة وتتم الصلاة.

وأنا -لذلك- أرجو من الإخوة الخطباء أن يهتموا بثلاثة أمور:

أولها: اختيار الموضوع مما يهم الناس والتحدث إليهم باللسان الذي

يفهمونه؛ فنقف على الأرض التي يقف عليها الناس ولا نحلّق عالياً، ونبقى معهم حيث هم فنفكر كما يفكرون. ينظر الخطيب كل أسبوعٍ فيما يهم الناس فيتكلم فيه، ويبين لهم حكم الشرع فيما يسألون عنه ويشاركهم فيما يتحدثون فيه، فلا يكون في وادٍ والناس في آخر.

والثاني: إلقاء الخطبة بالأسلوب الطبيعي بلا تصنّعٍ أو تكلّف، فإذا اقتضى الموضوعُ الحماسةَ تحمّس، وإذا اقتضى الهدوء هدأ. لا يتحمس وينفعل ويصيح في كل موضع. ومن أراد النصح فعليه بحسن الأسلوب ورقة العبارة، أما الذي يصيح بالناس من فوق منبره: "أنتم مخطئون، مقصّرون..."، فهذا لا نفع نصحه ولا استفاد منه أحد. والخطباء يخطبون اليوم من وراء المكبرات فلا ضرورة للصوت العالي الذي يقرع الرؤوس ويخرق الآذان.

والثالث: عدم تطويل الخطبة؛ لأن تطويلها يدفع المصلين إلى الملل. بعض الخطباء ربما استمرت خطبته -كما سمعت- ساعة أو أكثر. هل هذا معقول؟ إن من علامة فقه الإمام تقصير الخطبة، فكيف تكون خطبة جمعة بطول ساعة وكيف يحتمل ذلك المصلّون ويصغون ويتفاعلون وفيهم المريض والمشغول؟

يحتج بعض الخطباء بأن الناس لا يأتون إلى المسجد إلا يوم الجمعة، فهم يريدون اغتنام الفرصة فلذلك يطيلون. والأولى أن يصنعوا كما كان يصنع شيخنا، الشيخ خالد النقشبندي (وهو من علماء السلفية في الشام)، فقد كان يخطب خطبة قصيرة لا تزيد عن ربع ساعة ثم يقول للناس: "هذا هو المختصر، فمن شاء التوسع فليقعد بعد الصلاة إلى الدرس أو المحاضرة. فإذا انقضت الصلاة بدأ بدرسه المطوّل فأقبل الناس عليه لا ينصرف غير المريض وذي الحاجة، فتكون الفائدة بقعود الناس راضين مختارين أكبرَ وأعمَّ من جلوسهم ملزَمين راغمين.

وأنا قد توليت خطبة الجمعة احتساباً (بلا راتب) سنين طويلة في مسجد جامعة دمشق ثم في جامع المُرابِط في حي المهاجرين في دمشق، فكنت أتبع هذه الطريقة. وزدت عليها شيئاً جديداً؛ وهو أنني أعلن من أول الشهر (وألصق الإعلان على باب المسجد) موضوع الخطبة الأولى لكل جمعة ليعرفه المصلون قبل أن يأتوا إلى الصلاة، كما يعرفون موضوع كل محاضرة يذهبون لاستماعها. أما الخطبة الثانية فأجعلها لبيان حكم الشرع فيما يجدّ من الأحداث. أما ما يمشي عليه أكثر الخطباء من جعل الخطبة الثانية أدعية لا تتبدل (حتى إن من السامعين من يحفظها غيباً) فهذا مخالف لما شُرعت له الخطبة.

ومما يؤخَذ على كثير من الخطباء -أيضاً- أنهم يرتجلون قبل أن يستكملوا عدة الارتجال فيقعون في الأخطاء الكثيرة، ومنهم -بالمقابل- من يحمل ورقة يقرأ منها لا يرفع بصره عنها فلا يؤثر في السامعين.

على أن من عرف خطب الجمعة قبل سبعين سنة أو ستين (في دمشق مثلاً) سيدرك أننا قد تقدمنا مراحل في طريق الإصلاح؛ فقد كان أكثر الخطباء يخطبون -في تلك الأيام- من دواوين مطبوعة أشهرها ديوان ابن نباتة، الخطيب المشهور، وأكثر تلك الخطب في التزهيد في الدنيا والحث على الانصراف عنها، وهي مما لا يناسب هذا العصر ولا يترك أي أثر في قلوب السامعين.

* * *

الاقتداء بالمأموم

هل تجوز الصلاة مع إنسان كان مأموماً وفاته شيء من الصلاة، فلما

ذهب يتمّه اقتدى به غيره فصار إماماً؟

✿ الاقتداء بالمأموم جائز على بعض المذاهب[1].

* * *

إمام المسجد غير المتفرغ [2]

سؤال عن إمام في أحد المساجد معيّن من قبل وزارة الأوقاف ويتقاضى راتباً، وهو يجمع إلى الإمامة وظيفة ثانية في دائرة من الدوائر، فلا يستطيع أن يقوم بالإمامة في بعض الأوقات بسبب شغله للوظيفتين. فهل الأجر الذي يتقاضاه حلال أم حرام؟

✿ والجواب:

على الموظف في وزارة الأوقاف (أو في أي وزارة أو دائرة أخرى) أن يؤدي حق وظيفته كاملاً ليكون الراتب الذي يتقاضاه عليها حلالاً. وهذا الإمام رئيسه أو مرجعه في عمله هو وزير الأوقاف أو وكيل الوزارة، فلو أذن له هذا الرئيس المسؤول عنه ووافق على ارتباطه بعمل آخر -ولو أدّى إلى تفويت الإمامة في بعض الصلوات- فلا شيء عليه، أما إذا لم يكن كذلك فهو مقصر ويأخذ الراتب الذي يأخذه بغير حق.

* * *

[1] في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة (٤١٣/١) أن الاقتداء بالمسبوق لا يصح عند المالكية والحنفية مطلقاً، ويصح عند الشافعية والحنابلة. قالوا: لا يصح الاقتداء بالمأموم ما دام مأموماً، فإن سلم إمامه وكان مسبوقاً صح اقتداء مسبوقٍ مثله به، إلا في صلاة الجمعة.

[2] أذيعت سنة ١٣٩٦.

وصل الصفوف في الصلاة [1]

في بعض المساجد لا يكمل المصلون الصفوف، فترى صفاً ناقصاً وخلفه صف مكتمل. فما الحكم؟

✿ السنّة أن توصل الصفوف؛ فمن وصل صفاً كان له أجر بعمله هـذا (كما جاء في الحديث[2]).

* * *

«الصلاة خير من النوم» في أذان الفجر [3]

ما حكم إضافة عبارة «الصلاة خير من النوم» إلى الأذان؟

✿ والجواب أن إضافة هذه الجملة في أذان الفجر خاصة مستحب. فإن قالها المؤذن فهو أولى، وإن لم يقلها صح الأذان وصحت الصلاة.

* * *

[1] أذيعت سنة ١٣٩٨.

[2] حديث عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من وصل صفاً وصله الله ومن قطع صفاً قطعه الله عز وجل». رواه النسائي وأبو داود وأحمد.

[3] أذيعت سنة ١٣٩٥.



(٨)

الصيام

تأخير قضاء الصوم

سؤال من رجل يقول إن عملية قد أجريت له فأفطر أياماً من رمضان ولم يستطِع أن يقضيها حتى دخل رمضان الثاني. وهو سؤال يرد مثله كثيراً من النساء: تفطر الواحدة أياماً من رمضان بحكم العادة ثم لا تقضيها حتى يدخل رمضان الجديد، ماذا تعمل؟

✿ والجواب: الدَّين لا بد من قضائه؛ فمَن كان عليه أيام لا بد أن يصومها ولو دخل رمضان الجديد. أما الخلاف بين الفقهاء فهو حول الإطعام مع الصيام؛ ففي المذاهب الثلاثة -غير المذهب الحنفي- أن المرأة (أو الرجل في هذا السؤال) تصوم وتطعم؛ أي تصوم السبعة الأيام وتطعم عن كل يوم مسكيناً مقابل التأخير. أما الحنفية فقالوا إن عليها الصيام فقط ولا يلزمها الإطعام.

* * *

الإفطار عمداً في رمضان

سؤال من رجل يقول إنه سافر إلى بلد آخر منذ ثلاث سنوات فأقام فيه وأفطر شهر رمضان، وهو الآن نادم على ذنبه ويسأل: هل سيقبل الله توبتي أم سأموت على الكفر لارتكابي هذا الذنب؟

✪ والجواب:

١- من أفطر متعمداً في رمضان فقد ارتكب إثماً كبيراً، لكن هذا الذنب لا يؤدي به إلى الكفر. ارتكاب الكبائر لا يكفّر إلا على ما ذهب إليه الخوارج الذين قالوا إن مرتكب الكبيرة كافر، أما أهل السنة فلا يكفّرونه. فإن شاء الله لا يزال صاحب السؤال مسلماً وهو بعيد عن الكفر.

٢- القضاء لا بد منه، فالشهر الذي أفطره ينبغي عليه أن يقضيه، أي أن يصوم بدلاً منه بعدد أيامه.

٣- تبقى مسألة: هل عليه الكفارة بالإضافة إلى القضاء؟ السؤال لم يوضح كيفية الإفطار؛ لذلك أجيب جواباً عاماً: الذي يفطر متعمداً إذا كان إفطاره بالطعام والشراب فعليه الكفارة على بعض المذاهب، وفي مذاهب أخرى لا كفارة عليه.[1]

٤- أما إذا أفطر بغير الطعام؛ أي إذا أفطر بالصلة الزوجية، فهذا عليه الكفارة بلا خلاف.

٥- ماذا يعمل الآن؟ يستغفر الله ويتوب إليه. ويبدو من كلامه أنه

---

[1] تعمُّد الفطر بالأكل يوجب القضاءَ والكفارة عند الحنفية والمالكية، والقضاءَ بلا كفارة عند الشافعية والحنابلة. انظر: الفقه على المذاهب الأربعة ١/٥٦٠-٥٦٨. وفي المغني لابن قدامة (بعدما ذكر مفسدات الصيام عدا الجماع): "متى أفطر بشيء من ذلك فعليه القضاء، لا نعلم في ذلك خلافاً، ولا كفارة في شيء مما ذكرناه في ظاهر المذهب، وهو قول سعيد ابن جبير والنخعي وابن سيرين وحماد والشافعي. وقال مالك: تجب الكفارة بكل ما كان هتكاً للصوم إلا الردة، وحكي عن عطاء والحسن والزهري والثوري والأوزاعي وإسحاق أن الفطر بالأكل والشرب يوجب ما يوجبه الجماع، وبه قال أبو حنيفة". ثم قال: "ولنا أنه أفطر بغير جماع فلم توجب الكفارة ولأنه لا نص في إيجاب الكفارة بهذا ولا إجماع يصح قياسه على الجماع". (المغني ٣/٢٢).

تاب ورجع إلى الله، ولولا أنه تاب وندم على الذنب ما كان سأل، بل كان أفطر وما بالى ولا اهتم.[1]

* * *

رجل قارب زوجته نهاراً في رمضان

رجل قارب زوجته في نهار رمضان، وقد ندم ويسأل: ماذا يعمل؟

✿ والجواب:

١- الذي يقارب زوجته نهاراً في رمضان عليه الكفّارة[2] قطعاً، مع ما في ذلك من الإثم الكبير. فهو قد ارتكب مُحرّماً ويستحق العقاب من الله إن لم تدركه مغفرة الله.

---

[1] يبدو أن الجواب مقطوع؛ فمقدمة الشيخ التي فيها بيانٌ لنوعَي انتهاك الصوم (بالطعام وحده أو بالاتصال الزوجي) تستتبع أن يكون على صاحب السؤال القضاء في الحالة الأولى على أدنى الأقوال (وهو مذهب الشافعي وأحمد)، والقضاء والكفارة في الحالة الثانية. وتبقى -بعد ذلك- مسألة: هل تتعدد الكفارة بتعدد الإفطار بالجماع في رمضان؟ قال الخرقي في المختصر: "وإن جامع فلم يكفّر حتى جامع ثانية فكفارة واحدة". وعلق عليه ابن قدامة في المغني: "وجملة ذلك أنه إذا جامع ثانياً قبل التكفير عن الأول لم يخلُ من أن يكون في يوم واحد، فكفارةٌ واحدةٌ تجزئه بغير خلاف بين أهل العلم. وإن كان في يومين من رمضان ففيه وجهان؛ أحدهما: تجزئه كفارة واحدة، وهو ظاهر إطلاق الخرقي واختيار أبي بكر ومذهب الزهري والأوزاعي وأصحاب الرأي، لأنها جزاء عن جناية تكرر سببها قبل استيفائها فيجب أن تتداخل كالحد، والثاني: لا تجزئ واحدة ويلزمه كفّارتان، اختاره القاضي وبعض أصحابنا، وهو قول مالك والليث والشافعي وابن المنذر وروي ذلك عن عطاء ومكحول؛ لأن كل يوم عبادة منفردة فإذا وجبت الكفارة بإفساده لم تتداخل" (المغني ٣٢/٣). وفي الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (٦٨٦/٢): "وتجزئ كفارة واحدة عند الحنفية عن جماع وأكل متعمد متعدد في أيام لم يتخلله تكفير، ولو من رمضانين على الصحيح".

[2] أي بالإضافة إلى القضاء.

٢- بقيت مسألة بالنسبة للمرأة: هل عليها كفّارة؟ في بعض المذاهب الكفّارة عليه وحده، وفي بعضها هي على الاثنين معاً.[١]

٣- ما هي الكفارة؟ هي أن يصوم ستين يوماً متتابعة، فإن عجز عنها (والعجز ليس بأن يستصعب الصيام؛ نعم، هو صعب، وإنما هذه عقوبة والعقوبة لا بد من أن يكون فيها صعوبة)، إذا عجز عن الصيام لعلة في جسده، أي ثبت ثبوتاً قطعياً أنه لا يستطيع الصيام، فإنه يُطعم ستين مسكيناً. هذا هو الحكم على المذاهب الثلاثة، أما في مذهب الإمام مالك فأظن أنه مخيَّر. أنا لا أفتي على المذهب المالكي ولكن أحسب أن الحكم عند المالكية أنه مخيَّر بين أن يصوم ستين يوماً أو أن يطعم ستين مسكيناً.[٢]

* * *

هل يصح الصيام عن الأحياء؟

رجل عجز عن الصوم في رمضان لمانع صحي، ولديه أولاد، ويسأل: هل يجوز أن يصوموا عنه أم يتصدق؟

---

[١] الكفارة عليه وحده عند الشافعية، وعلى الاثنين عند الحنفية والمالكية، وعند الحنابلة أن الكفارة تجب على المرأة إن كانت مطاوِعة عالمة بالحكم غير ناسية للصوم. انظر: الفقه على المذاهب الأربعة ١/٥٦٠-٥٦٣.

[٢] عند المالكية أن كفارة الفطر في رمضان على التخيير بين الإعتاق والإطعام وصوم الشهرين المتتابعين، وأفضلها الإطعام، فالعتق، فالصيام. انظر: الفقه على المذاهب الأربعة ١/٥٧٩. والظاهر أن في مذهب أحمد قولاً بهذا المعنى؛ قال في المغني: "المشهور من مذهب أبي عبد الله أن كفارة الوطء في رمضان ككفارة الظهار في الترتيب، وهذا قول جمهور العلماء ... وعن أحمد رواية أخرى أنها على التخيير بين العتق والصيام والإطعام، وبأيّها كفّر أجزأه" (المغني ٣/٢٩).

✿ والجواب: الله بيَّنَ في القرآن أن مَن أدركه رمضان فعليه أن يصوم، فإن كان عنده مانع من الصيام (إما لمرض وإما لرخصة كالسفر) فيحق له أن يفطر ويصوم بدلاً من الأيام التي أفطرها بمقدارها بعد انتهاء رمضان. أما إن كان لا يستطيع الصيام أبداً؛ أي إن كان عاجزاً تماماً عن الصيام لعلة مرضية أو لكبر، فإنه يطعم عن كل يوم مسكيناً.

هذا هو الجواب، أما أن يصوم أولاده عنه وهو حي فلا يجوز.

* * *

الإفطار خطأً في رمضان

سائل يقول إنه أفطر خطأً قبل أذان المغرب فقيل له إن عليه الكفارة.

✿ والجواب: إذا أفطرت خطأً قبل أذان المغرب فعليك أن تصوم يوماً واحداً بدلاً منه، ومن قال إن عليك الكفارة مخطئ.

* * *

قضاء أيام من رمضان احتياطاً

سؤال يقول: هل يصح للمسلم أن يصوم بعد رمضان عدة أيام بنيّة القضاء، علماً بأن السائل لم يفطر خلال شهر رمضان، ولكنه يفعل ذلك احتياطاً خشية أن يكون قد أفطر يوماً دون علمه كأن يكون قد ابتلع نخامة أو نكش أذنه أو أشياء من هذا القبيل.

✿ والجواب:

أولاً: الأشياء التي ذكرها السائل لا تُفطِر.

ثم إن هذا من قبيل الزيادة في الدين، والزيادة في الدين ممنوعة. إذا شاء أن يصوم تطوّعاً فله أن يصوم متى شاء، والنوافل تجبر نقص الفرض، أمّا أن يصوم بعد رمضان أياماً على توهّم أنه أفطر وهو لا يدري فهذا لا يجوز؛ لأن هذا من قبيل الابتداع في الدين.

* * *

تطوع المرأة بالصيام وزوجها حاضر [1]

سؤال من امرأة تقول إنها تحب الإكثار من صيام التطوع، غير أن زوجها يمنعها. فهل له الحق في ذلك؟

✿ والجواب في قول النبي ﷺ: «لا تصوم المرأة وبعلها (أي زوجها) شاهدٌ إلا بإذنه». والحديث بلفظه هذا أخرجه البخاري، وأخرجه مسلم بلفظ قريب[2].

والمقصود بالصيام في هذا الحديث صيام النفل، أما صيام الفريضة فهو أمر من الله لا محل فيه لإذنٍ أو رأيٍ من عبدٍ من العباد.

أما العلة في تقييد صيام التطوع بموافقة الزوج فلأن له في زوجته حقوقاً يعطلها الصيام، والإسلام -في مبادئه العامة- يوقف أي تعدٍ على الحقوق.

* * *

---

[1] أذيعت سنة ١٤٠١.

[2] أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود وابن ماجة وأحمد عن أبي هريرة، وفي لفظ الترمذي: «لا تصوم المرأة وزوجها شاهد يوماً من غير شهر رمضان إلا بإذنه»، وفي لفظ أبي داود: «غير رمضان».

استعمال الأدوية التي تمنع العادة في رمضان [1]

امرأة تقول إنها تحب أن تصوم شهر رمضان كله في وقته وتسأل عن استعمال الحبوب التي تؤخر العادة الشهرية، هل يجوز؟

✿ والجواب أن هذه الحبوب إن كانت لا تضر بالصحة فالأصل فيها الإباحة. ويبدو أن أشياء من هذا القبيل كانت موجودة عند الناس من قديم، فقد ذكرها الفقهاء في كتبهم وقالوا إن المرأة إذا تعاطت من الأدوية ما لا ضرر فيه فلا بأس. الشرط أن لا تضر لأن الضرر ممنوع.

* * *

معنى الاحتساب في صيام رمضان [2]

النبي ﷺ يقول: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»، فما معنى «احتساباً» في هذا الحديث؟

✿ والجواب أن هذه كلمة عربية معناها في لغة العرب: الحساب.

فإذا أخذ رجل مئة ريال وأعطاها لأول رجل يلقاه في الطريق ولم يسأله عن اسمه ولم يقل له شيئاً فإنها تضيع منه، أما إذا دفعها إلى تاجر أو إلى مصرف لا يتعامل بالربا (لو كان هذا المصرف موجوداً)[3] وقال لهذا التاجر أو لهذا المصرف: خذ هذه المئة الريال وقيدها في حسابي، فإنه

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٨.

[2] أذيعت سنة ١٣٩٣.

[3] هذا ما قاله جدي منذ نحو ثلاثين عاماً، والحمد لله على أن المصارف الإسلامية التي تحقق هذا الشرط موجودة اليوم في كل البلدان.

يكون قد احتسبها عنده.

فمعنى قوله: «صام رمضان إيماناً واحتساباً» أي صام اتباعاً لأمر الله، ما صام بقصد الرياضة، ولا لأن أهله صاموا فصام معهم، ولا لأنّه نسي الطعام أو انشغل عنه. بل صام إيماناً منه بأن الله أمر بالصيام وأن عليه أن يمتثل أمر الله، واحتسب ذلك عند الله؛ أي نوى به طاعته ورضاه وقصد ثوابه، وطلب أن يقيِّد هذا الثواب في دفتر حسناته ليلقاه في الآخرة.

* * *

حديث «صوموا تصحّوا»

هذا سؤال من رجل يقول إنه سمع أحد الخطباء يخطب ويقول إن الصيام يشفي من جميع الأمراض حتى لو كانت أمراضاً معدية، واحتجَّ بحديث: «صوموا تصحّوا».

✿ بعض الناس يبالغون؛ يريدون الدعاية للإسلام فيسيؤون إلى الإسلام. الإسلام ما قال إن الصيام يشفي من جميع الأمراض. لو كان أحد المرضى مصاباً بالسل وصام هل يشفى من مرضه؟ بل ربما زادت شدة مرضه. الذي يقوله الإسلام أن المسلم إن كان مريضاً فأمره الطبيب الحاذق الديّن بأن يفطر وقال له: "الصيام يضرّك"، فهذا لا يجوز له أن يصوم. هذا هو رأي الإسلام؛ الجسم أمانة عندك لم يأمرك الشرع بأن تهمله أو أن تضيعه. أما حديث «صوموا تصحّوا» فلم يصح؛ أي أنه ليس بحديث.

* * *

(٩)

الحج والعمرة



الاشتراط في الإحرام [1]

هذا رجل يقول إنه مريض ويريد الحج، ولكنه يخشى أن يعجز عن إتمامه أو أن لا يعيش إلى السنة التالية فيموت ولم يحج، فماذا يعمل؟

✿ والجواب:

١- في الحديث الصحيح الثابت عن النبي ﷺ أنه أمر امرأة (أظن أن اسمها هو الضباعة بنت الزبير) أن تقول عند إحرامها: «فإن حبسني حابس فمَحِلِّي حيث حبستني».[2]

٢- هذا الحديث صحيح، ولكن الأئمة اختلفوا فيه؛ فذهب بعضهم إلى أنه حكم خاص بهذه المرأة، وقال الإمام أحمد إنه حكم عام. وهذا أقرب إلى الصواب لأنه تشريع عام لم يَرِد ما يدل على تخصيصه بهذه المرأة دون غيرها.

٣- لذلك يمكن للرجل صاحب السؤال أن يشترط هذا الشرط عند

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٥.

[2] عن عائشة قالت: دخل رسول الله ﷺ على ضُباعة بنت الزبير فقال لها: «لعلك أردت الحج؟»، قالت: والله لا أجدني إلا وَجِعَة (أي مريضة) فقال لها: «حجّي واشترطي وقولي: اللهمَّ مَحِلِّي حيث حبستني». رواه البخاري (واللفظ له) ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد والدارمي.

إحرامه فيقول: "إن حبسني حابس فمَحِلّي حيث حبستني"، أو ما فيه هذا المعنى من غير هذه الألفاظ، فاللفظ ليس شرطاً في ذاته؛ فيقول مثلاً: "يا ربّ أنا نويت الحج ولكن إن وقع لي خلاف إرادتي فمنعني من إكمال الحج فيكون إحرامي إلى ذلك الوقت". فإن وقع له أمر منعه من إتمام الحج فإنه يتحلل عندئذ ولا شيء عليه.

* * *

رفض الإحرام [1]

وسؤال يشبهه من رجل يقول إنه حج مرات من قبل، فإذا أراد الحج مرة أخرى فأحرم ثم بدا له أن يقلع عن الحج، هل يجوز له ذلك؟

✿ والجواب: هذا الذي يسميه الفقهاء «رفض الإحرام»؛ أي الرجوع عنه، وهو لا يجوز في حالة هذا السائل.

المرء إذا دخل في الإحرام يكون قد ألزم نفسه به، ولا يجوز له أن يتخلى عنه في أي وقت يشاء ولا الرجوع عنه إلا بإحدى ثلاث: إتمام نسكه من حج أو عمرة، أو الإحصار[2]، أو الاشتراط؛ وهو ما سبق بيانه في الجواب السابق فيقول عند إحرامه: "أنا نويت الحج أو نويت العمرة، ولكن إن عرض لي مانع فأكون متحللاً من هذه النية"، وهذا هو معنى قوله: «إن حبسني حابس فمَحِلّي حيث حبستني».

* * *

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٥.

[2] وهو امتناع وصوله إلى مكان النسك بسبب عدو أو مرض أو ضياع نفقة.

الإحرام من جدة لحجاج الطائرات [1]

سؤال عن أمر يقع لكثير من الحجاج، وهو أنهم يأتون بالطيارة فيمرون بالميقات ولا يدرون ولا ينتبهون فيجاوزونه بلا إحرام، فهل تلزمهم العودة إلى الميقات على ما في ذلك من المشقة؟

❁ وأنا أجتهد في الجواب بما أحسبه الصواب:

الإحرام يكون بالنية والتلبية ولبس ثياب الإحرام، فإذا أراد الحاجُّ الأفضلَ فالأفضلُ أن يلبس ثياب الإحرام قبل ركوب الطيارة، فإذا قارب الميقات نوى ولبّى.

فإن سافر في ثيابه المعتادة حتى إذا وصلت الطائرة إلى جدة أحرم منها فهل يصح إحرامه؟ أنا أجد المخرج بالأخذ بمذهب الحنفية الذين يقولون إن الحاج إذا مرّ بميقات بلده فلم يحرم منه وكان أمامه ميقات آخر فأحرم منه صح إحرامه مع الكراهة. ومثال على ذلك لو جاء واحد من المدينة، والمدينةُ ميقاتها ذو الحليفة (آبار علي)، فلو أنه تجاوزها فلم يحرم منها وأحرم من رابغ (ورابغ ميقات لمن لا يمر بالمدينة) صح إحرامه.

والذي يأتي بالطائرة من بلده فتحط به في جدة فهي ميقات بالنسبة إليه. كيف هي ميقات؟ لأن من لم يمر من الحجاج بميقات من المواقيت التي علّمها النبي ﷺ أصحابَه أو لم يحاذِها أحرم على بعد مرحلتين من مكة[2]. وهذا ينطبق على الطائرات التي تأتي من السودان أو نيجيريا أو مالي أو سواها

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٤.

[2] في الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (٧٢/٣): وإن لم يحاذِ ميقاتاً مما سبق أحرم على مرحلتين (٨٩ كم) من مكة؛ إذ لا ميقات أقل مسافةً من هذا القدر.

من دول تلك الجهات، فهي تأتي ساحل جدة عمودية من الغرب أو مائلة قليلاً ولا تحاذي أياً من المواقيت المحددة، فلا تمر برابغ ولا تمر بيلملم (والأولى إلى الشمال من هذا الطريق والثانية إلى الجنوب منه).

فإذا صح أن نعتبر جدة ميقاتاً أفلا يصح الإحرام منها لمن جاوز ميقاته من غير إحرام أخذاً بجواز ذلك في المذهب الحنفي؟ الذي يبدو لي أن هذا ممكن، والله أعلم.

* * *

من أين يأخذ الحاج الحصى للرمي؟ [1]

سؤال عن الحصيات التي تُرمى بها الجمرات، يقول إنه جمعها من مزدلفة ولكنه فقد بعضاً منها بعد ذلك، فهل تلزمه العودة إلى مزدلفة لجمع بدل منها؟

✪ والجواب أن أخذ الحصى من مزدلفة أفضل من سواه ولكنه ليس شرطاً لصحة الرمي؛ وما أدري من أين جاء الناس بفكرة أن الحصيات التي لا تؤخذ من مزدلفة لا تجزئ في الرمي حتى تجد أكثرهم ساعين في الليل بضوء المصابيح يحملون الأكياس ويجمعون الحصى، وقد تقع أيديهم في العتمة على قبيح.

الدين ليس فيه حرج، والله ما ألزمنا بأخذ الحصى من مكان واحد، فلو جمعها الحاج من عرفات وهو هناك نهاراً فلا بأس بذلك، ولو أخذها من أي مكان آخر أجزأه وصح الرمي بها.

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٤.

المبيت خارج الحدود الأصلية لمنى [1]

أسئلة كثيرة جاءتني عن الازدحام الشديد في منى في حج هذا العام، مما اضطر كثيراً من الناس إلى نصب خيامهم خارج حدود منى، حتى إن منهم من وصل إلى حوض البقر (الذي يدعى الآن العزيزية)، فما الحكم في ذلك؟

✿ والجواب: الله ﷻ لا يكلف أحداً فوق طاقته: ﴿لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها﴾[2]، وقد خبَّرَنا أنه ما جعل علينا في الدين من حرج. لذلك عندنا قاعدة شرعية ذكرتها من قبل وأذكّركم بها: «كل واجب يعجز المسلم عن القيام به يسقط عنه».

ربنا هو الذي وضع الحكم الشرعي، وهو أعلم بما سيكون عليه الناس. المسلمون اليوم سبعمئة مليون، وربما أتى يوم صاروا فيه ألفاً وخمسمئة مليون، فلو حج كل من يستطيع الحج منهم أو معشار معشارهم، كيف ستتسع لهم منى؟

انظروا إلى صلاة الجمعة، الأصل فيها أن يصليها المصلون في المسجد، لكن لو امتلأ المسجد واتصلت الصفوف تصح الصلاة ولو كان امتداد الصفوف كيلومترات خارج المسجد. ومثلها الحجاج في منى؛ إن اتصلت الخيام وامتلأت بالحجاج فالمبيت فيها جائز ولو كانت خارج حدود منى.

* * *

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٤.

[2] البقرة: ٢٨٦.

الذي يطوف وهو حامل شخصاً آخر [1]

إذا حمل حاج صحيح قوي حاجاً ضعيفاً أو مريضاً في طواف الإفاضة، هل يجزئه هذا الطواف؟

✿ والجواب أن الطواف عبادة لا تجوز الإنابة فيها مثل الرمي، فإذا كان الحاج مريضاً أو ضعيفاً جاز له أن ينيب عنه في الرمي سواه، أما الطواف فلا يجوز له ذلك ولو كان على هذه الحالة، فإما أن يؤخر الطواف حتى يقدر عليه أو أن يحمله غيره.

بقيت مسألة صحة طواف الحامل، هل يعتبر مثل هذا الطواف صحيحاً عن الحامل والمحمول معاً؟ الجواب أن هذا صحيح عند الأحناف، فإن حمل رجلٌ رجلاً آخر وطاف به أجزأ الطواف الرجلين كليهما، بخلاف المذاهب الأخرى.

* * *

التعجل في الحج مع الزحام [2]

سؤال عن الذي يريد أن يتعجل في اليوم الثاني فيحزم أمتعته ويهيّئ السيارة وينطلق بها ولكن تعيقه شدة الزحام فيدخل وقت المغرب وهو لمّا يغادرْ منى، هل يتوجب عليه البقاء إلى اليوم الثالث من أيام التشريق؟

✿ والجواب أن هذه حالة يكثر وقوعها لشدة الزحام وكثرة السيارات،

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٤.

[2] أذيعت سنة ١٣٩٤.

ولكن العبرة بالقصد والمباشرة بالفعل، فإذا استعد للخروج وأعد العدة ثم حبسه الزحام في حدود منى إلى ما بعد دخول وقت المغرب فإنه لا يُلزَم بالبقاء ويعتبر متعجلاً ولا شيء عليه.

* * *

الحج للحائض [1]

سؤال من امرأة ذهبت إلى الحج وهي حائض، ماذا تصنع؟

✿ والجواب أن المرأة الحائض تعمل في الحج كل ما يعمله الحاج إلا الطواف بالبيت؛ لأن الحائض لا تدخل المسجد والكعبة في المسجد. فهي تؤخر الطواف حتى تطهر.

المشكلة إذا كانت هذه المرأة مرتبطة بجماعة والجماعة تريد السفر، وفي هذه الحالة قال الفقهاء إن على الجماعة أن تنتظرها حتى تطهر وتطوف.

هذا ما كان قديماً حين كان الناس يسافرون بالقوافل وكان يمكن للقافلة أن تنتظر يوماً أو بضعة أيام، أما اليوم فالسفر أكثره بالطيارات، والطيارات لها مواعيد محددة للسفر والازدحامُ عليها شديد، فإذا أضاعت هي أو أضاعَ من معها الحجز في موعد الرحلة المحدد فقد لا تجد أو يجدون موعداً للسفر قبل انقضاء زمن طويل، فماذا تصنع وماذا يصنعون؟

هذه المسألة بحثها شيخ الإسلام ابن تيمية وفصل فيها البحث على عادته، ورأيه أننا نأخذ بقاعدة ارتكاب أخف الضررين؛ فإن كان أصحاب

---

[1] أذيعت سنة ١٤٠٢.

هذه المرأة غير قادرين على انتظارها فسوف تبقى في مكة وحدها حيث لا بيت لها ولا محرم معها، وهذا رأي غير مقبول. هل تسافر مع الجماعة إذن وتعود في سفرة أخرى لقضاء ما فاتها من طواف؟ سنكون قد أوجبنا عليها -في هذه الحالة- سفرتين للحج والشرع لم يوجب عليها غير سفرة واحدة. ماذا تعمل إذن؟

الذي ذهب إليه ابن تيمية هنا وجاء عليه بالأدلة أن هذه حالة اضطرارية، وحالات الاضطرار لها أحكام خاصة، فتطوف هذه المرأة بالبيت وهي حائض[1].

* * *

وقت طواف الإفاضة[2]

سؤال من حاج من الحجاج اضطر إلى السفر فسافر قبل أن يطوف طواف الإفاضة، هل يجوز له أن يؤخر هذا الطواف؟

✿ والجواب أن تأخير طواف الإفاضة يجوز.

متى يبدأ وقت طواف الإفاضة ومتى ينتهي؟ أنا هنا -كما قلت من قبل- أبين الحكم بمجموع المذاهب، لا آخذ مذهباً بعينه ولكني لا أخرج عن حدود المذاهب الأربعة.

على أوسع الأقوال يبدأ وقت الرمي ووقت الطواف عند الشافعية والحنابلة من دخول النصف الثاني من ليلة العيد، أما نهاية الوقت متى هي،

---

[1] انظر المسألة بتفصيلها في مجموع الفتاوى: ٢٦/٢٤٢.

[2] أذيعت سنة ١٤٠٢.

أي إلى متى يجوز له تأخير الطواف؟ الجواب أنه ليس له نهاية ويستطيع تأخيره يوماً أو شهراً أو عشر سنين، بشرط واحد. فهذا الحاج لم يتحلل التحلل الأكبر لأنه لم يتم الطواف، بل تحلل التحلل الأصغر فقط، فيجوز له لبس الثياب والتطيب وقص الشعر، ولكن لا يجوز له الاتصال الزوجي. فإذا كان رجلاً غير متزوج (أو فتاة غير متزوجة) وذهب إلى بلده ثم عاد بعد مدة فطاف طواف الإفاضة فليس عليه شيء.

* * *

التلبية [1]

سؤال عن التلبية، يقول: هل يصح أن تكون بالقلب أم لا بد من أن تكون باللسان؟

✿ والجواب:

الأصل في النية أنها بالقلب، لذلك قالوا إن النطق بها بدعة لأن النبي ﷺ لم ينطق بها، ولا الصحابة من بعده. لا أقول إن الجهر بالنية للصلاة (كأن يقول: "نويت أن أصلي الظهر" بصوت مسموع مثلاً) حرام أو إنه يفسد الصلاة، لكن الصحيح أنها تكون بالقلب. لو كنتَ قاعداً في مجلس وأردت القيام فإنك تنويه بقلبك فتقوم، ولكنك لا تقول: "نويت القيام من هذا المجلس"، وإذا أردت شراء ثوب وأنت عند البائع لا تقول: "نويت شراء هذا الثوب" ثم تُخرج من جيبك النقود. والنية في العبادات كذلك، تكون بالقلب ولا يُجهَر بها.

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٥.

ولكن الحج والعمرة استثناء من هذه القاعدة، فالسنّة الجهر بالنية فيهما. فمن أراد أن يحج أو أن يعتمر يقول: «لبّيْكَ اللهُمَّ بحج» أو «لبّيْكَ اللهُمَّ بعمرة».

* * *

الاغتسال والامتشاط في حال الإحرام [1]

سؤال من امرأة تقول فيه: هل يجوز أن تمشط رأسها وهي محرمة؟ وأسئلة أخرى كثيرة من نساء ورجال عن الاغتسال، هل يجوز على ما فيه من احتمال سقوط بعض الشعر؟

✪ والجواب: نعم؛ كلا الأمرين جائز.

الممنوع والمحذور أن يتعمد قص الشعر أو أن يهمل إهمالاً يؤدي إلى سقوط الشعر، أما ما ينزل عندما تمشط المرأة شعرها أو عند الاغتسال فهو الشعر الميت، والله ما جعل علينا من حرج.

* * *

شم الطيب في حال الإحرام [2]

وهذا سؤال قريب من الأول من رجل يقول إنه دخل محلاً يبيع الطيب وأراد أن يشتري طيباً فشمه، فقال له أحد الناس إن إحرامه فسد.

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٥.

[2] أذيعت سنة ١٣٩٥.

فهل هذا القول صحيح؟

✿ والجواب: لا؛ إحرامك لم يفسد. الممنوع أن يتعمد المُحرم التطيب بأي نوع من أنواع الطيب المعتاد الذي يتطيب به الناس، ويشمل هذا كل أنواع العطور التي يقصد منها تطييب الرائحة. أما إذا شم شيئاً ذا رائحة طيبة فنفذت إلى أنفه فلا بأس في ذلك، كأن يشم ورداً كالريحان أو فاكهة طيبة الرائحة. هذا كله لا بأس فيه.

* * *

اقتراح للاستفادة من لحوم الأضاحي

سأل الأخ الأستاذ عثمان حافظ[1] عن الذبائح التي تُذبَح في الحج، هل يجوز أن تُلقى في الحُفَر وتُباد دون أن ينتفع بها أحد من المسلمين؟

✿ وهذا هو الجواب:

ما ذكرتموه حق، والحال التي وصفتموها لا يقرّها شرع ولا طبع ولا يسيغها نقل ولا عقل؛ أن نلقي نحو مليون ذبيحة على الأرض وندفنها في التراب والناسُ يشتهي أكثرهم قطعة اللحم، ولا هذا الذي أراده الشرع حين أمرنا بالذبح. تقولون: ما الدواء؟

يا أخي، إن المذاهب الأربعة مثل الصيدليات؛ ما لا نجده من الأدوية في واحدة وجدناه في أخرى، وما ليس فيها كلها فإن عندنا مصنع الأدوية؛ فيه «المصادر» وعندنا الخبرة، ونستطيع أن نركّب نحن الدواء المطلوب.

---

[1] في جريدة «المدينة» في حج عام ١٣٩٥، وجواب الشيخ على السؤال نُشر في المدينة أيضاً في الثاني من ذي الحجة من السنة ذاتها، وهو هنا كما نشره بخطه.

المصادر والعناصر هي الكتاب والسنة، والخبرة هي الاجتهاد.

وقد خطر لي وأنا أقرأ مقالكم حلٌّ قريب سهل لا يخرج عن المذاهب الأربعة: هو أن وقت الذبح (للقارن والمتمتع ولمن وجب عليه دم آخر) وقتٌ ممتد لا تحده أيام العيد؛ قال بذلك الإمامان أبو يوسف ومحمد، وهو مذهب الشافعية، ولا حرج علينا أن نأخذ به دفعاً للمضرّة التي ذكرتموها. والتوكيل بالذبح جائز اتفاقاً على أن يكون الذبح في مكة المكرمة.

وأنا أرى أن تؤلَّف لجنة دائمة بإشراف رابطة العالم الإسلامي أو بإشراف وزارة الحج، وأن يُعلَن عن تأليفها ويُنشَر خبرها بين الحجاج، ويكون لها مكاتب أو ممثلون ظاهرون في مكة ومنى، فمن شاء الذبح وكلها به وسلمها الثمن، وهي تذبح الذبائح تباعاً على طول السنة وتوزعها وفق جداول منظمة، ويجوز أن تعيّن موظفين تعطيهم رواتب من أصل ثمن هذه الذبائح (لأنهم مثل العاملين على تحصيل الزكاة، ولأن من الجائز الإهداء من لحوم الهدي ولو لغير الفقير) وليذكر ذلك عند التوكيل بالذبح.

هذا ما خطر لي ساعةَ تلقي كتابكم، ولعل الله يأذن بحل هذه المشكلة التي طالما كثرت الشكوى منها وكثر الكلام عنها. وعند العلماء الأجلاء -لا شك- حلول أفضل وأكمل، فافتحوا الباب في الجريدة لكل من عنده حل أو لديه اقتراح، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

ليس للعمرة طواف وداع [1]

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٨.

سؤال يقول: هل للعمرة طواف وداع؟

✪ والجواب:

١- طواف الوداع واجب على الحاج الآفاقي، وهو الحاج الذي قدم إلى مكة من بلد أبعد من المواقيت. هذا عليه أن يطوف طواف الوداع، لأن طواف الوداع واجب عليه يترتب على تركه دم، وهذا هو الحكم عند أصحاب المذاهب الثلاثة غير المالكية؛ فالمالكية يقولون إن طواف الوداع سنّة ويقولون إن طواف القدوم هو الواجب.

٢- أما العمرة فليس فيها طواف وداع واجب فيما أعلم.

٣- لكن كثيرين من العلماء قالوا إن على كل من أراد الخروج من مكة أن يكون آخر عهده بها طوافاً بالبيت، ومن القائلين بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.



* * *



(١٠)

الزكاة والصدقة

الزكاة في غير مصارفها [1]

هذه رسالة طويلة وحيدة، يذكر فيها مرسلها أنواعاً من الأخطاء والتجاوزات التي يقع فيها بعض الذين يُخرجون زكاة أموالهم. فمن هؤلاء من يدفعها إلى الشحاذين المتجولين في الشوارع، وأكثرهم من القادرين الذين اتخذوا الشحاذة مهنة. ومنهم من يحتفظ بزكاة ماله حتى إذا كانت مناسبةٌ اجتماعية أو حفلٌ أو شيءٌ من هذا القبيل تبرع بها على الملأ مُفاخِراً بها، وربما أعطاها من لا يستحقها. وآخرون يخرجون زكاة أموالهم لأهلهم وأقاربهم وهم غير محتاجين إليها. ونوع رابع يحتال في استرداد الزكاة بعد دفعها فيجعل المال في أكياس السكر أو الأرز أو علب الحليب أو الشاي: يضع في العلبة خمسمئة ريال أو ألفاً، فإذا أعطاها المحتاج أرسل في أثره من يسأله شراءها منه بخمسين ريالاً أو بمئة ريال، وهو مبلغ يزيد عن قيمتها الظاهرة، فيسترجع المال الذي دفعه ويحسبه من الزكاة.

● وأنا لا أتحقق من وجود هذه الظواهر والصور جميعاً، ولكنني أعلق على مثل هذه الأفعال ليتنبّه أصحابها إن كانت مما يقع حقيقة:

١- الذي يدفع زكاة ماله عليه أن يتحرّى أفضل موضع لدفعها، وهؤلاء الشحاذون الذين يشحذون الناسَ في الطرقات أكثرهم قد امتهـن

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٨.

الشحاذة وجَمَع المال من طريقها لسنوات طويلة متستراً بالثياب البالية المهلهلة وهو قادر على العمل والكسب مستغنٍ عن هذه المهنة بما عنده من مال، ولو تحقق دافع الزكاة لوجد عند كثير منهم مالاً وفيراً. حتى إنني أذكر أن مصرفاً صغيراً أفلس في الشام قديماً فلما صُفّيت حساباته وُجدت فيها ودائع كبيرة لشحاذين كثيرين، وكنت مرةً عند صرّافٍ في مكة فجاءه أحد الشحاذين الذين يسألون الناس في الحرم ومعه كمية من أنواعٍ مختلفة من العملات يصرفها... والناس يعرفون من أمثال هذه الحوادث الكثير. فمثل هؤلاء -إن تحقق منهم الإنسان- لا يُعطَون شيئاً لا من الزكاة ولا من غيرها. ولكن فيهم من هو محتاجٌ حقيقةً قد اضطره الضيق ودفعته الحاجة إلى السؤال وإلى ركوب هذا المركب الخشن، فمَن تحقق من حاجة السائل وفقره فليعطِه شيئاً ولا يردّه خائباً خالياً.

٢- الذي يعطي ماله تفاخراً ويدفع الزكاة مباهاةً أمام الناس ويريد بعمله شكرهم وتقديرهم يُردّ عليه عمله ولا يقبله منه الله، كما جاء في الحديث[١].

٣-الأقارب إذا كانوا في غنى عن الزكاة لا يجوز إعطاؤهم منها؛ لأن الله حدّد مصارفها في القرآن فذكر الفقراء والمساكين ولم يذكر الأقرباء. لكن لو كان هؤلاء الأقرباء فقراء أو مساكين جاز للمزكّي إعطاؤهم منها، بل هو خير من إعطاء البعيد، بشرط ألاّ يكونوا من أصوله أو فروعه؛ لأن

---

[١] في الحديث القدسي الذي يرويه مسلم: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك»، وفي حديث مسلم أيضاً: «أول من يُسأل يوم القيامة ثلاثة» منهم: «رجل آتاه الله مالاً، فيقول الله تعالى: لقد أنعمت عليك فماذا صنعت؟ فيقول: يا ربّ كنت أتصدق به آناء الليل وأطراف النهار، فيقول الله تعالى: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، بل أردت أن يقال هو جواد، فقد قيل».

النفقة على الأصول (كالأب والأم والجد والجدة ونحوهم) والفروع (كالابن والبنت وأبنائهم وبناتهم ونحوهم) واجبة أصلاً، ومثلهم الزوجة فهي واجبة النفقة. فعلى القادر أن يعطي هؤلاء من ماله ولا يكون عطاؤه هذا محسوباً من الزكاة.

٤- أما الحيل التي يُحتال فيها للتهرب من الزكاة باسترداد المال المدفوع فيها فهي حرام بالتأكيد. وكل حيلة فيها هروبٌ من واجب أو إضاعةٌ لفرض أو استحلالٌ لحرام وأكلٌ له ممنوعة قطعاً، وأما الحيل التي تباح فهي التي يكون فيها خروجٌ من مأزق أو خلاصٌ من ورطة من دون ارتكاب أمرٍ محرّم أو التفريط بفرضٍ أو بواجب. وفي القرآن مثال من النوعين: الأول مثل اليهود الذين حُرّم عليهم الصيد يوم السبت فاحتالوا بإلقاء الشباك يوم الجمعة وجمعها يوم الأحد، والثاني مثل أيوب عليه السلام لما حلف أن يضرب زوجته مئة عصا فأمره الله أن يأخذ حزمة من القش فيها مئة عود فيضربها به: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾[1].

والإنسان قد يغرّه فهمه وذكاؤه فيخدع الناس ويحتال عليهم، ولكن على من يحتال هذا المتهرّب من الزكاة؟ أعلى الله يحتال؟ فليتّقِ الله وليخشَ عذابه فإن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء والله قوي قدير.

* * *

هل تُحسب الضرائبُ من الزكاة؟

سؤال يقول: هل يجوز لمن تجب عليه الزكاة أن يحسب الضرائب الحكومية من الزكاة؟ وهل يجوز أن تُبنى بأموال الزكاة المستشفيات والمدارس؟

---

[1] ص: ٤٤.

✿ والجواب: لا؛ لأن مصارف الزكاة الثمانية مبيَّنة في القـرآن، وشرطها أن تُسلَّم لواحد منهم بيده على سبيل التمليك، فلا يجوز أن تُبنى بها مدرسة ولا مستشفى، ولكن يجوز أن تُسلَّم لفقراء التلاميذ أو للمرضى وهم يجمعونها -إذا أرادوا- ويوكلون من يبني بها.

ولا يجوز أن تحسب الضرائب من الزكاة.

* * *

دفع الزكاة في غير البلد المكتسبة فيه

سؤال من أحد التركستانيين المقيمين في المملكة يقول: هل يجوز إرسال الزكاة إلى تركستان لأن للمزكِّي فيها أقرباء وأرحاماً محتاجين، وهم محكومون من الكفرة الشيوعيين؟

✿ والجواب: أن الأصل في الزكاة أن تُصرَف في البلد الذي اكتُسب المال فيه، فهي تؤخَذ من أغنياء البلد وتُردّ على فقرائه، ولو سافر رجل من بلده إلى بلدٍ آخر فعمل فيه واكتسب مالاً ووجبت عليه الزكاة فالأصل أن ينفقها في البلد الذي اكتسب فيه المال.

ولكن إن وُجدت دواعٍ قوية رجّحت إرسالها إلى بلدٍ آخر؛ كأن تكون الحاجة إليها فيه أكبر أو يكون فيه أقرباء للمزكي محتاجون، فيجوز إرسالها إليه. وحتى إن أرسلها بغير هذه الأسباب فإنها تجزئه.

تركستان:

✿ بالمناسبة أقول كلمة عن تركستان التي يحتاج التعريف بها إلى

أحاديث ومحاضرات. فهذه البلاد المسلمة التي خرج منها الأئمة الأعلام (ومنهم البخاري والترمذي وغيرهما) قد استولى عليها الشيوعيون، فاحتل الروس القسم الغربي منها وضموه إلى بلادهم، واحتلّ الصينيون الشيوعيون القسم الشرقي، وهو أرض فسيحة واسعة، وسمّوه: «سنكيانغ» (ومعناه باللغة الصينية: المستعمرة الجديدة). وينبغي على المسلمين اليوم أن يعرفوا ما يجهلونه من أخبار بلادهم المسلوبة وأن يحسّوا بما يعانيه إخوانهم المسلمون فيها من العنت والبلاء.

* * *

وقت صرف الزكاة[1]

سؤال عن الزكاة، هل يجب أن توزع في شهر رمضان فقط أم يجوز توزيعها في غيره من الشهور؟

✿ والجواب:

١- تجب الزكاة بشرطين؛ أولهما أن يملك الإنسان مقدار النصاب بحيث يزيد لديه مبلغ يعدل ثمن مئتي درهم من الفضة أو عشرين مثقالاً من الذهب بعد تأمين حاجاته كلها هو وأسرته. فإذا اجتمع لديه هذا المبلغ ووضعه على حدة تحقق الشرط الأول، واليوم الذي يتم له فيه هذا هو ابتداء الوجوب.

٢- الشرط الثاني أن يَحول على هذا المال الحول؛ أي أن تمضي على هذا المبلغ الذي ادّخرته (ولم تحتجْ إليه للإنفاق منه على نفسك أو

---

[1] أذيعت سنة ١٤٠٤.

على أسرتك) سنة كاملة.

٣- فإذا تحقق هذان الشرطان وجب عليك أن تخرج عن المال زكاة قدرها اثنان ونصف بالمئة، أي ريالين ونصف الريال عن كل مئة ريال أو خمسة وعشرين عن كل ألف. هذه ضريبة عن المكافأة التي تأخذها من الله، فكم يعوضك الله عليها؟ يعوضك عن الريال سبعمئة؛ لأن نسبة الفائدة في مصرف رب العالمين مرتفعة، الحبة فيها تنبت سبع سنابل في كل واحدة منها مئة حبة، والله يضاعف لمن يشاء.

٤- وجوب إخراج الزكاة هو الوقت الذي يحول فيه الحول، فإذا كان ابتداء تملك النصاب في أول رمضان فوجوب الزكاة في أول رمضان الذي يليه، وإذا كان في أول شوال تجب الزكاة في أول شوال من السنة التالية، وإذا كان في اليوم العاشر من صفر وجبت في اليوم العاشر من صفر، وهكذا.

٥- أما إذا أحب صاحب المال أن يحدد موعد إخراج الزكاة في رمضان من كل عام فإنه يستطيع أن يخرج المبلغ الذي استحق عليه من اليوم الذي تملك فيه النصاب حتى ذلك اليوم، ثم يحدد اليوم نفسه موعداً سنوياً لدفع الزكاة بعد ذلك.

٦- وبحوث الزكاة في كل كتب الفقه يمكن الرجوع إليها والنظر فيها، وقد جمعها كلها كتاب جامع عظيم هو «فقه الزكاة» للشيخ يوسف القرضاوي فارجعوا إليه.

* * *

الصدقة والزكاة على الأقربين

سؤالان متشابهان: أحدهما من رجلٍ فقير أخوه غني ولا يعطيه من زكاة ماله، والآخر من امرأة زوجها مشهور بين الناس بالإحسان وإعطاء الفقراء والصدقة على المحتاجين، لا سيما إذا كانت الصدقة معلَنة، لكنه يبخل على أهله ويضيق عليهم.

❁ والجواب على السؤالين:

١- في الحديث الذي يرويه الإمام مسلم في صحيحه[1] يتحدث النبي ﷺ عن دينارٍ ينفقه الرجل في سبيل الله، ودينار ينفقه في رقبة، ودينار يتصدق به على مسكين، ودينار ينفقه على أهله، ثم يقول ﷺ: «فأعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك». فهل يظن هذا الرجل الذي يتصدق على الفقراء والمساكين ويضيّق على أهله أنه قد ربح؟ بل هو قد خسر؛ لأنه لو طُرحت للبيع أسهم من شركات مختلفة يربح بعضها خمسة بالمئة والبعض الآخر عشرين ونوع ثالث سبعين، فذهب مشترٍ فاشترى تلك التي تربح خمسة بالمئة وترك التي تربح سبعين لما عُدَّ رابحاً، بل يكون من الخاسرين.

٢- ولا بد -مع ذلك- من توضيح، فإن كثيراً من الناس اليوم يسمع الحديث فيأخذ به كما سمعه وينسى أنه ربما وُجد حديث آخر يقيد الحكم أو يخصّصه. فالإنفاق هنا مشروط بعدم التبذير، وقوله ﷺ: «أو أنفقته على أهلك» يعني النفقة المعقولة. وليس المقصود بالنفقة المعقولة حصرها بالغذاء

[1] عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك». رواه مسلم بهذا اللفظ وأحمد بلفظ قريب.

الذي يدفع الجوع فيقول سامع: "أنا لا أنفق على أهلي إلا بالضروري من الغذاء"، بل التوسع ممن وسّع الله عليه مطلوب. وكذلك الإنفاق بالكسوة الحسنة، بشرط ألاّ يصل الإنفاق إلى درجة التبذير لأن التبذير لا يجوز.

٣- يوجد في الأمة الإسلامية اليوم كثير من المحسنين، ولكنهم ربما أعطوا البعيد ونسوا القريب، وبعض الناس يشكّون: هل يجوز للمرء أن يعطي أخاه من زكاة المال؟ والجواب: نعم، إذا كان أخوك فقيراً فأعطيته من زكاة مالك كان أفضل وكسبتَ خيرين، فالنبي ﷺ يقول: «إعطاء المسكين صدقة، وإعطاء القريب صدقة وصلة رحم»[١]. فيا أيها الأغنياء ويا من تزكّون عن أموالكم: انظروا في عائلاتكم وأقربائكم فأعطوا الأقرب المحتاج.

٤- ولكن توجد ملاحظة، وهي أن الزكاة لا يجوز إعطاؤها لا للأصول ولا للفروع، فلا يجوز أن يعطي الرجل من زكاة ماله أمه أو أباه أو جده أو جدته، ولا ابنه أو ابنته أو أحفاده، وكذلك زوجته. وليس معنى هذا أن يبقى أحدٌ من الفروع أو الأصول محروماً أو محتاجاً. لا، بل النفقة على هؤلاء واجبة، فيجب على القادر أن ينفق على أمه إذا احتاجت وكذلك على أولاده وسائر أصوله وفروعه، وفي البخاري حديث النبي ﷺ: «من سرّه أن يبسط الله له في رزقه أو يُنسأ له في أثره فليصل رحمه»[٢].

* * *

---

[١] عن سلمان بن عامر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة رحم». رواه الترمذي والنسائي وأحمد والدارمي.

[٢] رواه البخاري بهذا اللفظ عن أنس بن مالك ﷺ، ورواه الشيخان بلفظ قريب عن أبي هريرة ﷺ.

إظهار الصدقة والتباهي بها [1]

هذه رسالة مفصلة خلاصتها أن بعض المحسنين إذا جاءهم السائل المحتاج مفرداً لا يعطونه شيئاً، وإذا جاء أمام الناس أو في ملأ فإنهم يعطونه العطاء الكثير، وذكر كاتب الرسالة تفصيلات وأسماء وأزمنة وأمكنة لا يعنيني ذكرها، وإنما أجيب بشكل عام:

✪ والجواب:

١- «إنّما الأعمالُ بالنيّات». هذا أول حديث في صحيح البخاري، وكل الطلاب يحفظونه، وربما أكثر القرّاء. وفيه يتحدث النبي ﷺ عن المهاجرين الذين خرجوا من مكة إلى المدينة؛ كلهم خرجوا في هجرة واحدة، من بلد واحد، وساروا -تقريباً- في طريق واحد ووصلوا إلى بلد واحد، فكانوا جميعاً من حيث الظاهر سواء، ولكنهم إذا اصطفّوا للحساب يوم القيامة فُرِزوا بحسب نياتهم: فمن كانت نيته من الهجرة الفرار بدينه من بلدٍ فيه يومئذٍ شركٌ إلى بلدٍ فيه الإسلام، فآثر دينه على مسكنه ووطنه وأصحابه فهذا مهاجرٌ إلى الله وله الثواب العظيم. ومن كانت له تجارة يريد السفر لها فخرج مع المهاجرين وسار معهم في طريقهم فهو إنما سعى لدنيا يبتغيها وإنما كانت هجرته لتجارته ولم تكن هجرة إلى الله. ومن كان يريد الزواج بامرأة في المدينة فخرج مع المهاجرين صحبةَ الطريق فهو إنما سعى لامرأة يتزوجها ولم تكن هجرته إلى الله. فإذا جاء هذا وهذا يوم القيامة فقال كلٌّ منهما: "يا رب هاجرت في سبيلك"، يقول له الله ﷻ: لا، بل هاجرت لكذا وكذا... والله عالم بالنيات والمقاصد مطّلع على الصدور والسرائر.

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٥.

٢- فهذا الذي يعطي: إذا كان عطاؤه لله فإنّ الله يكافئه مكافأة عظيمة، وبماذا يكافئه الله؟ إذا أعطى مئة ريال صيّرها الله له سبعين ألفاً، وربما مئة وأربعين ألفاً أو أكثر: ﴿مَثَلُ الذينَ يُنفِقونَ أَموالَهُمْ في سَبيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ في كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ، واللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ، واللَّهُ واسِعٌ عَليمٌ﴾[1].

٣- فإذا كان عطاؤه لغير الله أعطاه الله -كذلك- ما يريد. فمن الناس (من غير المسلمين أو من غير المتدينين) من يبني المستشفيات ويعين المحتاجين وينفق المال الوفير في وجوه الخير، فهل يترك الله أعمالاً كهذه بغير ثواب؟ وكيف يتقبل الله عملاً من غير المسلمين؟ الجواب أن ربنا ﷻ عادل، فهو يسأل هذا المحسن ماذا يريد فيعطيه ما يريد، فإذا قال: يا رب أنا مؤمن بالآخرة وأريد الثواب فيها، أعطاه ما يريد. وإذا قال: أنا أريد أن يُكتَب اسمي في الجرائد أو تقام لي الحفلات أو أشتهر بين الناس، كان له ما أراد. لا يقول هذا بلسانه بل بلسان حاله ورغباته ونياته: ﴿فَمِنَ النّاسِ مَنْ يَقولُ رَبَّنا آتِنا في الدُّنيا وَما لَهُ في الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾[2]، فهو لم يرغب بالآخرة فلم يجعل له الله فيها من نصيب. ﴿وَمِنهُمْ مَنْ يَقولُ رَبَّنا آتِنا في الدُّنيا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وقِنا عَذابَ النّارِ، أولئِكَ لَهُمْ نَصيبٌ مِمّا كَسَبوا، واللَّهُ سَريعُ الحِسابِ﴾[3]. فهؤلاء لهم الذكر الطيب في الدنيا والأجر العظيم في الآخرة.

٤- أما إذا كان قصد هذا الذي يعطي أمام الناس أن يقتدوا به لأنه يشجعهم بعمله على العطاء فهذا أمر طيب، على أنّ إخفاء الصدقة أحسن:

---

[1] البقرة: ٢٦١.

[2] البقرة: ٢٠٠.

[3] البقرة: ٢٠١-٢٠٢.

﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[1].

وورد في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه رجلٌ «تصدّق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»[2]، أي هو لا يخبر بها أحداً مبالغةً في الكتمان. وفي آخر سورة الليل: ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى، إلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾[3]. فهذا ما أعطى ابتغاء مكافأة أو جزاء أو شكور، إلا ابتغاء وجه الله الأعلى، فيقول الله ﷻ عنه: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾[4]، أي ليعطينّه الله حتى يرضيه؛ أفشيءٌ أعظم من هذا العطاء أو جزاءٌ خيرٌ من هذا الجزاء؟

* * *



[1] البقرة: ٢٧١.

[2] في الحديث المشهور الذي يرويه الشيخان (البخاري ومسلم) والترمذي والنسائي ومالك في الموطأ عن أبي هريرة ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...».

[3] الليل: ١٩-٢٠.

[4] الليل: ٢١.



(١١)

المعاملات المالية

الإيجاب والقبول في البيع [1]

سائل يقول إنه قرأ في بعض كتب الفقه أنه لا بد في كل بيع من إيجاب وقبول، حتى الذي يشتري بنصف ريال حلاوة يقول للبائع: بعني هذه، فيقول: بعتك. ويسأل: هل هذا صحيح؟

✿ والجواب: أن الإيجاب والقبول ليس شرطاً لكل بيع، ومن ذلك بيع التعاطي الذي نصّ عليه الحنفية وأجازه آخرون؛ وهو أن يأخذ المشتري بضاعةً ثمنها معروفٌ فيعطيه للبائع، مثل أن يأخذ جريدة (وسعرها الآن معروف) فيعطي البائع ريالاً، فهذا البيع صحيح ولا يُشترَط فيه أن يقول المشتري: اشتريت منك الجريدة بريال، فيقول البائع: بعتك إياها، ويتكرر مثل هذا كلما جاء مشترٍ لشراء بضاعة من هذا النوع.

وتستطيعون أن تجدوا بحثاً موسعاً حول هذا الموضوع في كتابٍ طُبع حديثاً، ولكنهم سمّوا الموضوع بغير اسمه القديم فقالوا: «نظرية العقد في الإسلام»، مع أنه ليس عندنا شيء اسمه نظرية العقد، واستعمال وصف النظرية في هذا المقام خطأ مشى على ألسنة المؤلفين؛ لأن معنى النظرية ليس هو المقصود بمثل هذا الوصف. ونحن عندنا -في كتب الفقه- شروط

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٩.

العقد مفصلة في كل باب من الأبواب: في أبواب وكتب البيع والإجارة والوكالة والزواج، فلو جمعنا هذه الشروط كلها في كتاب واحد لكان فيه مثل الذي يسميه الإفرنج: «نظرية العقد» وهو ما جعلوه عنواناً لهذا الكتاب.

* * *

البيع الآجل

سؤال يقول: إذا كان ثمن السيارة لمن يشتريها الآن ثلاثين ألفاً فباعها صاحبها بخمسة وثلاثين على أن يُدفع الثمن بعد سنة، هل يجوز هذا البيع أو يكون ربا؟

✿ والجواب أن هذا بيع بالنسيئة وهو يجوز. مع العلم أنه إن تأخر المشتري بدفع الثمن أكثر من المدة المعينة فلا يُزاد عليه شيء، وإلا كان ربا.

* * *

الكسب من الوساطة والسعي [1]

سؤال خلاصته أن من الناس من يسعى للآخرين بعمل أو أمر فيه فائدة لهم ومنفعة ثم يأخذ على هذا السعي مبلغاً محدداً أو نسبة من المبلغ المستفاد. هل هذا حلال أو حرام؟

✿ والجواب أن هذا حلال بشرط ألاّ يكون الساعي موظفاً فيكون السعي واجباً عليه بحكم وظيفته، وألاّ يكون المال مكتسَباً من حرام بل

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٥.

يكون السعي في أمر حلال. فإذا كان كذلك واشترط الساعي على المستفيد أن يأخذ أجرة أو نسبة من المال وكان هذا مما جرى به عرف الناس فإنه يجوز.

فمن هذا: المحامي الذي توكله أن يسعى لك في قضية فيأخذ مبلغاً أو نسبة من أرباح القضية أو عائدها، ومثله: المكتب العقاري الذي يتوسط بين البائع والشاري. كل هذا بشرط أن يكون السعي في حلال، أما إن كان في حرام فإنه لا يجوز.

* * *

الغش في بيع القماش [1]

سؤال عن بعض التجار الذين يبيعون القماش في موسم الحج، يبيعونه بالمتر ويقيسونه باليرد، واليرد أقصر من المتر. وبعضهم يأخذ قطعة قماش بقيت من ثوب ولا تكفي للخياطة فيصلها بقماش مشابه ويبيعها على أنها قطعة واحدة، وأشياء من هذا القبيل.

✪ وهذا العمل وأمثاله اسمه غش. وأنا أرجو ألاّ يكون في المسلمين من يصنع هذا؛ لأن رسول الله ﷺ يقول: «من غشّنا فليس منا»[2]، وفي رواية:

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٣.

[2] رواه بهذا اللفظ مسلم وابن ماجة وأحمد والدارمي عن ابن عمر، ورواه الترمذي عن أبي هريرة بلفظ: «من غش» مطلقاً، ولفظه أن رسول الله ﷺ مرّ على صُبْرَة (أي: كومة) من طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعُه بللاً، فقال: «يا صاحب الطعام، ما هذا؟» قال: أصابته السماء يا رسول الله. قال: «أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟» ثم قال: «من غش فليس منا».

«من غشّ» (أي إطلاقاً) فليس منا. فظاهر الحديث على أن مَن غش لا يكون مسلماً، فيكون مرتداً أو خارجاً من الدين، وليس هذا هو المقصود، بل هو من قبيل تعظيم الجرم والتخويف منه كقوله: «لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع». فالغش ليس من شأن المؤمن. فليس منا: أي ليس من أخلاقنا وليس من سلائقنا وليس من شيمنا.

والمسلم لا يغش مسلماً ولا يغش غير مسلم، فكيف يغش الحجاجَ الذين قصدوا بيت الله للعبادة؟ هؤلاء ضيوف الرحمن، فإذا جاءك ضيف عزيز عليك فذهب آخر فأساء إليه ألا تتألم منه؟ فليستغفر الله ويَتُبْ إليه مَنْ غرّته المنفعة العاجلة، وليرجع عن هذا العمل فإنه أمر يغضب الله.

* * *

الاستغلال في المواسم

سائل يقول إن التمر يرتفع سعره في رمضان إلى ثلاثة أضعاف سعره المعتاد، وإذا سُئل البائع عن ذلك يقول: رمضان كريم. وسيارات الأجرة من جدة إلى مكة أو في داخل مكة ترتفع أضعافاً كذلك، وخصوصاً في العشر الأخير، وإذا سُئل السائق يقول: رمضان كريم. ويسأل: ما قولي في هذا؟

✪ وقولي في هذا إن الضرر لا يجوز. والضرر إما أن يكون خاصاً أو عاماً، فإذا كان لا بد من الضرر الخاص لدفع ضرر عام فهذا مما لا بد من احتماله، أما أن تأتي طبقة من الناس فتستغل وتسبب ضرراً عاماً لمنفعتها الخاصة فهذا لا يجوز؛ بل هو أبلغ في الحرمة من الضرر الخاص المحدود.

مع ملاحظة أن الطرقات تزدحم والشوارع تمتلئ بالسيارات في

المواسم وأيام الحج، فربما استغرقت الرحلة التي كانت تتم في نصف ساعة ساعتين، فهنا غير معقول أن يبقى السعر كما كان، بل ينبغي أن يزاد، على أن تكون الزيادة معقولة من غير استغلال أو جشع أو طمع.

* * *

الغرامة

سؤال عن الغرامة، وهي التعويض الذي يدفعه شخص لآخر إذا أفسد له شيئاً أو استعاره منه فضيّعه. فبعض الناس يقولون إن أخذ الغرامة حرام وبعضهم الآخر يصرّون عليها، فما الحكم فيها؟

❁ والجواب:

١- القاعدة الفقهية أن من كانت يده يد أمانة فهلك الشيء من دون تعدٍّ منه ولا تقصير لم يلزمه التعويض.

٢- «يد أمانة» معناها أن الذي استعار العاريّة (وهي الشيء المستعار) قد جعلها بأمانته، وكذلك الوديعة فلو استودعت رجلاً وديعة فهي بأمانته. ومثل هذا أموال القصّر عند الوصي، يده يد أمانة، وأموال الدولة عند الموظف يده يد أمانة.

٣- والتعدي هو العمل الذي يؤدي إلى ضياع الشيء أو إفساده، فلو استُودِع رجلٌ طائراً في قفص على أن يطعمه ويسقيه فأطعمه شيئاً يضرّه فهلك، أو هو تركه فلم يطعمه ولم يسقِه فمات، فهذا تعدٍّ من الرجل وتقصير ويكون مسؤولاً عن تعديه وتقصيره.

٤- أما إذا هلك الطائر رغم العناية الصحيحة به، فليس الذي استُودِعه

مسؤولاً عنه. ومثل ذلك أمين الصندوق في شركة أو دائرة من دوائر الدولة، فلو شبّت النار في مكانه فأتت على الأموال فإنه لا يُطالَب بها. ومثلها لو أودع رجلٌ عند آخر مالاً فوضعه في المكان الذي يضع فيه ماله فجاء لص فسرق المالين جميعاً فإنه لا شيء عليه، جرياً على القاعدة الفقهية.

٥- لكن لو أحب المستعير أو صاحب الوديعة أن يعوض الشيء الذي هلك، فلا يحرم على المتضرر أخذ التعويض.

٦- فخلاصة الموضوع -إذن- أن هذا الذي يسميه الناس غرامة لا يكون واجباً إلا إذا نتج عن تعدٍّ أو تقصير، ولكنه يجوز في غير هذه الحال برضا الطرفين.

* * *

القمار في كرة الطاولة [١]

سائل يقول إن من الناس من يحرِّم لعب كرة الطاولة ويقول إنها حرام وإنها قمار لأن المغلوب يدفع للغالب ريالاً أو مبلغاً ما، ويسأل عن رأيي في هذا الأمر.

✪ رأيي: نعم. إذا كانت هذه اللعبة (كرة الطاولة أو أية لعبة أخرى؛ كرة القدم أو السلة أو غيرها) بقصد الرياضة وتقوية الأجسام فهي مطلوبة لأن الإسلام دعا إلى القوة وإلى الرياضة، هذا ما لم تقترن بمحرم أو تمنع من صلاة أو تصرف عن واجب. ومن المحرّم الرهان، وهو اشتراط أن يدفع المغلوب للغالب مبلغاً معيناً، فهذا قمار لا يجوز.

---

[١] أذيعت سنة ١٣٩٥.

أما إذا كان الذي يدفع المال واحداً منهما كأن يقول له: إذا غلبتني أعطيتك كذا، أو تمنحه جهة ثالثة فيُقال لهما: تسابقا، فمن سبق فله كذا، فهو جائز. وكانت مسابقات الخيل تجري على هذا من أيام النبي ﷺ والخلفاء من بعده إلى صدر الدولة العباسية. وفي ذلك فوائد كثيرة: رياضة وقوة وعناية بالخيل وتعويد على الجرأة والشجاعة، وغير ذلك.

* * *

الربا الناتج عن ودائع المصارف [1]

هذا سؤال عن الربا الذي ينتج عن وضع المال في المصارف الربوية؛ أيأخذه المسلم أم يتركه للمصرف؟

✿ هذا موضوع متسع الجوانب، تكلمت أنا فيه وكتبت كثيراً، وتكلم فيه من هو أعلم مني، وفتحت له مجلة «الوعي الإسلامي» مرة باباً دخل منه وشارك في البحث فيه كثير.

وخلاصة القول: إن الربا محرَّم شرعاً لا شك في حرمته، ومن يودع المصرف مالاً ويحسب له عليه ربا أمامه ثلاث حالات: إما أن يأخذ الربا ويتملكه؛ وهذا هو الحرام الممنوع. وإما أن يدعه للمصرف فيستعمله فيما لا يحل شرعاً، وقد يصل -لترابط المصارف- إلى أيدي اليهود أو غيرهم من الذين يريدون الشر بنا، فنكون قد قوّيناهم بأموالنا على حربنا.

فلم يبقَ إلا أن يُحوَّل المبلغ إلى من وصل به الفقر إلى حد الاضطرار فجاز له بذلك أكل الميتة.

---

[1] هذه الفتوى مما وجدته بخط الشيخ -رحمه الله- بين أوراقه، وليس عليها تاريخ كتابتها أو تاريخ نشرها أو إذاعتها.

وهذا حل مؤقت (من باب ارتكاب أخف الشرين)، والحل الكامل هو ما بدأنا به من إنشاء مصارف إسلامية تسدّ حاجة البلد الاقتصادية، وتعود بالفائدة على المودعين، وتموّل المشروعات الكبيرة، ولا يكون فيها حرام.

* * *

ربا الفضل [1]

سؤال عن ربا الفضل، وما هو الفرق بينه وبين الربا العادي؟

✿ والجواب:

١- الربا في اللغة الزيادة، تقول: ربا الأمرُ إذا زاد، وفي الحديث: «فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير»[2]، أي يكبر فيها الصغير ويزداد عمره. وفيه عن الزكاة أنها: «تربو في كف الرحمن»[3]، أي تنمو وتزداد. وفي وصف الربا في القرآن: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾[4]، بنفس المعنى. والرابية: الأرض التي زاد ترابها فعَلَتْ وارتفعت. فالربا في أصل اللغة: الزيادة؛ ربا يربو ربا، أي: زاد.

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٦.

[2] أثر مقطوع انفرد به النسائي، عن ابن شبرمة أن طلحة قال لأهل الكوفة: «في النبيذ فتنةٌ يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير». وطلحة هذا هو طلحة بن مصرف بن عمرو، كان سيد قرّاء أهل الكوفة، ثقة، من الطبقة الصغرى من التابعين.

[3] عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ما تصدق أحد بصدقة من طيّب -ولا يقبل الله إلا الطيّب- إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربّي أحدكم فَلُوَّه أو فصيله». رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد والدارمي ومالك في الموطأ.

[4] البقرة: ٢٧٦.

٢- فكان المعنى: الزيادة في المال، ثم تخصص فصار: الزيادة في المال التي لم يدخل فيها عنصر العمل، وهذا هو ربا النسيئة أو الربا بمعناه المشهور، وأحكامه معروفة. ذلك أن الأموال التي تنمو إما أن تكون من الأموال الحية كالحيوان والنبات، تشتريه صغيراً فيكبر ويزداد ثمنه، أو أن يكون مما يقبل التناسل كالذكر والأنثى من الحيوان: تشتري اثنين فيصير عندك بعد سنة عشرون.

٣- أما غير ذلك من الأموال كالنقد والذهب والفضة فلا يقبل النمو ولا التناسل. فلو وضعت في الصندوق ريالاً لا يكبر حتى يصير خمسة ريالات مهما طالت المدة، ولا يلد الريالان قرشاً. لذلك كان أخذ المال مقابل الزمان فقط ممنوعاً وكان عنصر العمل شرطاً أساسياً في استحلال الزيادة في المال. وليس العملُ عملَ اليد فقط، بل إن المُضارب الذي يضع ماله في شركة المضاربة يعمل بذهنه عملاً أشقّ من قَطع الحجارة؛ فلذلك أُبيحت المضاربة وحُرِّم الربا. والربا ينشئ طبقة من الناس لا يعمل أصحابها بل يستغلّون عمل العاملين.

٤- أما ربا الفضل الذي نهى عنه النبي ﷺ فهو أن يبيع الناس الذهب بالذهب أو الفضة بالفضة أو التمر بالتمر أو الشعير بالشعير. وأوضّح ذلك بالتمر: فعندنا من التمور أنواع كثيرة قد تزيد عن عشرين أو ثلاثين نوعاً، وليس هذا بعجيب فعندما كنت مدرّساً في ثانوية العراق سنة ١٩٣٦ خبروني أن عندهم هناك مئة نوع من التمر. وفي الشام أنواع من العنب كثيرة، حتى إنهم أقاموا مرةً معرضاً له في داريّا[1] فعرضوا فيه من أنواعه نحو خمسين نوعاً

---

[1] وهي قرية العنب المشهورة قرب دمشق، وقد اتصلت بها الآن، والنسبة إليها: ديراني. قلت: وعائلتنا تُنسَب إلى هذه البلدة؛ يزعمون أن جداً لنا كان يسكن حي الميدان بدمشق تزوج امرأة من داريّا وجاء بها إلى الحي، فنَسَب أهلُ الحي أولادَه منها إليها فقالوا: أبناء «الديرانيّة»، والله أعلم (وإن تكن هذه فائدة لا تهم أكثر الناس).

يختلف كلٌّ منها عن الآخر. فالشرع ينهى أن يُقايَض نوعٌ من التمر بآخر، فلو كان منه نوع ثمين وآخر رديء لم يجُزْ أن تُبدَّل صفيحةٌ من هذا بواحدة أو أكثر من ذاك.

٥- لكن لا يمنع الشرع مَن يريد تصريف نوعٍ رديء عنده من التمر وامتلاك نوع جديد منه أن يفعل ذلك، فيقول لمثل هذا: بِعْ واشترِ. فيبيع ما عنده بما يعدله من المال ويشتري بهذا المال أي نوع يشاء من تمور الآخرين.

٦- والسبب في هذا المنع -كما قال الفقهاء- اختلاف الأثمان؛ فإن لكل نوع ثمناً يختلف عن الآخر، فربما سببت المقايضة نزاعاً أو خلافاً بين المتقايضين، والشرع يسد باب الخلاف حيثما وجد.

٧- وأمرٌ آخر يُظهر الحكمة في هذا المنع: فالمقايضة كانت النظام الاقتصادي الذي لجأ إليه الناس قديماً قبل وجود النقود، فكان البيع والشراء يتم بالمقايضة. فربما دفع المشتري قمحاً وقبض تمراً، ثم يشتري بالتمر أو بجزء منه ثوب قماش، ويستبدل بالقماش بعد ذلك خاتم فضة، وهكذا. فجاءت النقود لتسهّل التعامل بين الناس فيصبح التعامل والبيع والشراء بها بديلاً لهذه العملية الساذجة وخروجاً من عصر المقايضة البدائي، وبذلك يكون تحريم ربا الفضل نظاماً تقدمياً باصطلاح أهل هذا العصر.

* * *

(١٢)

مشكلات اجتماعية



القيام للمعلم

سؤال من مجموعة من الطلاب اختلفوا مع المدرس. سمعوا حديث: «من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار»، فدخل الأستاذ فلم يقوموا له فوقع بينهم الخلاف. ويسألون: هل هم المحقون أم الأستاذ؟

✿ والجواب:

١- الحديث يقول: «من أحبَّ أن يتمثل له الناس قياماً»[1]. والمحبة أمر قلبي، فإذا كان هو من يحب أن يقوم له الناس فإنه يؤاخَذ على ذلك وحده ولا شيء على الطلاب.

٢- ولكن هل القيام للترحيب (الذي صار الآن أمراً مألوفاً معتاداً) هو المقصود بالحديث؟ العز بن عبد السلام يقول إنه إذا تعارف الناس على القيام لم يكن فيه بأس. والقيام الآن مما جرى به العرف، فإذا لم يقم الواحد للآخر لم تُؤمَن الخصومة أو العداوة أن تقعا بين المسلمين، وضرر مثل ذلك في نظر الإسلام أشد من ضرر القيام.

---

[1] خرج معاوية بن أبي سفيان ﷺ فقام له عبد الله بن الزبير وابن صفوان، فقال: اجلسا؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سرّه أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

٣- وإذا حددت المدرسة القيام للمدرس فهذا جزء من النظام ولا يكون هو القيام المقصود في الحديث، ولكن لو نهى عنه الأستاذ ولم يرغب فيه فهو أفضل. وأنا اشتغلت بالتدريس خمسين سنة فعلّمت في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية فكنت أقول للطلاب دائماً: "لا أريد أن يقوم لي أحد"، فأغلقت هذا الباب واسترحت وأرحت.

٤- والرسول ﷺ، وهو القدوة والأسوة، كان ينهى أصحابه عن القيام له؛ فكان يدخل المجلس وهم قعود فلا يقومون. فلو أن الأستاذ اقتدى به فهو أمر طيب، أما إذا أراد القيام ونظام المدرسة يوجب القيام فليس في هذه الحالة من المحرمات.

* * *

صاحب العمارة الذي يؤذي الساكنين[1]

شكوى من مستأجر يقول فيها إن صاحب العمارة يؤذي المستأجرين والساكنين بأنواع الأذى ويقطع عنهم الماء ليزيدوا له الأجرة خلافاً للقانون الذي حدد أجرة معينة، وفي كل مرة يشتكونه إلى العمدة فيحل المشكلة لصالحهم، ثم لا يلبث الرجل أن يعود إلى سابق عهده، فما العمل؟

✿ منشأ هذه المشكلة وأمثالها أن الناس لا يتقون الله ولا يتبعون الدين، يطلب كل إنسان أكثر من حقه ولا يرضى به مجرداً ويقصّر -بالمقابل- في واجباته، ويذكر حقه وينسى حقوق الآخرين، ويهتم بمصلحة نفسه ولا تهمه مصالح الناس. فمن أجل ذلك تقع الخلافات بين المؤجرين والمستأجرين

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٨.

والبائعين والمشترين والأزواج والزوجات.

فأما مراجعة العمدة أو القاضي أو السلطة الحكومية فهو الحل العاجل الموقت، وأما الدواء الحقيقي والحل الدائم لمثل هذه المشكلات فهو العودة إلى خوف الله واتباع أوامر الشارع والتمسك بالدين.

* * *

الجلوس في الطرقات

سؤال حول ما يفعله بعض الناس من الجلوس في الطرقات أو أمام الحوانيت ليس لهم من عمل إلا انتقاد الآخرين والتعليق عليهم، أيجوز هذا؟

✿ والجواب:

١- هذا لا يجوز قطعاً. والرسول ﷺ لما نهى المسلمين عن الجلوس في الطرقات قالوا: يا رسول الله، إنها مجالسنا[1]؛ أي: اعتدنا على الجلوس فيها، فاشترط عليهم شروطاً منها عدم إيذاء الناس والمارة في الطريق.

٢- ومن إيذاء المارة التضييق عليهم، مثل القهوات التي تضع كراسيها على أرصفة الشوارع، وكذلك صاحب الدكان الذي يضع البضاعة أمام دكانه. وهذا كله ممنوع لأنه يؤذي الناس ويضيق عليهم الطريق.

---

[1] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إياكم والجلوس في الطرقات. قالوا: يا رسول الله، ما لنا بدٌّ من مجالسنا نتحدث فيها. قال: فإن أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه. قالوا: وما حقه يا رسول الله؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، وردّ السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر». رواه مسلم وأحمد، واللفظ لمسلم.

٣- وانتقاد الناس والتعليق عليهم ممنوع أصلاً ولو في غير هذا المقام؛ لأنه من الغيبة، والغيبة لا تجوز.

٤- ويتعلق بهذا ما يصنعه بعض الناس حين يضعون النُفاية والقاذورات أمام أبواب جيرانهم فيؤذونهم ويسببون الأذى لكل من يمر بالطريق.

٥- والخلاصة في هذه المسألة موجودة في الحديث الصحيح الوارد في شعب الإيمان، وفيه أن الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، أفضلها قول «لا إله إلا الله» وأدناها إماطة الأذى عن الطريق[1]. فلو تأملنا هذا الحديث لوجدنا أن من شأن المؤمن الحقيقي أن ينظف الطرقات ويدفع عنها الأذى لا أن يسبب الأذى لها أو للمارين بها من الناس.

* * *

لعب الأولاد في الحارات

شكوى من امرأة تقول إن جارها لا يحب أطفالها ويمنعهم من اللعب في الحارة، مع العلم أن الحارة ضيقة ولا تتسع لمرور السيارات، وهي لا تستطيع حبس الأولاد في البيت. فماذا تفعل؟

✿ والجواب أن هذه المرأة صنعت بشكواها كالذي قاله العوام في أمثالهم: «ضربني وبكى، ثم سبقني وشكا»! لعب الأولاد الصغار في الحارة والشارع (لا سيما إذا كانت الحارة ضيقة كما تقول) يزعج الناس ويزعج

---

[1] عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان». رواه مسلم بهذا اللفظ ورواه ابن ماجة بلفظ مقارب.

الجيران. فإذا كان الجيران ممن يعملون بأذهانهم؛ كالمدرّس يعدّ درسه، أو المحامي يدرس قضيته، أو التاجر ينظر في حساباته، فإن إزعاج الأولاد وصخبهم ولعبهم سيصرفه عن عمله الذي يعمله، فمنعهم من اللعب في الطريق يبدو -إذن- منطقياً ولازماً.

ولكن حبس الأولاد في البيت الضيق مشكلة أخرى. فما الحل؟

الحل أن تعمد البلديات إلى إنشاء حدائق عامة وساحات وملاعب للأطفال في كل حي، على أن يكون فيها من يراقب ويشرف لئلاّ يؤذي الصغار بعضهم بعضاً أو يدخل فيهم غريب قد يسيء إليهم.

* * *

السرعة الزائدة في قيادة السيارات [1]

هذه شكوى تتحدث عن بعض السائقين الذين لا يخففون من سرعة سياراتهم عندما يمر في الطريق رجل عجوز أو امرأة أو أطفال صغار.

✿ وهذه الشكوى صحيحة، فمن السائقين من لا يحترم خطوط المشاة، مع أن هذه الخطوط الصفراء ما هي إلا ممرات وُضعت لكي يمر عليها المشاة بأمان، فإذا اقترب السائق منها فعليه أن يخفف سرعته. وأنا أذهب إلى الحرم فأمشي فوق هذه الخطوط فأجد السيارات أحياناً مندفعة نحوي مثل الريح، وهذا لا ينبغي.

وبالمقابل فإن من الناس من يمشي في الشارع وكأنه يمشي في

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٥.

غرفةٍ من غرف بيته؛ لا يبالي بسيارات ولا يهتم بشيء. وهذا أيضاً لا ينبغي. الصواب في التوسط فيحذر أصحاب السيارات ويتمهلون ويتنبه المشاة ويسرعون، ويراعي كلٌّ من الطرفين الآخر.

* * *

الحيوانات السائبة في الطرق العامة

هذه رسالة فيها تنبيه على مسألة الحيوانات التي تمشي على الطرق العامة، كالطريق الذي يصل مكة بجدة أو الطائف بالحوية، فتتسبب في حوادث واصطدامات مع السيارات قد تسبب الموت لراكبيها.

✿ وهذا التنبيه حق. فالذي يمشي بسيارته في هذه الطرق يُفاجَأ أحياناً بجمال تسير وسط الطريق، فإن كان مسرعاً لم يتمكن من تفاديها واصطدم بها، فربما تسبب الاصطدام في جروح أو كسور تصيب ركاب السيارة، وقد يودي بهم حادثٌ كهذا إلى الموت.

وهذه الطرق العريضة التي تصل بين المدن من اختراع هتلر؛ ابتكرها أيام الحرب العالمية الثانية وسماها: «أوتوبان» («أوتو» كلمة يونانية قديمة معناها: الشيء الذي يتحرك بنفسه، و«بان»: طريق)، وهي تُسمّى في فرنسا: «أوتوروت»، وفي إيطاليا: «أوتوستراد»، وكلها بنفس المعنى. وهم يجعلون الطريق أقساماً[1]، فمن أراد أن يمشي ببطء مشى إلى يمين الطريق، ومن أراد

---

[1] والناس يسمون هذه الأقسام «مسارب» (واحدها: مَسْرَب). والظاهر أن هذا الاسم صحيح؛ ففي المعجم: سَرَبَ في الأرض: ذهب على وجهه فيها، وفي القرآن: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾. والمَسْرَب: مكان السروب، جمعه: مسارب، يقال: هذه مسارب الحيات، لمواضع آثارها إذا انسابت في الأرض على بطونها.

التوسط في السرعة مشى في الوسط، ولا يمشي إلى اليسار إلا من كان مسرعاً. فهذه الطرق مخصصة -على ذلك- للسير السريع، فمن سار بسيارته فيها لم يتوقع أن يعترضه حائل أو حاجز، فكيف بجمال تسرح في وسطها أو قطعان من الأغنام أو البقر تعبرها من إحدى جهتيها إلى الجهة الأخرى؟ فالحل يكون إما بمنع أصحاب الحيوانات من أن يقتربوا بها من الطرقات العامة أو بإنشاء ممرات تحت الأرض تمر الحيوانات عبرها ولا تعطل حركة السير.

ولا يعقل أن يتسبب الحيوان في الأذى ثم يذهب صاحبه فيطالب السائق بثمنه وعوضه، فمن أدخل حيواناً له إلى الطريق فأُصيب فإنه يخسره ولا يُعوَّض عنه بشيء، بل هو يُعاقَب -فوق ذلك- ويُطالَب بالغرامة لما يسببه من أذى للناس.

* * *

الكلاب الضالة في الشوارع [1]

هذه شكوى من الكلاب التي تجوب الشوارع فتسبب الإزعاج للناس، لا سيما بعوائها ليلاً، وربما آذت الصغار بالعض أو التخويف، وهي تعرقل حركة السيارات وتنقل الأمراض وتتسبب في توسيخ الشوارع بالأقذار المتخلفة عنها.

○ والجواب أن الإسلام قد ضمن للحيوان السلامة كما ضمنها

[1] أذيعت سنة ١٣٩٥.

للإنسان، وقال إن في كل ذات كبد رطبة أجراً[1]، لكن الحيوان الذي يؤذي الناس ينبغي أن يُقتَل. والأذى قد يكون باللدغ أو العض أو الافتراس، وقد يكون بنشر الأمراض، أو بغير ذلك. فالذي أراه أنا أنه لا بأس في قتل هذه الكلاب الضالة وإبادتها لإراحة الناس من أذاها.

* * *

[1] عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: «بينا رجل بطريق اشتدّ عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلبٌ يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلبَ من العطش مثلُ الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له. قالوا: وإن لنا في البهائم لأجراً؟ فقال: في كل ذات كبد رطبة أجر». رواه البخاري وأحمد وأبو داود.



(١٣)

الحب ومشكلات الشباب

الحب قبل الزواج [1]

سؤال من موظف شاب يقول إنه أحب بنت الجيران وأراد الزواج بها ولكن أهله عارضوا واختلفوا مع أهلها فرضي -إرضاءً لوالديه- بالابتعاد عنها ولكن قلبه لا يزال معلقاً بها، فماذا يفعل؟ ويسأل: هل الحب قبل الزواج حرام؟

✿ والجواب:

١- لا يحاسبنا الله ﷻ على غير الأمور الإرادية، وهي التي نفعلها بإرادتنا وحريتنا، أما الأمور التي نعملها اضطراراً أو بالإكراه ولا نملك فيها حرية الاختيار فإن الله لا يؤاخذنا عليها. وفي الحديث الذي يرويه ابن ماجة: «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه»[2].

٢- المسلم مطلوب منه أن يغض بصره. فإذا مشى في الطريق فله النظرة الأولى، أو اللمحة الأولى، فإن أطالها فهي الثانية، وهي عليه. فلو أن رجلاً وقع نظره عَرَضاً على فتاة ولم يتعمد النظر إليها، فتعلق بها وأحس أنه أحبها، فليس هذا مما يُؤاخذ به الإنسان.

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٦.

[2] رواه ابن ماجة بهذا اللفظ عن أبي ذر الغفاري ﷺ وبلفظ: «إن الله وضع عن أمتي» عن ابن عباس ﷺ.

٣- على أن علماء النفس المحققين يقولون إن الحب من النظرة الأولى غير واقع وغير صحيح، حتى إن وليم جيمس (وهو فيلسوف وعالم نفسي) سماه: «الإحساس بالجمال» ووصفه بأنه عمل منعكس لهذا الإحساس ينشأ منه ما يشبه الصدمة الكهربائية، تنقلها أعصاب الحس إلى النخاع الشوكي فيعقبها تنبه مفاجئ لا يلبث أن يؤول إلى فتور. ذلك مجمل ما أذكره في هذا الموضوع، وعهدي بقراءته بعيد.

٤- لذلك قال النبي ﷺ: «لك النظرة الأولى وعليك الثانية»[1]، لأن مثل هذا الإحساس يبدأ مع النظرة الأولى وينتهي بعدها. فإن كانت الثانية بدأت بينه وبين الفتاة مرحلة جديدة، إذا استمرت انتهت عند المأذون الشرعي في المحكمة الشرعية أو عند قاضي التحقيق في محكمة الجنايات!

٥- فالحب من النظرة الأولى -إذن- غير ممكن أو هو بعيد الوقوع، لكن لو افترضنا وقوعه فإن المحب لو اقتصر على شعورٍ بالقلب ولم يقل أو يعمل شيئاً فإن الله لا يؤاخذه، أما إذا سعى إلى الاتصال بالفتاة، سواء بالهاتف أو بالرسائل أو بإشارة من الشباك أو بأي نوع من الأنواع، فضلاً عن الاجتماع بها، فإن هذا لا يجوز وهو مما يؤاخذ عليه الله.

٦- هذا هو الحكم العام. أما بالنسبة للسائل فعليه أولاً أن ينظر إلى أهلِ الفتاة وحالهم: أهم مناسبون أم غير مناسبين، ثم إلى الفتاة: دينها وخلقها وسنها ومجمل حالها وصفاتها: أمناسبة له أم غير مناسبة؛ لأن بناء الزواج على الحب وحده خطأ كبير، فالحب لا يصلح بمفرده أساساً للزواج كما قلتُ مراراً، وهو لا تلبث فورته أن تذهب بعد الزواج كما تذهب فورة المـاء

[1] روى الترمذي وأبو داود وأحمد والدارمي أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب ﷺ: «يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة».

في إبريقٍ انطفأت تحته النار.

فليتصور هذا الشاب فورة الحب وقد ذوت، وناره وقد خبت، فإن وجد بعد ذلك أن توافقاً يبقى بينه وبين الفتاة وأنها مناسبة له، فليرضِ أباه وأمه ويتزوجها إن استطاع، وإن وجدها غير مناسبة له فليحاول أن ينساها ويتزوج بسواها، فالنساء كثير.

* * *

الحب بين الشاب والفتاة

سؤال من شاب يقول إنه يحب فتاة وهي تحبه، وهو يريد الزواج بها لكن أهلها رفضوه مع أنه ليس فيه ما يعيبه شرعاً، فهل له الحق في أن يتزوجها رغم ممانعة أهلها؟

✿ والجواب:

١- إذا كان هذا الشاب صالحاً وهي موافقة له ولم يتصل بها اتصالاً مباشراً مما يؤدي -غالباً- إلى الوقوع في الممنوع وكان أبوها يمانع في هذا الزواج بغير حجة شرعية، فأبوها عاضل ويحق للشاب أن يخطبها من القاضي. فيستدعي القاضي الأب ويسأله، فإن لم يجد لديه مسوغاً في منع زواجها زوّجها هو بولايته العامة أو دعا من يلي الأب من الأولياء ليتولى تزويجها.

٢- والله قد شرع الولاية في الزواج لمصلحة البنت لأنها قد تندفع في رغبتها غير مصغية إلى عقلها فتقدم على الزواج بمن لا يصلح لها، والأب لها بمثابة الكابح (الفرامل) للسيارة يمنعها من الاندفاع والتهور إلى ما فيه أذاها أو ضررها.

٣- على أن الحب المزعوم الذي يكون بين البنت والشاب الأجنبي عنها منكَرٌ لا نقرّه ولا نرضاه. ولو أطلقنا الحرية وقلنا إن الشاب إذا فتح شباك بيته فرأى بنت الجيران فغمزها وغمزته وأحبها وأحبته صار من حقه أن يتزوجها، رضي أهلها أو لم يرضوا، وأن يخدعها وهي صغيرة غريرة، فإننا نأتي أمراً لا يقرّه الدين ولا يرضاه عاقل في الدنيا؛ لأن الشرع إنما جاء لمصلحة الجميع، فإن جاز لك أن ترى بنت الجيران وأن تتصل بها فتذكّر أن لها أخاً وأن لك أختاً، فما تصنعه بأخته يصنعه بأختك، فينتشر الشر بين الناس.

٤- والكتّاب الذين يدعون إلى حرية البنات وإلى التفلت والاستهانة بالمبادئ الشرعية والاجتماعية ليس لهم بنات أو زوجات يغارون عليهن لأنهم غير متزوجين، فهم يريدون إخراج بنات الناس وزوجاتهم إلى الشوارع والطرقات وإقحامهن في زحمة الحياة لتصبح كل بنت وكل زوجة لهن خليلة أو عشيقة. هؤلاء لا يملكون الحق بالكلام في هذه المسألة، أما أنا -إذا جئت أتكلم- فإن عندي من البنات والحفيدات والأخوات ما يعطيني ويعطي أمثالي هذا الحق، ونحن بذلك ندافع عن أعراض زوجاتنا وبناتنا وأخواتنا، وعن صلاح المجتمع الذي نعيش فيه.

٥- بل إن بعض من يتستّرون بالأدب ويُدعَون أدباء قد جعلوا -في بعض قصصهم- الحب أقوى من الزواج، فمن أحب امرأة وأحبته فهي له ولو كانت متزوجة، لأنّ حبهما بالحرام أقوى -كما زعم- من عقد الزواج الذي يجمع المرأة مع زوجها! والذي يقول مثل هذا الكلام الفارغ ليس له مكان مناسب غير مستشفى المجانين. إنه كمن يمرّ أمام الدكان فيرى البضاعة فيشتهيها فيقول للبائع: "أعطني هذه بغير ثمن. لقد أحببتها واشتهيتها، وحبي لها أقوى من ملكيتك إياها، فإذا لم تعطِنيها انكسر قلبي وانجرحت

مشاعري...".

هذا -يقيناً- من كلام المجانين.

* * *

الحرية المطلقة للشبان والشابات [1]

هذه رسالة من شاب متأثر بالدعايات الجديدة، أورد كلاماً كثيراً خلاصته أنه يدعو لأن يُعطى الشاب والفتاة حريتهما المطلقة.

✿ والجواب: ما معنى الحرية المطلقة؟

الذين ينادون بهذا الكلام ويكتبونه في الصحف والمجلات لا يعرفون ما يقولون ولا يدركون إلامَ يدعون؛ لأن الحرية المطلقة لا تكون إلا للمجانين، أما العقلاء فحريتهم مقيَّدة لأن العقل قيد، والمتحضرون حريتهم مقيَّدة لأن الحضارة قيد. فلو عاش الإنسان منعزلاً عن الناس منفرداً في جزيرة (كما فعل روبنسون كروزو أو حي بن يقظان في القصص المتخيَّلة) لكان له أن يفعل ما شاء وقت يشاء، ولكانت حريته مطلقة لا يقيدها قيد. أما في الحياة المتحضرة فحرية الفرد تنتهي عندما تبدأ حقوق الآخرين، والمرء حرٌّ في أرضه ولكن ليست له الحرية في أراضي الجيران من حوله.

نعم؛ العقل نفسه قيد. انظروا إلى الأصل اللغوي لهذه الكلمة، نقول: «عقل الناقة» إذا ربطها. و«العقال»: الحبل الذي تُربَط به. وكذلك الحكمة، من: «حُكِمت الدابة» إذا رُبطَت في عنقها باللجام أو الرسن. فكلا الكلمتين فيهما معنى القيد.

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٨.

والدعوة إلى الحرية المطلقة (التي ينادي بها عندنا بعض الناس) ما هي إلا ترديد لألفاظٍ حفظوها لم يفهموها ولم يدركوا معناها، بل هي -أصلاً- لا معنى لها. فلو خطر ببال أحد الركاب في الحافلة الكبيرة فتخطى الصفوف حتى جاء إلى السائق فركب فوق عنقه وراح يشدّ أذنيه ويقول: أنا حرٌّ، أفعل ما أشاء، أو أعطيت الفتاة حريتها المطلقة فذهبت إلى أمها وهي واقفة في الشرفة تنشر الغسيل فألقت بها من الدور السادس إلى الأرض، أو ذهب الشاب فوضع فراشه في وسط شارع أجياد الذاهب إلى الحرم وقال لأصحاب السيارات: لا تمروا من هذا الشارع فأنا أريد النوم وأنا حرٌّ أفعل ما أريد... هل يكون هذا كله من عمل العقلاء؟

لا يفعل شيئاً من ذلك إلا مجنون، ولا تكون الحرية المطلقة لعاقلٍ أبداً. أما أمثال هؤلاء فلا يُتركون بين الناس، وإنما يؤخَذون إلى مستشفى المجانين!

* * *

هل يحرّم الإسلام الحب؟[1]

شاب أحب فتاة ويريد الاتصال بها، ويسأل: أليس الإسلام يوافق على الحب والنبي ﷺ يقول: من أحب فعفّ فمات مات شهيداً؟

✿ والجواب:

جملة «من أحبّ فعفّ فمات مات شهيداً» ليست من قول النبي ﷺ.

---

[1] هذا الجواب مما وجدته بخط جدي -رحمه الله- بين أوراقه، ولم أجد عليه ما يدل على تاريخ كتابته.

والإسلام لا يحرّم الحب؛ لأنه من عمل القلب، ولكنه يحرّم تكرار النظر إلى المرأة والانفراد بها ولو في زاوية الشارع، ويحرّم على الشاب الأجنبي عنها مراسلتها وبثها عشقه وغرامه، أو الاتصال بها بالهاتف أو من النافذة، ويعد ذلك فسقاً.

فإذا كان حبك شريفاً حقاً فخذ معك أباك أو عمك واذهب إلى أبيها أو عمها فقل له: "جئتك خاطباً راغباً فزوجني ابنتك"، أو ابعث أمك تخطبها من أمها. أما أن تتصل بها بحجة أنك تحبها، حتى إذا أوردتها المورد تركتها والحمل في بطنها والعار على كتفيها وذهبت تفتّش عن مغفلة غيرها لتغرر بها، فهذا ليس حباً ولكنه إجرام جزاؤك عليه أن يقطع ظهرك بالسوط، وإن كنت متزوجاً فالجزاء الرجم.

هذا هو جوابي، والسلام.

* * *

جواب خاص[1]

❁ الطريق الوحيد الذي ينجيك من المتاعب في الدنيا ومن السؤال في الآخرة هو أن تتناساها وتستغفر الله على أنك قد أسأت باتصالك بها وهي أجنبية عنك. تصور لو أن شاباً زعم أنه أحب أختك وأرادها، وأبوها وافق على زواجها بغيره. هل تكون معه إذا أراد الاتصال بها؟

ونصيحتي أن تحذر الإقدام على عمل لا تُحمَد عواقبه (كما تقول)؛ لأنك عندئذ تنسى سكرة الحب وتفيق منه، وتواجه المكاره في الدنيا ثم

---

[1] وهذا مما وجدته بخطه كذلك بلا تاريخ.

العقاب من عند الله. هذه نصيحتي وإن كانت ثقيلة عليك. نعم ثقيلة، ولكنها هي الصواب.

* * *

الطّيبات للطّيبين والطّيبون للطّيبات

فتاة من عائلة متدينة تقدم لخطبتها شاب مركزه حسن وماله كثير لكنه يشرب الخمر ويسهر مع أصدقاء السوء لوقت متأخر، وهي تعمل مدرّسة للدين وتريد شاباً جامعياً متديناً مستقيماً. البعض ينصحها أن تقبل هذا الشاب لحسن مركزه ووفرة ماله وهي تأبى. وتسألني: ما نصيحتي لها؟

✿ ونصيحتي لكِ -يا ابنتي- أن تثبتي على رفضك؛ فلا تترددي ولا تراجعي، فالدين أهم مقياس وهو قبل كل شيء. وهذا الشاب إن كان عنده المال الكثير وكان -كما ذكرتِ- مرتكباً للمعصية وله أصحاب سوء ينصرف إليهم ويسهر معهم، فثقي أنه سينفق ماله كله أو جلّه عليهم؛ لأن الحرام يأكل المال كما تأكل النار الحطب اليابس. وهو إن كان يشرب الخمر ويجاهر بالمعصية فإنه ما عرف حق الله عليه مع إنعامه عليه بالنعم الوفيرة التي يعجز عن عدّها وإحصائها، فهل يعرف حق العباد عليه مَن ضيّع حق ربّ العباد؟

هذه نصيحتي لكل من أراد الزواج من الشبان والشابات، يختارون أهل الدين والتقوى والصلاح ولو كانوا أقل مالاً وجاهاً وجمالاً، فإن في ذلك الخير لهم في الدنيا والآخرة.

* * *



(١٤)

مشكلات الآباء والأبناء

شاب يأخذ أبوه منه المال [1]

سؤال من شاب في الثامنة عشرة، طلق أبوه أمه وهو في الثالثة من العمر، ثم تزوج امرأة أخرى وتزوجت أمه رجلاً آخر، فعاش في منزل والده الذي صار يسيء معاملته، فترك البيت وسافر إلى مدينة أخرى وبدأ يعمل بالنهار ويدرس بالليل، وكلما جمع شيئاً من المال جاء أبوه فأخذه منه وسافر به، فهل يجوز له أن يفعل ذلك؟

✪ والجواب:

١- إذا كان الأب فقيراً محتاجاً والولد موسراً عنده ما يفيض عن حاجته وحاجة زوجته وأولاده فعليه أن يساعد أباه بما يقدر عليه، فإن لم يفعل كان للقاضي أن يلزمه بذلك ويحمله عليه.

٢- أما إذا كان الأب غنياً مكتفياً غير محتاج وليس عند الولد غير هذا القليل الذي جمعه فليس للأب أن يأخذ منه شيئاً.

٣- هذا من حيث الجواز وعدمه، ولكن تبقى المودة والمحبة التي يجب أن تربط الأب بولده وأن تكون موجودة بين أفراد الأسرة. فلو كان

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٦.

هذا الأب يحب ولده لما سمح له قلبه بأن يؤذيه فينتزع منه المال الذي جمعه بتعبه وجهده، بل كان يساعده ليتزوج ويبني مستقبله، وكذلك لو كان الأب محتاجاً فالولد يعطيه من قبيل الإيثار ولا يحتاج أن يحمله القاضي على ذلك. ولعل هذا هو مكمن الداء وهو ما ينقصنا حقيقة: المحبة والمودة التي ينبغي أن تعم أفراد الأسرة وتربط الآباء بالأبناء والأبناء بالآباء.

* * *

رجل يأخذ مال ولده [1]

شاب عمره اثنان وعشرون عاماً، ترك الدراسة من الصف الثاني المتوسط واشتغل حتى جمع مبلغاً من المال، فقال له أبوه: هات المال لأزوجك، فأخذ المال ولم يزوجه. وتكرر ذلك منه مرات: في كل مرة يأخذ منه المال الذي يجمعه. فماذا يفعل؟

✪ الجواب على سؤالك: لا تعطِه المال.

أنا لا أعلّم الأولاد عصيان الآباء، ولكني أحدّ من ظلم الآباء أولادَهم. للأب على ولده حق بلا ريب، وهو سبب وجوده، ولكن لا يعني هذا أن يصبح إلهاً لا يُسأل عما يفعل. الله وحده الذي لا يُسأل عما يفعل أما الناس فيُسألون. فهذا ظلم واضح والله لا يرضى عن الظلم، وعلى الولد أن يدفع عن نفسه الظلم فلا يعطي أباه المال ويتزوج بنفسه.

* * *

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٦.

شاب أخذ من مال أبيه [1]

شاب يقول إنه كان في مطلع صباه يمد يده إلى جيب أبيه فيأخذ منه بعض المال من غير علمه، وهو قد كبر الآن وعقل وندم على ما كان منه وصار له مال فيريد أن يردّ إلى أبيه ما كان أخذه منه ولكنه لا يريد أن يكشف له ما كان من سابق عهده، فماذا يفعل؟

✿ هذا شاب تنبّه إيمانه ورجع إلى الله، فالحمد لله على ذلك. وهو يستطيع -ما دام قد صار له مال- أن يشتري لأبيه هدية بمثل المال الذي أخذه منه أو بما يزيد عليه. وكل ولدٍ كبر فتوظف وصار له راتب يمكن أن يصنع مثل ذلك فيهدي أباه أو أمه هدية من راتبه، فإن في ذلك معنى طيباً يسرّهما ويسعدهما.

* * *

أب يمنع ابنه من الدراسة

سؤال من شاب حصل على الشهادة الثانوية بدرجة ممتازة ويريد دخول الجامعة ولكن أباه يمانع ويريده على العمل معه ليوفر أجر عامل بمقدار كذا، فهل يكون عاقاً لأبيه لو خالفه ودخل الجامعة؟

✿ والجواب:

١- الطاعة المطلقة واجبة لله ﷻ فقط، فإذا أمرنا الله بأمر فعلناه سواء ظهرت لنا الحكمة في الأمر أو لم تظهر، وإذا نهانا عن أمر تركناه

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٨.

سواء ظهرت الحكمة في النهي أو لم تظهر؛ لأن حق الله على عباده حق مطلق، وليس هذا الحق المطلق لسواه من خلقه سواء أكان الأب أو الأم أو غيرهما.

٢- فالأب طاعته واجبة ولكنها طاعة محدودة وليست في كل شيء. فإن كانت له حجة معقولة في منع ولده من الدراسة فعليه أن يطيعه، أما لمجرد أن يوفر أجر كاتب أو عامل فليس له أن يعطل ولده عن الدراسة العالية ويضيع عليه مستقبله. بل هو لو تركه أربع سنوات ليتم تعليمه ويحصل على الشهادة فربما يستفيد منه بأكثر مما يوفره في منعه عن الدراسة اليوم.

٣- و من أراد أن يعرف حد العقوق وتفصيله فليراجع كتب الفقه. والمسألة مفصلة في كتاب «الزواجر عن ارتكاب الكبائر» لابن حجر الهيثمي، وهو من الكتب النافعة وإن كان مطولاً. وابن حجر هذا الملقب بالهيثمي المكي فقيهٌ أصله من مصر وأقام في مكة وتوفي بها فنُسب إليها، وهو غير ابن حجر العسقلاني الكبير صاحب «فتح الباري» الذي هو معلمة أو مُعلَم في الحديث (نقول: «مُعلَم» على وزن مُعجَم؛ أي: دائرة معارف).

* * *

أب يريد إكراه ولده على الزواج

شاب في المرحلة الثانوية عمره سبع عشرة سنة يريد أبوه أن يزوجه ابنة عمه التي تكبره بخمس سنوات، وهو لا يريد لأنه صغير ولأن البنت تكبره. وقد أصرّ أبوه وهدده بالقبول بهذا الزواج أو الخروج من البيت. ويسأل: هل يحق لأبيه أن يرغمه على الزواج بهذا الشكل؟

✿ والجواب أن الأب ليس له الحق في إكراه ابنه على الزواج بمن لا يريد، والإكراه في مثل هذه المسألة غير معقول. من الأمور ما يُتَصوّر فيه الإجبار مثل أن يأخذ الولد دواء ضرورياً وصفه له الطبيب ليشفى، أو يدرس المواد المقررة لينجح. أما أن يكون الإجبار على الزواج فهذا لا يمكن؛ لأن الزواج يقوم على المحبة والمودة التي يلقيها الله بين الزوجين، والمحبة لا تكون بالعصا ولا بالإكراه.

نعم، إذا رأى الأب المصلحة في زواج ابنه بفتاة معينة فله أن يقنعه بذلك، ولكن المصلحة غير ظاهرة هنا ما دامت البنت تكبره بخمسة أعوام. لا أقول إن زواج الرجل بامرأة أكبر منه لا يجوز أو لا يليق والنبي ﷺ تزوج خديجة -رضي الله عنها- وهو أصغر منها بخمس عشرة سنة، ولكن العرف يختلف باختلاف الأزمنة، والمألوف اليوم والذي هو أقرب إلى العرف أن يكون الزوج هو الأكبر سناً.

فإذا استطاع هذا الأب أن يقنع ولده بالحسنى قناعة قلبية حقيقية فلا بأس، أما إذا أصر الولد على الممانعة ولم يرضَ بالزواج فليس له أن يكرهه عليه.

* * *

إكراه الأب ابنته على الزواج [1]

سؤال من فتاة تقول إنها حائرة. تعمل مدرّسة في إحدى المدارس وعمرها عشرون عاماً ويريد أبوها أن يزوجها بصديق له طلق زوجته لعدم

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٦.

التفاهم بينهما وعنده منها ولدان وبنتان، وهي لا تريد هذا الزواج وتقول إنها –لو أرغِمت عليه– ستقدم على الانتحار.

✿ فأما قصة الانتحار هذه ففيها خسارة الدنيا والآخرة، ولا يقدم عليها عاقل، والبنت يبدو من سؤالها أنها عاقلة. فإذن هذه المسألة تركناها، وأجيب عن الشق الثاني من السؤال:

١– هل يحق للأب أن يجبر ابنته الكبيرة الراشدة التي عمرها عشرون عاماً على الزواج برجل لا تريده؟ الجواب: لا، ليس له ذلك. وفي الحديث أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ تشكو أباها الذي أراد أن يزوجها بغير إرادتها فقالت: «إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته»، فجعل الحق إليها، فقالت: «قد أجزت ما صنع أبي، وإنما أردت أن يعلم الآباء أن ليس لهم من الأمر شيء»[1].

٢– لكن ليس معنى هذا أن البنت تتزوج بغير رأي أبيها تبعاً لهواها؛ فهي غالباً ما تنخدع وتتأثر تأثراً آنياً فلا تنظر نظرة بعيدة ولا تعالج الأمور معالجة عقلية ولا تنظر إلى المصلحة، لذلك جعل الشرع للوليّ دوراً في الزواج. حتى الحنفية الذين قالوا إن للمرأة البالغة أن تزوج نفسها وعقدها صحيح جعلوا للولي حق الاعتراض وإبطال الزواج إن كان بغير كفء.

٣– فالمذاهب كلها، وحتى المذهب الحنفي بهذا الاعتبار، تجعل

[1] عن عائشة أن فتاة دخلت عليها فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته وأنا كارهة. قالت: اجلسي حتى يأتي النبي ﷺ، فجاء، فأخبرته، فأرسل إلى أبيها فدعاه فجعل الأمر إليها، فقالت: يا رسول الله، قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن أعلم: أللنساء من الأمر شيء؟ رواه النسائي. وفي رواية ابن ماجة وأحمد: قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء.

للولي دوراً في زواج المرأة، فلا تستأثر وحدها بالرأي وتخطب لنفسها أو تقبل الخطبة وتتزوج بغير رأي وليها وأهلها. لكن على الولي أو الأب أن يراعي شعورها؛ فهي التي تعيش مع الزوج وهي التي تعاشره معاشرة العمر. والزواج مبني على المودة والرحمة، فلا يجبرها على الزواج بمن لا تريد وهي كبيرة عاقلة.

٤- وكلام هذه الفتاة يبدو معقولاً للوهلة الأولى. فذلك الرجل الذي طلق زوجته وعنده منها أربعة أولاد لا يبدو مناسباً لها، وإن كنت لا أصدر حكماً في القضية لأنني سمعت كلامها وحدها والقاضي لا يجوز أن يحكم إلا بعد سماع الطرفين. والحل الذي أراه أن يكون الاحتكام إلى كبير العائلة، وكل عائلة يكون فيها كبير عاقل أو شيخ متقدم في السن ذو علم ودين يمثل دور قاضي العائلة، فمثل هذا -إذا رُجع إليه- يحسن الحكم ويحل الخلاف.

* * *



(١٥)

مشكلات الأزواج والزوجات

خدمة المرأة في بيت زوجها [1]

سؤال فيه قصة طويلة خلاصته: هل يجب على المرأة أن تخدم في بيت زوجها أو أن على الرجل أن يأتيها بخادم؟

❁ والجواب:

١- كلمة «خادم» تُطلق على الأنثى وعلى الذكر، فلا يُفهم منها هنا أنه يجوز للرجل أن يأتي برجل أجنبي إلى البيت كما يعمل بعض الناس، فيتركه مع امرأته يطّلع عليها ويخلو بها. هذا منكر من أكبر المنكرات وهو لا يجوز أبداً.

٢- الذي قاله الفقهاء أنه إذا كان في بيت أهل المرأة من يخدمها؛ أي إذا تزوج الرجل امرأة من أسرة في بيتها من الخدم من يطبخ ويكنس ويقوم بأعمال البيت فيجب عليه أن يوفر لزوجته من يخدمها في بيته إن قدر على ذلك.

٣- وإن كانت زوجته مريضة ولا تقدر على خدمة نفسها وخدمة بيتها فيجب عليه أن يحضر لها خادماً تخدمها أيضاً ولو لم يكن في بيت أهلها خدم.

---

[1] أذيعت سنة ١٤٠٠.

٤- ويتفرع عن هذا أن على الزوج نفقة الخادم التي يحضرها لزوجته، فإما أن يطعمها ويكسوها أو يعطيها من المال ما تنفق منه على نفسها.

* * *

واجبات المرأة نحو زوجها وأولادها

سؤال عن واجبات المرأة في الإسلام نحو زوجها وأولادها.

✿ والجواب باختصار:

واجبها نحو زوجها أن تطيعه وتحسن معاملته وتحفظه في ماله وعرضه وتتبع رأيه في سياسة البيت العامة وفي منهجها مع الأولاد وتربيتها لهم.

أما أولادها فهي التي تربيهم وهي التي تعلمهم، والذي قال: «الأم مدرسة...» لم يأتِ بصورة من الخيال الشعري بل هو وصَفَ الواقع؛ لأن الصغير يكاد لا يتلقى في صغره إلا عن أمه، وإذا رآه أبوه أو جلس معه فهنيهات قصيرات أو لحظات معدودات. الأم هي التي تعلم طفلها السلوك القويم وتحمله عليه وتحذره من السلوك السيء وتصرفه عنه، وهي التي تغرس في نفس طفلها الإيمان وتلقّنه مبادئ الأخلاق، وتحبب إليه العبادات وتجبله على كرائم العادات.

* * *

إفشاء أسرار البيوت

سائل يقول: ما رأيكم بالأزواج الذين يبوحون بأسرار بيوتهم ويتحدثـون عنها أمام الناس؟

✿ هذا الذي يتحدث عنه السائل من إفشاء لأسرار البيوت وتحدثٍ على الملأ بما يجري بين الزوج وزوجه (إن كان مثل ذلك يقع) أمرٌ مخالف للدين ومخالف للمروءة.

فهذه أمور أقامها الله على الستر، فلا يصلح لها الكشف والإفشاء، مثل العورات. أرأيتم لو كشف أحد الناس عن عورته في الطريق أو في مجلس عام؟ يقول الناس: هذا مجنون. فالعورات ينبغي فيها الستر فلا تُكشف إلا لمن يجوز له الاطلاع عليها. ومن العورات: الخصائص التي تقع بين الأزواج والعلاقات الدقيقة بينهم مما لا ينبغي أن يطلع عليه الآخرون.

* * *

ظلم الزوجة [1]

امرأة تقول في رسالتها إنها تزوجت من ربع قرن فقاست مع زوجها وتحملت المرّ وصبرت على شظف العيش، حتى إذا وسع الله عليه تزوج بامرأة أخرى وأهملها وتركها بلا عناية وانصرف مع زوجته الشابة، وإذا كلمته في شأنها وشأن أبنائها يسبها ويلعنها ويهددها بالطلاق ويقول لها: إذا لم يعجبك الحال فاذهبي إلى بيت أهلك، ويقول لابنها: خذ أمك إلى بيت أهلها. فهل هذا طلاق؟ وهل يجوز له أن يفعل ذلك كله؟

✿ هذا لا يجوز، والمؤمن لا يكون طعّاناً ولا لعّاناً. أما إن كان قوله هذا يُعتبَر طلاقاً أم لا؟ فالجواب بحسب نيته؛ فإن نوى به الطلاق فهو طلاق، وإن لم ينوِه فليس كذلك.

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٦.

وأنا أريد أن أقول كلمة لهذا الزوج ولأمثاله من الأزواج المتسلطين والظالمين، أقول له: إنك أنت الأقوى وهي الأضعف، والظروف معك لا معها؛ إنك كالقاعد وسط القلعة يرمي ولا يُرمى. ولكن لا تغترّ ولا تتجبّر، ولا تستعمل القوة التي أعطاكها الله في الظلم. لا تتجبر فإن الجبروت لله وحده. لا تتكبر فإن الكبرياء لله فقط[1]. إنك تعتزّ الآن بأنك قوي، فربما أمرضك الله فصرت أضعف من طفل؛ وتعتزّ بأنك غني، فربما أفقرك الله فأذهب عنك مالك؛ وتعتزّ بأن لك من يعينك، فربما صرفهم عنك الله فتخلى عنك أقرب الأعوان.

فيا أيها القراء: لا يتحدّينّ أحدٌ ربَّ العالمين ولا يبارزه بالظلم. يا أيها الأزواج الذين يرون أن القوةَ معهم والشبابَ والرجولةَ، ويرون المرأة ضعيفة لا تقدر على شيء: إنكم إن كنتم أقوياء فالله أقوى منكم وأقدر. وأنا ما لي عندكم غير النصيحة، فمن قبلها نجا من عقاب الله في الدنيا ومن عذاب الله في الآخرة، ومن أباها فإن الله هو المنتقم الجبار وهو الذي ليس بينه وبين دعوة المظلوم حجاب، فإذا قامت المرأة الضعيفة في جوف الليل فمدّت يديها إلى السماء ودعت على زوجها الظالم فمن ذا يخلّصه من الله؟

اتقوا الله وخافوه، فإنه قوي جبار!

* * *

[1] في الحديث القدسي الذي يرويه النبي ﷺ عن الله ﷻ: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار». رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة عن أبي هريرة. قال السيوطي في الجامع: وهو صحيح. وروى الحاكم عن أبي هريرة: «الكبرياء ردائي، فمن نازعني ردائي قصمته». وفي رواية لمسلم: «العز إزاري والكبرياء ردائي، فمن نازعني منهما شيئاً عذبته».

ضرب الزوجة وإيذاؤها

سؤال من شاب ملخصه أنه كان مرة في الطريق فرأى رجلاً يضرب زوجته بكفيه على وجهها ويرفسها بوحشية وهي تصرخ من الألم، ويقول إنه حاول التدخل ولكن رفاقه الذين كانوا معه منعوه من ذلك بحجة أنه لا يحق له التدخل بين الرجل وزوجته رغم أنه يضربها هذا الضرب المبرح أمام الناس. فهل هذا يجوز؟

✿ هذا لا يجوز، والإسلام لا يرضى عن مثل هذا الاعتداء.

لقد جعل الشرع الولاية للرجل، وقد يكون الضرب في جملة نتائج الولاية في بعض الأحيان، ولكن ليس للزوج -قطعاً- أن يضرب زوجته في كل الأحوال وبالشكل الذي ذُكر؛ إنما يضربها الضرب الرمزي الخفيف الذي لا يؤذي، وشروط الضرب قد وضحتها الآية: فهو لا يكون إلا بعد استنفاذ الوسائل الأخرى كافة؛ من موعظة ونصيحة ثم هجران في المضاجع، ولا يكون إلا في حال النشاز الشديد.

وكيف يمكن أن يأذن الشرع بمثل هذا الضرب الشديد المؤذي وهو قد جعل العلاقة بين الزوجين قائمة على المودة والرحمة؟ وأين الرحمة في مثل هذا الاعتداء؟ وكيف تنشأ المودة والحال كذلك؟

فالمرأة تستطيع في مثل هذا الظرف أن تقيم دعوى التفريق، والقاضي يعين حكمين: حكماً من أهله وحكماً من أهلها، فإن لم يوجد من الأهل فمن الأجانب[1]. هذا في مذهب مالك، وهو المعمول به في مصر والشام

---

[1] ﴿وإنْ خِفتُمْ شِقاقَ بينِهِما فابْعَثوا حَكَماً مِنْ أهلِهِ وحَكَماً مِنْ أهلِها، إن يُريدا إصْلاحاً يُوفّقِ اللهُ بينَهُما﴾ النساء: ٣٥.

والأردن وجميع المناطق التي انفصلت عن الدولة العثمانية، بل هو قد أقرته الدولة العثمانية فيما سُمّي: «قرار حقوق العائلة» الذي كان العمل به في محاكم سوريا حتى صدور قانون الأحوال الشخصية سنة ١٩٥٣ الذي وضعت أنا مشروعه[١].

فإذا أثبتت المرأة الضرر وأن استمرارها في الزواج يقتضي استمرار وقوعه عليها فإن القاضي يطلقها منه فوراً دون حاجة إلى الحكمين. وإن لم تتمكن من إثبات ذلك وظهر للحكمين ضرورة التفريق فإن لهما أن يفرّقا في أحد القولين عن الإمام أحمد، وهو القول الذي أخذ به ابن تيمية وابن القيم[٢].

* * *

[١] انظر خبره بالتفصيل في الحلقة ١٨٩ من «ذكريات علي الطنطاوي» (١١٧/٧).

[٢] في مجموع الفتاوى لابن تيمية: "فإن رأى الحكمان المصلحة أن يجمعا بين الزوجين جَمَعا، وإن رأيا المصلحة أن يفرقا بينهما فرّقا، إما بعوض تبذله المرأة فتكون الفرقة خلعاً إن كانت هي الظالمة، وإن كان الزوج هو الظالم فُرِّق بينهما بغير اختياره. وأكثر العلماء على أن هذين حكمان -كما سماهما الله حكمين- يحكمان بغير توكيل الزوجين، وهذا قول مالك، والشافعي والإمام أحمد في أحد قوليهما، وقيل هما وكيلان كقول أبي حنيفة والقول الآخر في المذهبين". (٣٨٦/٣٥)، وانظر أيضاً: ٢٥/٣٢. وفي «زاد المعاد» لابن القيم: "وقد اختلف السلف والخلف في الحكمين: هل هما حاكمان أو وكيلان، على قولين. أحدهما: أنهما وكيلان، وهو قول أبي حنيفة والشافعي في قول وأحمد في رواية. والثاني: أنهما حاكمان، وهذا قول أهل المدينة ومالك وأحمد في الرواية الأخرى والشافعي في القول الآخر. وهذا هو الصحيح. والعجب كل العجب ممن يقول: هما وكيلان لا حاكمان والله تعالى قد نصبهما حكمين وجعل نصبهما إلى غير الزوجين". انظر الجزء الخامس من الكتاب، ص١٩٠ وما بعدها.

مشكلة زوجية

رجل يقول إن المشكلات بدأت بينه وبين زوجته من أول يوم تزوج فيه، وما عاد بينهما أي اتفاق، حتى لتقول له في اليوم الواحد ست مرات أو سبعاً: طلقني، وإذا ذهب إلى أبيها يقول له: أرح نفسك وطلقها. فماذا يفعل؟

✿ الزواج مطلبٌ لكل امرأة، وكلُّ أبٍ يحرص على سعادة ابنته وسلامة حياتها الزوجية. فإذا رغبت هذه المرأة في تركك من أول يوم وأيّدها أبوها في هذه الرغبة فمعنى ذلك أن في طباعك أو صفاتك ما ينفرها وأباها منك، ففكر لعلك تهتدي إلى السببَ فتصلحه، فربما أزال هذا الإشكال. وإذا لم يحدثِ هذا فالظاهر أنها وأباها باقيان على موقفهما، فطلقها فإنك -بذلك- تريح وتستريح.

* * *

شكوى من المسكن

فتاة عمرها ستة عشر عاماً، تزوجت فانتقلت من بيت أهلها إلى بيت زوجها في مدينة أخرى فوجدته ضيقاً صغيراً، حيث يسكن الرجل مع أخيه في طرف دكان يملكانه. فيكون نصيبَ كلٍّ منهما قسمٌ صغير من هذا البيت. وتقول إنها أصيبت منذ الأسبوع الأول بضيق في الصدر لم تكن تعاني منه في بيت أبيها حتى لتكاد تختنق، وتبكي من ذلك ساعات طويلة، فإذا ذهبت لزيارة أهلها زالت عنها تلك الحالة.

✿ هذه علة نفسية منشؤها النقلة التي انتقلتها البنت من بيت أهلها

إلى بيت زوجها فوجدت نمطاً في العيش مخالفاً لذلك الذي درجت عليه في الماضي. وقد لا يظهر سبب واضح للشكوى، ولكن المرض النفسي ينبغي أن ينال من الاهتمام والبحث عن العلاج مثل الذي يناله المرض العضوي؛ فالمرء إن أصابه ألم أو ارتفعت حرارته يطلب العلاج ولا يلومه أحد فيقول له: لماذا تألمت أو لماذا ارتفعت حرارتك؟ وكذلك الذي أصابه مرض نفسي لا يُلام على إصابته بالمرض بل يُبحث له عن العلاج. ومهمة الطبيب النفسي أن يصل إلى سبب المرض ليعالجه فيشفى المريض بإذن الله.

والذي يبدو من قصة هذه الفتاة أن مسكنها الذي أسكنها فيه زوجها هو سبب ضيقها، فقد يكون صغيراً أو غير صحي، فإن أمكنه البحث عن مسكن أفضل وأوسع فعسى أن يكون في ذلك العلاج.

* * *

امرأة يقاطع زوجُها أهلَها

امرأة تقول إنها تركت زوجها وحملت أطفالها وذهبت إلى بيت أهلها لأن زوجها يقاطع أهلها جميعاً ولا يردّ السلام على أحدٍ منهم، وهو مصمم على هذا الرأي ومتمسك به مدى الحياة. وتسأل: هل هي آثمة بعملها هذا؟

✿ والجواب: لا يجوز أن يقاطع زوجُكِ أهلَكِ، وهو قد أخطأ بذلك. ولكن لا بد من معرفة السبب، فأنا لا أستطيع أن أحكم عليه ولما أسمع دفاعه.

ولكني لا أقول -مع هذا- أن لك أن تتركي بيت زوجك وتحملي أولادك إلى بيت أهلك. الذي يريد أن يغسل الثوب الوسخ يغسله بماء نظيف

لأنه إن غسله بماء وسخ زاد وسخه، والسيئة لا تُمحى بسيئة مثلها ولكن تمحوها الحسنات. فأنت تتهمينه بأنه قاطع أهلك وتتخذين من هذا مسوغاً لكي تقاطعيه، فقد قابلتِ فعله الذي انتقدتِ -إذن- بمثله.

فعودي إلى بيتك، ولا تفرقي بين زوجك وأطفاله، واسعي لمعرفة سبب مقاطعته أهلَك، ووسّطي أهل الخير من الأقارب أو الجيران أو المعارف الناصحين المخلصين لعلهم يزيلون الخلاف بين زوجك وبين أهلك.

* * *

منع الزوجة من زيارة والديها [1]

مشكلة خلاصتها أن امرأة يمنعها زوجها من زيارة أمها وأبيها، فهل له الحق في ذلك؟

✿ والجواب:

١- بعض الزوجات يأخذن أكثر من حقهن فيمضين الوقت الطويل في بيت أهلهن مما يضايق الزوج ويحرمه من حقه، فالزوجة -في هذه الحالة- قد جارت على زوجها.

٢- وفي حالات أخرى يجور الزوج على زوجته فيمنعها من زيارة أهلها ورؤية أمها وأبيها. وأبوها هذا هو الذي رباها ورعاها وأمُّها هي التي حملتها وأرضعتها ثم قدماها للزوج ثمرة ناضجة؛ فكيف يأتي -بعد ذلك- فيحرمهما من رؤيتها ويحرمها من رؤيتهما؟

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٨.

٣- و«كلا طرفَي قصد الأمورِ ذميمُ». فما هو الحد المعقول بين الطرفين؟ الذي عليه الحنفية أن لها أن تزور والديها مرة في الأسبوع على الأقل، وليس شرطاً أن تبيت عندهم. على ألا تكون زيارة مقيَّدة؛ كأن يذهب معها زوجها فيراقبها ويمنعها من الاختلاء بأمها أو بأبيها، فقد يكون بينها وبينهما سرٌّ لا تحب أن يطّلع عليه، ولها الحق في ذلك. فيفسح لها المجال في زيارات خاصة لوالديها بغير رقابة منه ولا تضييق.

* * *

زيارة الزوجة أهلها بإذن زوجها [1]

رجل تزوج بامرأة ثم وقع خلاف بينه وبين أهلها لأن أباها يريدها على الظهور أمام جميع أفراد الأسرة (مثل أبناء عمها وأزواج أخواتها) بغير حجاب، فمنعها من زيارة أهلها إلا أن يكون معها فتذهب معه وترجع معه. يقول: هل من حقه أن يفعل ذلك؟

✪ والجواب أن للأب على ابنته حقاً بلا شك، ولكن ليس لها أن تطيعه إذا أمرها بما فيه معصية لله أو مخالفة للشرع. والقاعدة العامة أنه «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». فإذا كان الأب يدعوها إلى هذا الأمر الذي لا يجوز وهي في أمانة زوجها وهو المسؤول عنها، فله أن يدفع عنه وعنها الأذى بأن يأخذها لزيارة أبيها وأمها كما يفعل الآن، وهو عمل طيب ليس فيه بأس.

* * *

[1] أذيعت سنة ١٣٩٧.

زيارة المرأة جاراتها بإذن زوجها [1]

رجل يشكو امرأته يقول إنها تحب زيارة جاراتها باستمرار وهؤلاء الجارات يأخذنها من بيت إلى بيت، وهو لا يأمن هذه البيوت ويخشى أن تذهب مع جارة غير صالحة. فهل عليه شيء إذا منعها من هذه الزيارات؟

✿ والجواب:

١- للرجل الحق في أن يشرف إشرافاً عاماً على زيارات زوجته ويتعرف إلى الأسر التي تزورها؛ فليس كل الناس سواء، وهم منهم الصالح المستقيم ومنهم السيء المنحرف. هذه سنة عامة في كل مكان وليس في مكان مخصوص، فقد يكون في أسرة من الأسر شباب غير ديّنين لا يتورعون عن النظر إلى الضيفات وقد يكون غير ذلك. فإن ظن أن يكون شيء من هذا القبيل فله أن يمنع زوجته من الزيارة وعليها -ما دامت العلة موجودة- أن تستجيب.

٢- ولكن لا ينبغي للزوج أن تكون أوامره لزوجته من نوع الأوامر العسكرية، كما يقول القائد للجندي: مكانك قف، إلى الأمام سِرْ، يميناً دُرْ... وأمثال هذا. لا؛ بل يقنعها باللطف واللين وحسن المعاشرة. فإذا بيّن لها فقال: إنك صاحبة دين وخلق وهؤلاء القوم علتهم كذا وكذا، فلا ريب أنها تقتنع وتستجيب.

٣- والمرأة لا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه، ولكن ليس معنى هذا أن عليها أن تقدم له استدعاء أو عريضة مكتوبة لتطلب إذناً رسمياً كلما أرادت الخروج؛ فالأمور تقوم بين الزوجين على التفاهم وتنشأ على الاحترام:

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٦.

هو يحترمها وهي تحترمه، وتبقى للرجال على النساء درجة ولكنْ بالمعروف وبالأسلوب الحسن.

٤- وليس للزوج أن يمنع زوجته من الخروج فيحبسها في البيت؛ ذلك أن بعض الناس يظنون أن على المرأة أن تبقى في البيت دائماً لا تخرج منه. فيذهب الرجل مع رفاقه يوم الجمعة إلى المتنزّهات ويسهر معهم سائر الليالي على المسلّيات، كل ذلك والمرأة حبيسة بيتها وحدها. هذا لا ينبغي، بل هي من حقها على زوجها أن يسليها ويروّح عنها في غير حرام.

٥- بقيت مسألة ذات صلة بالموضوع: فكثير من النساء لا يعرف للزيارة وقتاً مناسباً، فتجد إحداهن تُمضي وقتها في التنقل من بيت إلى بيت. وعادة النساء أن الواحدة منهن تمضي الوقت قبل الظهر في عملها في بيتها وإعداد الطعام لزوجها وأولادها، فربما جاءتها في وقت عملها زائرة لا عمل لها فتشغلها عن عملها وتصرفها عن حاجتها. فالأصل أن يعرف من يريد الزيارة الوقت المناسب للزيارة ويراعي -في ذلك- انشغال الآخرين، والأولى أن تكون الزيارات بمواعيد يُتفق عليها سلفاً مما يدفع الإحراج ويمنع الإزعاج.

* * *



(١٦)

الزواج

هل يرى الخاطب المخطوبة [1]

سؤال يقول: هل للخاطب أن يرى المخطوبة عند الخطبة؟

❁ والجواب: الناس اليوم بين إفراط وتفريط. فمن الآباء من يقول: "أعوذ بالله، كيف يرى الرجل الأجنبي بنتي؟"، وهذا إفراط. ومنهم من يترك الخاطب والمخطوبة يذهبان منفردَين ويخلو كلٌ بصاحبه ويتبادلان الرسائل والمكالمات، وما جمع بينهما عقد ولا زواج، بل هما في الشرع كأي رجل وامرأة غريبين عن بعضهما. وهذا تفريط.

التفريط لا يجوز، وكذلك الإفراط لا يجوز؛ لأن من اعتقد أن رؤية الخاطب للمخطوبة أمر يعيب أو يقدح بالمروءة كاد يكون كافراً؛ فهو يجعل نفسه أغْيَرَ على الأخلاق من النبي ﷺ، وهو الكامل في خُلُقه لا يأمر بأمرٍ فيه عيب، وهو قد أمر برؤية الخاطب للمخطوبة قبل الزواج. فقد قال للذي أراد أن يتزوج: «انظر إليها؛ فإنه أحرى أن يُؤدَم بينكما»[2]. ذلك لأن الأذواق

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٩.

[2] رواه الترمذي من حديث المغيرة بن شعبة: أنه خطب امرأة فقال النبي ﷺ: «انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما». وقال ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل»، ورواه ابن ماجة وأحمد بلفظ قريب. وفي الحديث الذي يرويه أحمد: «إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر إليها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبته، وإن كانت لا تعلم».

تختلف؛ فقد كانت العادة -قديماً- أن يرسل الخاطب أمه أو بعض قريباته من النساء فتصف له المرأة التي يريد زواجها، ولكنها تصفها كما تراها بعينيها لا كما يمكن أن يراها بعينيه، والنظرتان تختلفان.

هذا مجنون ليلى لما سألوه: لماذا تحب ليلى هذا الحب حتى ملأت الدنيا غزلاً بها وشوقاً إليها وحننت من أجلها وهي امرأة كسائر النساء، بل في النساء من هي أجمل منها وأحسن؟ لما سألوه عن ذلك أجابهم بأبيات يقول فيها ما معناه: "إنكم تقولون هذا لأنكم نظرتم إليها بعيونكم، فخذوا عينيّ فانظروا بهما إليها لتفهموا سبب ما أقول فيها". وعلماء النفس اليوم يقولون إن العاشق يرى محبوبته -بما يفيض عليها من عاطفته- أجمل الناس.

فالأولى -إذن- والأفضل أن ينظر الخاطب إلى مخطوبته، وأن يرى منها ما يرغّبه في نكاحها؛ كالوجه والكفين، ولكن لا يخلو بها، بل يراها بحضور وليّها أو محرم لها، وتكلمه ويكلمها على هذه الحال.

* * *

تطويل الخطبة بلا زواج [1]

هذه قصة طويلة من سائلة، ملخصها أنها خُطبت إلى ابن عمتها وعمرها أربع عشرة سنة فوافق أهلها ووافقت هي، ولكن ابن عمها لبث يماطل منذ ذلك فمكثت هي في بيت أبيها بعد أن انقطعت عن الدراسة من السنة السادسة، ثم تزوجت أختها الكبيرة وأختها الصغيرة حتى صار إخوتها الصغار يسخرون منها، وصار عمرها الآن إحدى وعشرين سنة. فهل يحق

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٥.

لها -ما دامت الحالة كذلك وما دام الخاطب يتهرب ويماطل- أن تفسخ الخطبة؟ وتسألني عن رأيي في هذه المسألة.

✿ أقول لك يا بنتي: ماذا تنتظرين؟

واضح من الرسالة أن الذي تم هو الخطبة فقط، فلم تقترن هذه الخطبة بعقد ولا بإيجاب أو قبول، فلم يتم زواج إذن، ولم تصبح الفتاة المخطوبة زوجة للخاطب؛ فالخطبة مثل المساومة: يذهب الشاري إلى البائع فيساومه على البضاعة، يقول: هذه بعشرة، فيقول هذا: بل بخمسة. المساومة -في الأصل- موجودة في كل العقود، وإن كان الشرع لم ينظم أحكامها بل تركها للمتبايعين وجعلها خاضعة للقواعد الخلقية والأعراف السائدة. أما المساومة في الزواج (التي هي الخطبة إذا صح التعبير) فقد وضع لها الشرع قواعد لأن عقد الزواج هو أهم العقود. وربما نشأت خلافات مالية لو قُبض المهر ثم عدلت البنت، لكن واضح من الرسالة أن البنت لم تقبض مهراً إذ لم يحدث إيجاب أو قبول.

والخلاصة أنه ما دامت قد انتظرت ست سنوات وابن عمتها يماطل ويتهرب، ولم يتم عقد ولا قُبض مهر، فليس عليها بأس أن تتركه وتفسخ الخطبة.

* * *

نكاح الشغار المنهي عنه

شاب تزوج فتاة بمهر معين، وبعد الزواج جاء أبوها فطلب أختها لولده، فقال: ما عندي مانع إذا وافقت. فوافقت البنت، فهل هذا الزواج

جائز أم ممنوع؟

✿ والجواب أن هذا الزواج جائز لا شيء فيه، وإنما المنهي عنه هو «نكاح الشِّغار». ونكاح الشغار هو أن يكون الزواج تبادلاً؛ فيكون -في مثل هذه الحالة- بأن يتزوج الشاب الفتاة بلا مهر ويتزوج أخوها أختَه بلا مهر، فتكون كلٌ من الفتاتين مهراً للأخرى في زواجها.

هذا هو الممنوع، أما ما كان بمهر محدد ولم يكن بين الزوجين ارتباط بحيث إذا طلق أحدهما -مثلاً- زوجته طلبت الأخرى أو وليها الطلاق، فليس فيه بأس.

* * *

الشرط في الزواج[1]

شاب يدرس في الجامعة، عقد على ابنة خاله وشرط عليه خاله ألاّ يكون الزواج إلا بعد تخرجه، وذلك بحجة أن الزواج يصرفه عن الدراسة. ويقول إنه لا يستطيع الصبر حتى التخرج، وهو شاب تحيط به المغريات، وبإمكانه النفقة على زوجته. فهل يجوز له أن يطالب بتعجيل الزفاف ونقض ذلك الشرط، وما العمل إذا رفض خاله؟

✿ الذي أعرفه أن هذا الشرط غير صحيح وغير ملزم. وأكثر المذاهب توسعاً في باب «الشروط في الزواج» هو مذهب الإمام أحمد، والشرط المعتبَر عندهم هو ما كانت فيه منفعة لأحد الزوجين ولا يخالف أحكام الشرع ولا يخالف مقتضى العقد. وهذا الشرط يخالف مقتضى العقد لأن الفتاة

---

[1] أذيعت سنة ١٤٠٠.

زوجته وله الحق في أن يطلبها إليه.

فالجواب للسائل أنه يملك الحق في المطالبة بتعجيل الزفاف، وليس لخاله الحق في الممانعة.

* * *

الكفاءة في الزواج [1]

فتاة تقول إنها تعرفت إلى شاب أثناء ذهابها إلى المدرسة ورجوعها منها وأحبته، ويبدو أنه سائق سيارة، ولما أراد أن يخطبها ويتزوج بها رفض أبوها طلبه بحجة أنه ليس كُفْؤاً لها. وتسألني عن رأيي في ذلك.

✿ والجواب:

١- الكفاءة تُراعى حقيقةً، ولا اعتراض عليها؛ إذ لا يمكن أن يقول الأب لكل طالب زواج بابنته: "احمل البنت وامشِ"! بل لا بد أن يفكر بمصلحتها وأن يبحث لها عن الزوج الكفء المناسب لها.

٢- وليس معنى هذا أن مهنة سائق السيارة مهنة غير شريفة. الأوّلون قسّموا المهن فجعلوا بعضها مهناً خسيسة، ولكن الصحيح أنه ليس في الإسلام مهنة خسيسة وأخرى شريفة لذاتها، وكل مهنة إذا قام بها صاحبها بشرف وصدق وأمانة فهي مهنة شريفة. ويوجد كتاب اسمه «صناعات الأشراف» سرد مهن الأعلام المشهورين، فكان أبو بكر ﷺ تاجراً، وعمر ﷺ كان سمساراً في الأسواق، وعمرو بن العاص ﷺ كان جزاراً، وكذلك كثير من الأئمة الكبار كانوا يشتغلون بالتجارة مثل أبي حنيفة والليث بن سعد.

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٦.

وقرأت -مرةً- عن وزير من وزراء أميركا عيّروه بأنه اشتغل في صباه صبّاغ أحذية، فلم يستحِ من ذلك وقال لهم: نعم، ولكني ما مسحت حذاء إلا جعلته يلمع مثل المرآة.

٣- ولكن ما منشأ هذا الخطأ؟ هذه المصيبة، فما الذي جرّ إليها؟ وكيف تعرفت البنت إلى شاب أجنبي عنها وتوثقت بينهما العلاقة (وإن لم يقعا في حرام كما تقول الرسالة) حتى أحبته وأحبها؟

المسؤول عن ذلك هو الأب الذي أرسل ابنته وحدها مع السائق ولم ينتبه إليها في ذهابها إلى المدرسة وعودتها منها. وكل أبٍ يأذن لابنته أن تخلو وحدها بالسائق أو المعلم أو الطبيب فهو آثم، ولو كان هذا السائق أو المعلم أو الطبيب شيخَ الإسلام وإمام المتقين؛ لأن خلوّ البنت بالرجل الأجنبي عنها حرام. ليس أنا من يقول هذا الكلام، ولو كنت أنا قائله لطلبت منكم أن تضربوا به وجهي، ولكن قائله هو محمد ﷺ الذي يقول: «لا يخلونّ رجل بامرأة إلا وكان ثالثهما الشيطان»[1]، ويقول: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ذي محرم»[2]. فانتبهوا يا أيها الآباء.

٤- وليس المقصود أن يذهب كل أب عنده بنت فيحبسها في البيت ويقيدها بالسلاسل. إن الإسلام لا يظلم البنت بل يكرمها ويأمر بالإحسان

---

[1] عن ابن عمر رضي الله عنه قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس، إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال (فعدّد أموراً أوصى بها النبي ﷺ ومنها): «ألا لا يخلونّ رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان». رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن عمر.

[2] عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم». فقام رجل فقال: يا رسول الله، امرأتي خرجت حاجّة واكتتبت في غزوة كذا وكذا. قال: «ارجع فحج مع امرأتك». أخرجه البخاري.

إليها. إذن، ماذا يعمل هذا الأب؟ عليه أن يغرس في نفوس أولاده -وهم صغار- الإيمان بالله والخوف منه والاعتقاد بالآخرة، كل ذلك بالأسلوب الذي يفهمه الصغير. فإذا دخلوا إلى المدرسة فعليه أن يبحث لهم عن أفضل المدارس حرصاً على الدين من ناحية المناهج والمدرسين، ثم يسألهم عما يسمعونه في الدروس فيصحّح لهم إن وجد خطأً ويقوّم إن وجد اعوجاجاً، ويقوي صلته بهم حتى يتخذوه صديقاً لهم يطلعونه على ما في نفوسهم، وكذلك تصنع الأم معهم.

٥- ومن البلاد ما تكون فيها المناهج بعيدة عن الدين، بل ربما وُضعت لإفساده، فعلى الأب أن يكون يقظاً منتبهاً حتى لا تؤثر في أولاده وبناته بالإبعاد والإفساد. ولا يكفيه عند الله ولا ينجّيه أن يقول: "يا ربِّ، أنا بعثت أولادي إلى المدرسة"؛ فإنه راعٍ وهم رعيته، وهو مسؤول عن رعيته، فإذا ضاعوا حاسبه الله على ضياعهم. وفي بعض البلاد تخرج البنات إلى اجتماعات ومعسكرات باسم الرياضة والكشفية فيجتمعن بالرجال ويختلطن بهم، وهذا يغضب الله ولا يجوز، فإذا لم يجد الأب لابنته مدرسة تخلو من مثل هذه الأمور فليمسك بها ولا يرسلها حفاظاً على دينها الذي هو أثمن من كل ما يمكن لها اكتسابه بذهابها إلى المدرسة.

* * *

الزواج بأخت المرأة المطلّقة [1]

سؤال فيه أن جماعة اختلفوا: هل يتزوج الرجل -إذا طلق امرأته وهي حية- أختها، أم لا يجوز الزواج بها حتى تموت زوجته القديمة؟

---

[1] أذيعت سنة ١٤٠٠.

✪ والجواب:

١- الجمع بين الأختين لا يجوز؛ وذلك بنص الآية التي فصّلت المحرمات: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ... وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾، وكذلك لا يجوز الجمع بين المرأة وعمتها أو المرأة وخالتها؛ لقول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه الشيخان وأصحاب السنن: «لا يجمع الرجل بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها»[1].

٢- وكل امرأتين تحرم إحداهما على الأخرى لو فرضنا إحداهما رجلاً لم يجُز الجمع بينهما، فالعمة وبنت الأخ مثلاً: لو فرضنا العمة رجلاً لكان عمّاً ولحرمت عليه ابنة أخيه، فحرم الجمع بينهما، وكذلك الخالة والأخت. وعند الحنفية أن هذه القاعدة صحيحة لو فرضنا كلاً منهما رجلاً، ويظهر أثر الخلاف في حالة واحدة فقط.

٣- والحكمة في هذا المنع ظاهرة. ونحن مكلفون باتباع الحكم حتى لو لم تظهر لنا الحكمة فيه، إلا أن ظهورها يزيد القلب اطمئناناً. فالضرتان يغلب وقوع الخلاف بينهما، حتى قالوا إن اسم الضرة مشتق من الضرر، والشرع لا يريد أن يقع الخلاف بين الأقرباء. لا بين الأخت وأختها ولا بين العمة وبنت أخيها ولا بين الخالة وبنت أختها، فلذلك سدّ الباب المفضي إلى هذا الخلاف.

٤- على أن الذي لا يجوز هو الجمع بين هؤلاء فقط، فإن توفيت زوجته أو طلقها فلا مانع من أن يتزوج بأختها أو بعمتها أو خالتها، سواء في ذلك أتوفيت بعد الطلاق أم بقيت حية.

---

[1] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُجمَع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها». رواه الستة (البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجة).

٥- ولكن لا يحل له هذا الزواج إلا بعد انقضاء عدة الزوجة المطلَّقة. وربما قيل: فهل تلزم العدة الرجل؟ والجواب: في مثل هذه الحالة، نعم. ينتظر حتى تنتهي العدة، فإذا انقضت وتم الانفصال الكامل بينه وبين المرأة التي كانت زوجة له صار بوسعه الزواج بأختها أو بعمتها أو بخالتها، وهن -عندئذ- بالنسبة إليه كسائر النساء الأجنبيات.

* * *

مهر الزوجة التي لم يُدخل بها

شاب خطب فتاة وتسرع في عقد القِران، ثم بدا له -لأسباب قوية ساقها لا يفيد ذكرُها- عدم مناسبة كلٍّ لصاحبه، فطلّقها من غير أن يدخل بها. ويسأل: ما حكم الشرع من ناحية دفع المقدم والمؤخر؟

✿ والجواب أنه ما دام قد طلقها قبل الدخول فإنها تستحق نصف المهر، فيجمع المقدم والمؤخر ويعطيها نصف قيمتهما.

* * *

زواج الرجل بامرأة تزوج أبوه أمَّها

شاب خطب فتاة وأراد أن يتزوج بها فذهب أبوه فتزوج أمها، فقيل له: ما عاد يجوز أن تتزوج بها. فهل هذا صحيح؟

✿ لا، هذا غير صحيح. يجوز للرجل أن يتزوج البنتَ ولو تزوج أبوه أمَّها، بشرط ألاّ تكون بينهما قرابة مانعة.

* * *

تحديد النسل [1]

وردت عليّ أسئلة عديدة عن رأيي في هذه القضية التي كثر فيها الكلام في هذه الأيام، وكان فيها جدال وخصام اشتجرت فيه الأقلام؛ قضية تحديد النسل.

✿ وأنا أحب -قبل أن أدلي بدلوي بين الدلاء- أن أعرّف المراد من كلمة «تحديد النسل»؛ لأن علماءنا أوجبوا تحديد موضوع المناظرة قبل الخوض فيها، ولأننا طالما رأينا متناظرَين ما بينهما إلا الاختلاف على تحديد الموضوع.

هل المراد من تحديد النسل أن يتفق الزوجان -لعلة يريانها، ولمدة يقدّرانها- على اتخاذ الأسباب لمنع الحمل خلال هذه المدة؟

أم المراد أن تسن الحكومة قانوناً تحدد فيه عدد الأولاد الذين يجوز للزوجين إنجابهما، فمن كان راتبه الشهري ثلاثمئة ريال سمحت له بثلاثة أولاد مثلاً، وكلما زاد راتبه مئة زادته الحكومة ولداً، فإن جاءهما ولد زائد عن الحد المسموح أخذت الحكومة الأب ووضعته في السجن أو غرمته غرامة فادحة أو ما يشبه هذا.

إن كان المراد المعنى الأول؛ أي أن يتخذ الزوج بموافقة الزوجة أو تتخذ الزوجة بإذن الزوج بعض الأسباب المعروفة لتأخير الحمل سنة أو سنتين مثلاً، فلا أعرف في الشرع مانعاً منه، ومن يفعله لا يكون عاصياً لربه

---

[1] وجدت هذا الحديث بخط جدي بين أوراقه وعليه تاريخ كتابته: شعبان ١٣٨٤هـ (أي أواسط عام ١٩٦٥م)، ولعله قد نشره في بعض الصحف في تلك السنة، وهي السنة التي قدم فيها إلى مكة مستقراً فيها.

ولا مخالفاً لدينه.

لأن المسلم إنما يكون عاصياً إذا أمره الشرع بشيء على سبيل الإلزام فلم يفعله، أو نهاه الشرع عن شيء على سبيل المنع ففعله؛ أي أن العاصي هو الذي يأتي محرماً أو يترك فريضة. والإسلام لم يوجب على المسلم إنجاب عدد معين من الأولاد، ولم يحدد له عدداً يحرم عليه أن يزيد عليه.

فلو اجتنب الزوجان -باتفاقهما- اللقاء الجنسي المسبب للولد فترة، لم يكن عليهما لوم من الشارع. ولو أُلقي الماء خارج موضعه بموافقة الزوجة (وهو ما يُعرف بالعزل) لما كان عليه لوم من الشارع. وأحاديث جواز العزل ثابتة في الصحيحين، وقد استقصاها وتكلم عنها كلاماً جيداً ابن القيم في «زاد المعاد»[1]، وليس لجوازه شرط إلا أن يكون بموافقة الزوجة. وأخذ بعض الأدوية التي تؤخر الحمل يمكن قياسها على العزل والقول بجوازها. وكل ذلك لا يفيد حين يكون الحمل مقدراً، وأعرف -والله- من اتبع كل طريق لمنع الحمل ثم حملت زوجته.

فتحديد النسل بهذا المعنى مشروع.

أما المعنى الثاني (وهو أن تتدخل الحكومة في هذا التحديد) فلا يمكن أن يكون مشروعاً، لأن فيه -أولاً- تعدياً على حريات الناس التي أقرها لهم الدين، ولأن فيه مخالفة لنصوص الشرع التي تأمر بإعداد كل قوة مستطاعة لرد العدو، ومنها القوة العددية.

---

[1] انظر: الجزء الخامس، ص ١٤٠ وما بعدها. وفيه قوله ﷺ من حديث البخاري ومسلم وأصحاب السنن: «ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة»، ومن حديث الترمذي وأحمد وأبي داود قوله ﷺ: «لو أراد الله أن يخلقه ما استطعتَ أن تصرفه».

وهنا أمر أحب أن أنبّه إليه؛ هو أن الذي أثار هذه القضية هو منظمة اليونسكو، وهي منظمة تلعب بها الأيدي الصهيونية، وما فتئ اليهود يُبدئون ويعيدون على ألسنة دعاتهم بالدعوة إلى تحديد النسل في البلاد الإسلامية، ويسخّرون لذلك ما يسيطرون عليه من وسائل الدعاية في كل بلد، مع أنه إذا كان في الدنيا مشكلة ازدياد السكان فإن هذه المشكلة لا وجود لها في بلاد الإسلام إلا في ثلاث بقاع فيما أعلم، وهي مصر وباكستان الشرقية[1] وجاوة من أندونيسيا (وقد زرتها كلها) وأعرف مداها، وأعلم أن بالإمكان معالجتها من غير تحديد النسل. ولولا ضيق المجال وقصر الوقت لسردت ما أراه من طرق العلاج.

أما البلاد الإسلامية الأخرى ففيها مشكلة نقص في السكان لا زيادة فيهم؛ فسورية -مثلاً- فيها خمسة ملايين[2] وهي تتسع بأرضها ومواردها لعشرين مليوناً يعيشون في رخاء، ومثل ذلك يُقال عن العراق وعن الجزيرة العربية وعن ليبيا بعد اكتشاف النفط فيها، ويُقال عن أكثر بلاد المسلمين. وهذه اليابان، ليس في الدنيا أمة تعاني من ازدياد عدد السكان ومن ضيق المكان ما تعاني ولم تحدد النسل ولم تفكر فيه.

بقيت كلمة أحب أن أقولها: هي أن من العلماء من يرى أن من الواجب عليه لدينه أن يحاول التوفيق بين كل ما يجد في أوربا وأميركا وبين أحكام الإسلام ليقول بأن الإسلام دين عصري، ومنهم من يرى أن عليه أن ينكر كل شيء يأتي من الغرب ويبيّن مخالفته للدين من غير تفريق بين خيره وشره ونفعه وضره، ويسلك كل منهما إلى غايته أوعر الطرق.

---

[1] وهي التي صارت بنغلاديش، وكانت يوم كُتب هذا الحديث قطعة من باكستان.

[2] كان ذلك وقت كتابة هذا الحديث، وهم اليوم (في آخر عام ٢٠٠٠) نحو سبعة عشر مليوناً.

وأنا أرى أن كلا الفريقين على خطأ، وأن الواجب على العالِم أن يبين حكم الإسلام في كل قضية، ولا يعنيه -بعد ذلك- أوافَقَ ما عند الغربيين أم خالفهم. فإذا وافقه لم نزدد بذلك إيماناً بصحة ديننا، وإن خالفه لم نشكّ بأن حكم ديننا هو الصحيح وما خالفه هو الباطل.

* * *

تنظيم الإنجاب

سائل يريد الزواج بفتاة ولكنه لا يرغب في الإنجاب منها. فهل هذا جائز؟

✿ والجواب:

١- الواجبات الشرعية في الإسلام على نوعين: واجبات على كل فرد؛ هي واجبات فردية أو فروض عين، وواجبات على المجتمع تسمى فروض كفاية، فإذا قام بها البعض سقطت عن الباقين.

٢- وإنجاب الأولاد وتكثير النسل واجب على المجتمع وليس واجباً عينياً على كل واحد. فلو تزوج الرجل واتفق مع زوجته عل اتخاذ الأسباب لقطع الولد وعدم الإنجاب فإنهما لا يؤاخَذان عند الله، ولكن إذا اتخذت الأمة كلها الأسباب وقطعت النسل ومنعت إنجاب الأولاد فإنها تكون مؤاخَذة كلها بذلك.

٣- بقيت مسألة خاصة بهذا السائل؛ فهو يقول ما يقول الآن، ولكن مَن يضمن ألاّ يغير رأيه في المستقبل؟ إنه الآن شاب وزوجته شابة وهما يعزفان عن الأولاد، ولكن إذا كبر بعد ذلك أو مرض وما عاد قادراً على

الإنجاب فسوف يندم على ما فات. والإنسان يعرف ما يحب وما يكره الآن، ولكن ما يدريه ما الذي يكرهه أو يحبه غداً؟

فالخلاصة أن الوسيلة المؤقتة لتأخير الحمل جائزة إن لم يكن فيها ضرر وكان الرجوع عنها ممكناً.

* * *





(١٧)

الطلاق والعدة

الطلاق المعلق

سؤال من امرأة تقول فيه إنها رأت من زوجها ميلاً إلى إحدى قريباتها فتخاصمت معه في ذلك، فحلف بالطلاق ألاّ يدخل بيت تلك القريبة من بعد، ثم دخله. فما الحكم؟

✿ هذا طلاق معلق، وهو راجع إلى نيته. فإن كان ينوي بيمينه الطلاق حقيقةً إذا دخل بيت تلك القريبة ثم دخله فإن الطلاق يقع، وإذا أرادت المرأة تثبيته فإن عليها مراجعة القاضي وهو يتحقق من المسألة ويحكم فيها.

أما إذا قصد تأكيد عزمه فاتخذ الطلاق يميناً ولم يقصد فراق زوجته فإن عليه كفارة اليمين وهي إطعام عشرة مساكين.

وهذا ما تمشي عليه المحاكم الشرعية اليوم في أكثر البلاد العربية أخذاً من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية بأن لفظ الطلاق إذا لم يُقصد به إلاّ الحث على فعل شيء أو المنع منه لا يقع به الطلاق[1].

* * *

---

[1] انظر للتفصيل: مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٣٣، ص ٥٧-٦٠، ١٣١-١٤٤، ٢٢٣-٢٢٤، وفيها: "فالأصل في هذا أن يُنظر إلى مراد المتكلم ومقصوده؛ فإن كان غرضه أن يقع هذا الأمر وقع منجزاً أو معلقاً إذا قصد وقوعه عند وقوع الشرط. وإن كان مقصوده أن يحلف بها وهو يكره وقوعها إذا حنث فيكون قوله من باب اليمين لا من باب التطليق".

طلاق الغضبان

هذا سؤال من رجل يقول إنه غضب غضباً شديداً لم يعد يملك فيه نفسه ولا يدري ما يقول، هل يقع طلاقه أم لا؟

✿ والجواب أن أجود بحث قرأته في طلاق الغضبان (أو طلاق المدهوش كما يسمونه) هو بحث ابن القيم، وخلاصته أن من طلق وهو في حالة الغضب الشديد الذي لا يبصر معه من يكون أمامه أو كان قريباً من هذه الدرجة وإن لم يبلغها فإن طلاقه لا يقع.

والغريب أن الحنابلة لم يأخذوا بقول ابن القيم مع أنه حنبلي وأخذ به الحنفية فقالوا إن الغضبان الذي يُخرجه غضبه عن طبيعته وعادته وبغير إدراكه (فلا يكون كلامه مبنياً على إدراك صحيح) لا يقع طلاقه.

* * *

طلاق السكران

كنت ذكرت سابقاً أن طلاق السكران لا يقع ونقلت أقوال مَن قال بوقوعه وأقوال مَن قال بعدم وقوعه. ثم جاءتني رسالة فيها أنه يجب اعتبار وقوعه ليكون عقاباً للسكران وليتحمل مسؤولية ما وقع منه.

✿ وهذا الذي يقوله السائل قاله بعض الفقهاء، ولكنهم نسوا أن هذه العقوبة -إذا أوقعناها عليه- لا تقع عليه وحده. كالذي يُحكَم عليه بالموت، ويكون جالساً مع زوجته وأولاده في غرفة، هل نهدم الغرفة عليه وعليهم فيموتوا جميعاً؟ إن العقوبة عليه وحده فكيف نشرك معه غيره فيها؟

فشرب الخمر قد جعل له الشرع عقوبة معينة، وهي أن يُجلد الشارب

حداً له لأنه شرب باختياره وإرادته. ولكن لو جعلنا طلاقه عقاباً له كذلك لشركنا معه في العقاب زوجته وأولاده، بل لكان العقاب عليهم أشدّ منه عليه، وهو المذنب وهم لم يذنبوا شيئاً.

لذلك جنحت معظم البلاد المسلمة اليوم إلى الأخذ بقول من قال بعدم وقوع طلاق السكران، على ألاّ يعفيه ذلك من العقوبة فيعاقَب بالحد الذي قرره الشارع.

* * *

هل الطلاق حق للرجل وحده؟ [1]

هذا سؤال من امرأة تريد الطلاق من زوجها لأسباب لا تفصّلها، وتسأل: هل لها الحق في الطلاق أم أنه حق للرجل وحده؟

✿ والجواب أن الزواج شركة ولا بد لكل شركة من رئيس، والرجل هو رئيس الشركة الزوجية لأنه المكلّف بالإنفاق (والقاعدة أن الغنم بالغرم) ولأنه أقدر على حمل أعباء الرياسة. ولكنها رياسة ديمقراطية لا رياسة استبدادية، فليس له أن يتعدى على حقوق المرأة المادية والمعنوية. والطلاق ليس له وحده، بل للمرأة التخلص منه متى أرادت، ولا يكلفها ذلك إلا أن تقدم ورقة إلى القاضي تطلب فيها التفريق.

وفي دعوى التفريق، سواء أكان المدعي فيها الزوج أم الزوجة، يعين القاضي حكمين من أهله وأهلها، فإن لم يكن فيهم من يصلح للتحكيم عين الحكمين من غير الأهل. ويجلس الحكمان في مجلس عائلي بإشراف القاضي

---

[1] هذه الفتوى مما وجدته بخط جدي رحمه الله، ولم أجد عليها تاريخ كتابتها.

فيسمعان منه ومنها، ويبذلان الجهد في الإصلاح بينهما.

فإن لم يستطيعا ولم يتم الصلح بحثا وحقّقا ليعرفا من هو المسيء، الزوج أم الزوجة. فإذا كان المسيء هو الزوج طلقاها منه شاء أو أبى، وألزماه أن يدفع لها حقوقها كاملة. وإن كانت هي المسيئة فرّقا بينهما على أن تسامحه بالمؤجل أو تُرجع إليه قسماً من المعجل أو المعجل كله.

ومعنى هذا أن للمرأة حل رباط الزوجية ولكن عن طريق القاضي.

* * *

طاعة الأبوين في طلاق الزوجة [1]

هذا رجل يقول إن مشكلات كبيرة وقعت بين أمه وبين زوجته حتى صارت أمه تشتمه كلما ذهب لزيارتها ولا تقبل منه إلا أن يطلق زوجته، حتى أبوه شاركها وأمره بطلاقها. ويسأل: هل للأم الحق في أن تجبره على طلاق زوجته بلا سبب؟ وإن عصى أمه وأباه ولم يطلقها، هل يكون آثماً؟

✿ والجواب: لا؛ ليس هذا حقاً للأم أو للأب ولا يكون الابن آثماً أو عاقاً إن لم يلبِّ طلبهما بفراق زوجته.

بعض الناس قرؤوا خبر عمر ﷺ لما أمر ابنه عبد الله بطلاق زوجته أو قصة إبراهيم عليه السلام لما أسكن هاجر بمكة فتزوج إسماعيل امرأة من جرهم، فلما جاءه إبراهيم يزوره بعد حين لم يعجبه خلقها أو دينها فأمره بأن يغير عتبة داره، أي أن يطلقها. فهؤلاء ظنوا أن هذا حق لكل أب، فإن شاء أمر

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٨.

ابنه بطلاق زوجته وعلى الابن الامتثال.

هذا غير صحيح، فمَن مِن الناس مثل عمر أو مثل إبراهيم؟ عمر كان ملهَماً منقطعاً قلبه إلى الله لا يريد برأيه دنيا ولا يطاوع هوى في نفسه، حتى إن القرآن وافقه في مواقف عديدة وهو يتنزل في حياة النبي ﷺ، وإبراهيم أبو الأنبياء ومن صفوة رسل الله. ولا يقارَن بفعلهما فعلُ أحدٍ من الناس ولا يُقاس عليه.

ولو أن كل رجل غضبت أمه من زوجته فأمرته بطلاقها طلقها لأصبحت نصف الأسر مفككة. فلا يجب عليه أن يطيع الأب أو الأم في هذا إن لم يكن معهما سبب شرعي يدعوه إلى فراق زوجته.

الأم لها حق بلا شك، ولكن مقابل حقها على الابن يوجد حق الزوجة على زوجها، وهو عليه الموازنة فلا يعطي طرفاً من حق الطرف الآخر.

هذه هي الخلاصة إذن؛ أقول لك لا تطلق زوجتك إلا لسبب شرعي يدعوك إلى فراقها حقيقة.

* * *

العدة وأحكام المرأة التي انقطع عنها الحيض [1]

سؤالان، الأول عن طلاق القاطع هل يقع؟ والثاني يقول: هل يجوز لشاب أن يتزوج بامرأة قاطع؟ والمقصود بالقاطع المرأة التي انقطعت عنها العادة.

✿ والجواب أن المرأة التي بلغت سن اليأس (والتي سُميت في

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٨.

السؤال باسم القاطع) لا تختلف في أحكامها الفقهية عن سائر النساء إلا في العدة. وعلى ذلك يحل لها الزواج ويقع عليها الطلاق وعليها العدة. وأنا أبيّن -هنا- مسألة العدة بشيء من التفصيل:

١- المرأة التي يُتوفى عنها زوجها عدتها أربعة أشهر وعشرة أيام مطلقاً، سواء كانت صغيرة أو كبيرة، تحيض أو لا تحيض، ما لم تكن حاملاً.

٢- وإن كانت حاملاً فعدتها تنتهي بوضع الحمل مطلقاً، سواء طلقها زوجها أو مات عنها. ولو وضعت بعد الطلاق أو وفاة الزوج بيوم واحد فإنها تنقضي عدتها عندئذ.

٣- فإذا طُلّقت ولم تكن حاملاً فعدتها -إذا كانت تحيض- ثلاث حيضات أو ثلاثة أطهار. اختلف الفقهاء في تحديد ذلك لأن الآية نصّت على «ثلاثة قروء»، والقرء يُطلق في لغة العرب على الحيض ويُطلق على الطهر، وإن كان فهمُ الذين قالوا إن معناه «الحيض» أقرب إلى الصحة.

٤- وإذا طُلقت المرأة أثناء الحيض فإن الطلاق يقع -خلافاً لما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية- وإن كان طلاقاً بدعياً ممنوعاً، وتكون عدتها ثلاث حيضات غير التي كانت فيها عند طلاقها، فإن تلك لا تُحتسب.

٥- فإن لم تكن المرأة من ذوات الحيض (بأن تكون صغيرة جداً لم تحض أو كبيرة قطعها الحيض) وطلقها زوجها فعدتها ثلاثة أشهر.

٦- وذلك كله مجموع في قوله تعالى في الآيتين من سورة البقرة والآية من سورة الطلاق: ﴿والمُطَلّقاتُ يَتَربّصْنَ بأنفُسِهِنّ ثلاثَةَ قُروء﴾[1]،

---

[1] البقرة: ٢٢٨.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُم وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾[1]، ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ، وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾[2].

* * *

---

[1] البقرة: ٢٣٤.

[2] الطلاق: ٤.

(١٨)

الحضانة والوصاية



الحضانة [1]

رسالة طويلة فيها قصة مؤثرة، خلاصتها أن امرأة طُلقت من زوجها فأخذ منها أولادها ووضعهم -وفيهم بنت كبيرة- عند زوجته الجديدة التي صارت تسيء إليهم وتعذبهم. والسؤال: هل يملك أن يأخذ الأولاد من أمهم؟

❁ وأنا أجيب عن مسألة الحضانة بشكل عام:

١- الولد الصغير الذي يكون في سن الحضانة يبقى عند أمه، ولا يجوز لأبيه أن ينتزعه منها إذا طلقها. والنبي ﷺ قضى بالغلام للمرأة التي جاءته تشكو زوجها إذ أراد انتزاعه منها فقالت: «إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سِقاء، وحجري له حِواء»، تبيّن أنها حملت وولدت وأرضعت ثم حضنت، ثم يريد أبوه أن يأخذه منها بغير شيء فعله له، فأبقاه معها[2]. والحكمة في بقاء الولد -في هذه السن- في حضانة أمه أنه يحتاج إلى رعاية وعاطفة ورضاع وتنظيف وغير ذلك مما لا قِبَل للرجل به ولا طاقة له عليه؛

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٥.

[2] عن عبد الله بن عمرو ﷺ أن امرأة قالت: يا رسول الله، إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سِقاء، وحجري له حِواء، وإن أباه طلقني وأراد أن ينتزعه مني. فقال لها رسول الله ﷺ: «أنت أحق به ما لم تَنكِحي (أي تتزوجي)». رواه أحمد وأبو داود.

فهو لم يدرَّ الله ثديه باللبن، ولم يشحذ قلبه بمثل عاطفة الأم، كما أن لديه عملاً آخر يشغله ويصرفه عن رعاية الصغار.

٢- فإذا تزوجت الأم رجلاً آخر أجنبياً عن الولد فإن الحضانة تمتنع عليها عندئذ. والامتناع غير السقوط؛ فالقاعدة تقول: «الساقط لا يعود»، فلو أن الحضانة سقطت عن الأم فإنها لا تعود إليها بحال. كما لو كان لرجل على آخر دَيْن فأسقطه عنه، فإنه لا يحق له أن يأتي من بعد فيطلب دينه ويقول: قد رجعت عن كلامي ولا أريد أن أسقط الدين عنك.

٣- أما الامتناع فالقاعدة فيه أنه «إذا زال المانع عاد الممنوع»، فإن تزوجت الأم -وعندها ولد- برجل أجنبي عنه امتنعت حضانتها له، فإذا طُلقت من هذا الرجل زال المانع فعاد حقها في حضانة طفلها إليها.

٤- ويمكن أن يمتنع على الأم الحق في الحضانة إذا ضيعت الولد، فلا يعود لها هذا الحق إذا أهملته ولم تعتنِ به، ويصبح من حق القاضي أن يأخذه منها إذا ثبت لديه إهمالها، ما لم تصلح نفسها وتقوّم خطأها.

٥- فإذا انتقل الحق في الحضانة من الأم لأي سبب، فإنه ينتقل منها إلى أمها. فإذا كانت أمها متزوجة بأجنبي عن الولد (أي بغير جده) أو لم يكن لها أم فإلى أم الأب، وينتقل حق الحضانة بعد ذلك إلى أم أم الأم، ثم إلى أخت الأم، فيراعى فيه تقديم مَن كانت قرابته من جهة الأم؛ لأن الحق -في الأصل- لها.

٦- بقيت مسألة: هل الحضانة حق للحاضن (أي الأم الحاضنة) أم للمحضون؟ الذي عليه أكثر الفقهاء، وهو الكلام المحقّق، أنها حق للولد المحضون، فإن لم يوجد مَن يحضنه غير أمه ثم أبت هي وامتنعت من حضانته فإنها تُجبر على ذلك.

٧- فإذا كبر الولد وصار أحوجَ إلى تربية الأب وتقويمه وتوجيهه من رعاية الأم وعنايتها وعاطفتها، فإن الشرع ينقل حق الحضانة إليه. لكن ما هي السن التي تنتهي فيها حضانة الأم، أو ما هي فترة الحضانة؟ اختلف في ذلك الفقهاء؛ فالحنفية قالوا: البنت حضانتها حتى تكمل تسع سنين، وقال بعضهم: حتى الحادية عشرة، وقال آخرون: حتى تبلغ. أما الإمام مالك فقال: حضانة البنت حتى تتزوج. وللقاضي الحق في أن يختار القول أو المذهب الذي يريد بشرط أن يكون صحيحاً وعليه دليل، ما لم يكن مقيَّداً بمذهب من المذاهب.

٨- أما الولد فجعل الحنفية حضانته لسبع سنين. وعند الشافعي وأحمد أنه يُخيَّر بعد التمييز: إن شاء ذهب مع أمه وإن شاء ذهب مع أبيه. لكن اشترط الفقهاء أن يكون عند القاضي نظر؛ فالولد الصغير تسهل استمالته، ولو أعطاه أبوه لعبة ووعده بالمزيد لذهب معه، فعلى القاضي أن يكون يقظاً لمثل ذلك.

٩- ويمكن أن نأخذ من أقوال الفقهاء مَن قال بأن مدة الحضانة غير محددة ولكن تُراعى فيها مصلحة الولد أو البنت؛ فتكون مدة الحضانة حسبما تكون هذه المصلحة.

١٠- والخلاصة أن الرجل إذا طلق المرأة ولها أولاد صغار أعمارهم أقل من سبع سنين فلا يحق له أن يأخذهم منها ما لم تتزوج، وإذا أخذهم منها فلها أن تراجع القاضي أو الشرطة، فإنهم يسلمون لها الولد، والأب إن كان عنده شيء فإنه يراجع القاضي بعد ذلك.

* * *

الوصاية والحضانة

سؤال من رجل توفي أخوه عن بنت في الثالثة من العمر أنجبها من زوجته المطلقة، وقد حُكم للأم بالوصاية على البنت. ويسأل: متى تنتهي هذه الوصاية فتنتقل البنت إلى حضانة أحد أعمامها؟

✿ والجواب أن السائل قد خلط بين الوصاية والحضانة. وأنا أبيّن كلاً منهما باختصار:

١- الإنسان الكبير يستطيع الاستغناء عن الآخرين، ولكن الصغير الذي عمره ثلاث سنوات يحتاج إلى من يعتني به ويغذيه وينظفه ويرعى شؤونه، والعناية بالأمور اليومية هذه اسمها «الحضانة». فالحضانة -إذن- أمرٌ متعلق بالولاية على النفس.

٢- والكبير العاقل يميز بنفسه ما يصلح له وما لا يصلح فيحسن الاختيار، وهو كامل الأهلية في التعاقد والبيع والشراء وفي التصرف في أملاكه وأمواله، بخلاف الصغير الذي يحتاج إلى مَن يدير له شؤونه وأمواله، وهذه هي الوصاية. فهي أمر متعلق بالولاية على المال.

٣- ولا يُشترط للوصاية ما يُشترط للحضانة؛ فالحضانة تحتاج إلى مَن يقدر على العناية بالطفل وإعطائه العاطفة والرعاية اللازمتين، أما الوصاية فيُشترط فيمن يُعيَّن لها أن يكون خبيراً بإدارة الأموال عارفاً بالحياة ليحفظ للصغير ماله ولا يضيعه.

٤- والحضانة تنتهي عندما يستغني الصغير عن الخدمة التي أوجبتها. وقد اختلفت في تقدير السن التي يكون ذلك عندها المذاهبُ؛ فحددها الإمام أحمد للبنت بسبع سنين، والحنفية بتسعٍ إلى إحدى عشرة، وهي أطول عند

الإمام مالك؛ إذ تمتد حتى زواجها. وكان تحديدها بتسع سنين هو الذي تمشي عليه المحاكم الشرعية في البلدان التي انفصلت عن الدولة العثمانية، ثم زيدت إلى إحدى عشرة سنة.

٥- فإذا بقيت البنت عند أمها فلأبيها أن يراها ويطمئن عليها، ولا يُحال بينه وبينها، ثم إذا صارت إليه فلأمها أن تراها كذلك وتطمئن عليها، ويكون تحديد مكان ومدة هذه الرؤية بترتيبٍ من القاضي.

* * *

التنازل للقاصر [1]

سؤال عن امرأة كان لها بيت تسكن فيه هي وزوجها وأولادها، ثم طُلقت من زوجها فتنازلت عن البيت لولدها الصغير وكتبته باسمه، وزوجها باقٍ فيه. فما الحكم؟

✿ والجواب:

١- هذه المرأة لم تعد لها علاقة بالبيت لأنها تنازلت عنه لولدها، وإنما كان لها فيه حق قبل التنازل.

٢- البيت صار ملكاً للولد، ولا بد من أن يأذن للأب لكي يقيم معه فيه. ولكن الولد قاصر كما يظهر من الرسالة، والقاصر لا يأذن، وإن أذن فليس لإذنه قيمة لأن الصغير ليس أهلاً للتصرف فيما يملك. فمن الذي يأذن عنه؟

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٥.

٣- إذا كان له وصي فالوصي هو الذي ينوب عنه، وإلا فالقاضي. ومع وجود الأب لا يكون وصيٌّ، فالقاضي هو الذي ينوب عن الصغير إذن.

٤- فإن أراد القاضي أن يبرّئ ذمته ينظر في هذا البيت: كم يؤجَّر لو كان خالياً؟ فيأخذ من الأب مثل ذلك ويرده على الولد، أو يخرج الأب منه ويُؤجَّر لمصلحة الولد القاصر.

* * *





(١٩)

حجاب المرأة وزينتها

الدعوة إلى السفور [1]

جاءني عدد من مجلة «المجتمع» وفيه أن رئيسة الجمعية الثقافية الإنسانية في الكويت تعترض على الحجاب وتقول إن العباءة مادة لإخفاء الأعمال غير الشريفة، وتدعو إلى السفور، وتقول كلاماً آخر من هذا القبيل.

❂ وأنا أعلق على ذلك بما يلي:

١- أنا لن أذكر اسم هذه المرأة ولن أردّ عليها؛ لأن هذه وأمثالها عندما يكتبن مثل هذا الكلام فإن غايتهن كلها تكون أن يُهتَمّ بكلامهن فيُناقَش ويُردّ عليه حتى تشتهر الواحدة منهن وترضي كبرياءها. لذلك أدعها فلا أذكر اسمها ولا أرد عليها لتموت بغيظها وتعلم أن الإسلام لا يُنال منه بمثل هذه الأقوال.

٢- وهذا الكلام قد مضى وقته وما بقي اليوم من يستمع إليه. اذهبوا إلى مصر والشام والأردن وغيرها من البلدان، تجدوا فيها كلها رجعة قوية إلى الحجاب وعودة إلى التمسك بأحكام الدين بين الشبان والشابات بشكل ليس له نظير.

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٩.

٣- فالانحدار -اليوم- قد بلغ أقصاه وبدأ الصعود. وليس هذا في البلاد الإسلامية فحسب؛ ألا تذكرون أحاديث رمضان من بضع سنين حين نقلت لكم نقولاً من جرائد ومجلات وقرأت عليكم أخباراً وبرقيات تقول إن السويد (التي يُضرب بها المثل في التحلل والتحرر والانطلاق وراء الشهوات وإطلاق الحريات الجنسية وكسر القيود كلها حتى في المدارس) قد قامت فيها جمعيات من الشبان أنفسهم تنبه إلى خطر هذا التحلل والتحرر؟ لقد قاموا يدعون إلى العودة إلى الأخلاق والفضائل.

٤- وهذا الكلام الذي نُقل عن هذه المرأة يخرج قائله من الملة ويُحكم به عليه بالكفر؛ فمن أنكرت الحجاب أو سفهته أو سخرت منه وقالت إنه ليس له ضرورة فهي كافرة، ويكفر كل من أنكر واجباً متفقاً على وجوبه أو سخر منه، أو استحلّ مُحرَّماً متفقاً على تحريمه أو هزئ من حرمته، لأن هذه المسألة تتعلق بالعقيدة والعقيدةُ لا تتجزأ؛ فلا يكون الإنسان مؤمناً تسعين بالمئة أو ثمانين. إما مؤمن مئة بالمئة أو كافر مئة بالمئة، فمن أنكر مسألة واحدة أو أدخل شيئاً واحداً من الشرك الصحيح في عقيدته ما عاد ينفعه شيء. وقد شبهت لكم هذا الكلام من قبل (ولا تؤاخذوني على قبح المثال) برجل عنده مئة ناقة حلبها كلها في برميل عظيم حتى امتلأ حليباً ثم سكب فيه كوباً من بول نجس، هل يقول تنجّسَ عشرُه أو ربعُه، أم يصبح الحليب كله فاسداً لا ينفع منه شيء؟

فكذلك الإسلام لا يتجزأ، وإنكار فريضة منه -ولو بسيطة- تحبط العمل كله؛ فمن أنكر الحجاب لم يفده بعد ذلك أن يصلي أو يصوم أو ينفق عمره في النوافل والخيرات.

* * *

ستر الشعر عن النساء والمحارم [1]

سؤال فيه أن أحد الواعظين يقول إن المرأة لا يحل لها أن تكشف عن شعرها أبداً حتى أمام النساء مثلها أو أمام زوجها، ويستدل بحديثٍ فيه أن جبريل ولّى لما كشفت السيدة خديجة عن شعرها.

✿ والجواب أن هذا -إن صح- مما يجعلني أتمنى أن يُغلَق باب الاجتهاد. وإن كانت هذه المقالة غيرَ صحيحة فالبابُ مفتوح لا يمكن أن يُسَد، ولكن أتمنى ذلك عندما أرى مثل هذه الاجتهادات التي لم يقل بها لا فقهاء المسلمين المتقدمين ولا المتأخرين!

وكيف يحرم على المرأة أن تكشف شعرها على زوجها وهو يحل له أن يرى كل شيء في جسدها؟ وكيف تُمنع من كشف شعرها أمام النساء أمثالها وقد ورد جواز ذلك في الآية في سورة النور: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾؟

فينبغي أن يُمنَع أمثال هؤلاء المجتهدين من الحديث والفتوى، وإلا ضاع في اجتهاداتهم الخاطئة الشبان والشابات.

* * *

المحارم [2]

جاءني سؤال عن المَحْرَم من هو؟ وهل يكون زوج الخالة مَحرماً يجوز للمرأة أن تسافر معه؟ وهل يجوز أن يُسكِن الرجل بنتَ أخت زوجته معه وأن تتكشف أمامه بحجة أنه لا يجوز له أن يتزوج بها مع وجود خالتها؟

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٨.

[2] وجدت هذه الفتوى بخط جدي وليس عليها تاريخ كتابتها أو نشرها.

✿ والجواب: أن الرجل الذي يحرم عليه أن يتزوج بامرأة حرمة مؤبدة يكون مَحرماً لها؛ يجوز أن يسافر معها وأن يرى شعرها ونحرها وساقيها وذراعيها. ومحارم المرأة زوجها وأبوها وجدها وأخوها وعمها وخالها وزوج أمها وزوج ابنتها، سواء أكان ذلك من القرابة أم من الرضاع.

أما زوج الأخت وزوج الخالة فلا يُعدّ مَحرماً. صحيح أنه لا يجوز الجمع بين الأختين ولا بين المرأة وخالتها، ولكن هذه حرمة مؤقتة فلو طلق الأختَ جاز له الزواج بأختها ولو طلق الخالة أو ماتت لجاز له الزواج بنت أختها. ولو اعتبرنا الحرمة المؤقتة لكان كل رجل محرماً لكل امرأة متزوجة؛ لأنه لا يجوز له التزوج بها مع وجود زوجها!

فالقول بأن زوج الخالة محرم مخالف لمذاهب المسلمين كلها. لا؛ بل هو أجنبي عنها لا يجوز لها أن تكشف أمامه إلا وجهها وكفيها، ولا يجوز له أن يرى منها غيرهما، ولا يجوز له أن يبقى معها في البيت وحدهما إذا غابت زوجته ولو ظن أنه رجل شريف لا يصدر منه ما يريب؛ لأن الخلوة بالأجنبية محرمة في ذاتها، وما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما. والشيطان لا يترك الشاب والشابة وحدهما والباب مغلق عليهما من غير أن يدفعهما إلى الشر.

وكثير من الناس يتساهلون مع الأصهار، مع أن الصهر أخطر من الأجنبي؛ فالأجنبي تحترس منه المرأة عادة، أما الصهر فتهاون بأمره وتتكشف أمامه وتجالسه وتكلمه وتخالطه، وقد تبقى وحدها معه وتقول: "ما هذا أجنبي، هذا زوج أختي أو زوج خالتي"، ولا تدري أن زوج الأخت وزوج الخالة وأخا الزوج وعمّ الزوج مثل الرجل الذي في الشارع، بل هو أخطر منه كما قلت، لأن الرسول ﷺ لمّا سُئل عن الصهر نبّه إلى هذا الخطر وبيّن

أنه الموت[1].

إن واجب العلماء تنبيه الناس، وإن وظيفتنا أن ندل على الأخطار التي يقع فيها الناس عن غفلة أو تهاون، وهذه منها. ولذا أكرر القول بأن المرأة لا يجوز أن تتكشف إلا أمام محارمها، والمحرم هو الذي لا يجوز أن يتزوج بها أبداً، كالأب والابن والأخ والعم. أما زوج الأخت وأخو الزوج وزوج الخالة وخال الزوج فهم مثلِ الأجانب، بل هم أخطر من الأجانب.

* * *

كشف العورة للفحص الطبي [2]

سؤال من امرأة تقول إنها كانت مريضة لعدة سنوات فعولجت عند كثير من الأطباء وسافرت إلى كثير من البلدان للعلاج فكشف عليها الأطباء ورأوا جسدها، وهي خائفة من ذلك وتسأل: أليس بحرام؟

❁ والجواب أنه إذا كانت المرأة مريضة واحتاجت إلى العلاج فإنها تجتهد أن يكون تداويها عند طبيبة أنثى مثلها ولا تذهب إلى طبيب رجل إلا إذا لم يوجد لعلاجها غيره؛ لتخصصٍ اختصَّ به أو لعدم وجود الطبيبات أصلاً، وإن كان هذا من النادر الآن.

فإذا اضطرت أنِ تذهب إلى الطبيب واستوجب الشفاء من مرضها أن يرى جسدها (الذي هو عورة في الأصل) فإنه يجوز له أن يرى موضع

---

[1] عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت». رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد والدارمي.

[2] أذيعت سنة ١٣٩٨.

الألم منها، أو الموضع الذي يحتاج إلى فحصها فيه.

وكثيرات من الصالحات يتساهلن في هذه المسألة؛ فتذهب الواحدة إلى الطبيب للفحص والألم في بطنها فترفع ثوبها فتكشف -في الطريق إلى البطن- الساق والفخذ، وربما كشفت عن مواضع غيرها.

لا، الطبيب له أن يرى موضع الفحص اللازم. إن كان الألم في البطن يرى البطن، وإن كان في اليد يرى اليد، وهكذا. أما البدعة التي سمعت بها مرة من أن المريض ينزع ثيابه كلها عند الفحص (ولو كان الطبيب رجلاً والمريضة امرأة) فهو كلام مردود لا يجوز.

فهذه السائلة إن كانت اضطرت إلى التداوي والعلاج، ولم يرَ منها الطبيب الأجنبي إلا موضع الفحص الضروري أو موضع الألم، فلا شيء عليها إن شاء الله. وإن كان غير ذلك فتستغفر الله ولا تعود إليه.

* * *

حجاب المرأة أمام أسلافها

سؤال يقول: هل يجوز للرجل أن يرى زوجة أخيه أم هي أجنبية عنه، وماذا يصنع إذا كان الجميع يسكنون في دار واحدة؟

✿ والجواب: أن السلف كالأجنبي تماماً؛ لا يجوز له أن يرى من امرأة أخيه إلا الوجه والكفين، وإذا كان يترتب على رؤية وجهها فتنة كان حراماً أيضاً.

* * *

ربيب المرأة يبقى أجنبياً عنها

سؤال من بنت تقول إن عمها، أخا أبيها، كان له ولد رُبّي في صغره في بيت أهلها، وأمها هي التي ربته وتظهر أمامه كما تظهر أمام ولدها بغير حجاب. وقد كبر وتزوج وما زال يأتي إليها فيقبل رأسها وتعتبره ابنها. هل هذا حلال؟

✿ لا؛ هذا لا يجوز، والمرأة يبقى ابن أخي زوجها كما يبقى أي شاب آخر أجنبياً عنها ما لم يكن مَحْرماً لها من نسب أو رضاع، ولا يجوز له أن يختلي بها ولا يجوز لها أن تتكشف أمامه. ولو أنها أرضعته في صغره الرضاع الشرعي لجاز لها ذلك ولكان ابناً لها من الرضاعة.

* * *

التآخي بين رجل وامرأة أجنبيين [1]

هل يجوز لامرأة في مقتبل العمر أن تسافر مع رجل غريب عنها بعد أن تعاهدا على الإخاء عهد الله، وهل يعتبران بعد هذا العهد أخوين على مدى الدهر أم لا؟

✿ والجواب:

١- القرابة والمَحرمية لا تكون باتفاق الطرفين أو تعاهدهما، وإنما تكون بطرق وأسباب معروفة أقرّها الشرع.

٢- لا يمكن لرجل وامرأة غريبين في مقتبل العمر أن يكونا أخوين.

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٥.

هذا مخالف للطبيعة البشرية؛ لأن الله ﷻ جعل في نفس الرجل الميل إلى المرأة وجعل في نفس المرأة الميل إلى الرجل، فإذا تصادق أحدهما مع الآخر كانت صداقتهما صداقة تكامل؛ كل منهما يكمل الآخر. أما حين يتصادق رجل مع رجل أو امرأة مع امرأة فإنها تكون صداقة قائمة على التشابه والتماثل والتوافق بالطباع والآراء.

٣- والخلاصة أن هذا الرجل الذي تعاهد مع المرأة على الأخوّة لم يصبح أخاً لها ولا هي صارت أخته. وهو لم يصبح محرماً لها، بل تبقى أجنبية عنه كما كانت أوّلاً، ولا يجوز لها أن تسافر معه أبداً.

* * *

عادة لا يقرها الشرع[١]

هذا سؤال غريب يقول إن من عادات بعض المناطق أن الشاب يقبل ابنة عمه إذا التقى بها أو أنها هي التي تقبله من رأسه، ويسأل: ما حكم هذه العادة؟

✿ وهذا سؤال غريب فعلاً. الجواب أن هذا لا يجوز؛ فابن العم أجنبي عن ابنة عمه. كيف يجوز أن يقبّل رجل أجنبي امرأة أجنبية؟ هذا من الأبواب التي توصل إلى إثارة الشهوة وإلى الحرام.

نحن لا ينبغي أن نَخضع للعادات خضوعاً مطلقاً، بل يجب أن نُخضع العادات للشرع، فما وافق الشرع منها قبلناه وما عارض الشرع رددناه.

* * *

---

[١] أذيعت سنة ١٤٠٤.

السكرتيرات [1]

سؤال عن عمل النساء في وظيفة السكرتيرات.

✿ السكرتيرة هي أمينة السر، وطبيعة عملها تستدعي خلو صاحب العمل بها؛ فهما يجتمعان في خلوة منفردَين، وربما عملت ساعات إضافية في الليل، وقد يدعوها مديرها إلى العشاء، فتنشأ من ذلك كله علاقة بينهما ليست من صنف العلاقة المعهودة بين الرئيس والمرؤوس.

وهو لا بد أن يميل إليها، وهي ربما مالت إليه. وهذا الميل قد يبقى كامناً وقد يظهر ويتعدى إلى محاولة الحرام، وهو أمر متوقع بين رجل وامرأة وضع الله في كل منهما الميل إلى الآخر وغرزه في نفسه.

وهذا أمر قد منعه الشرع، والذي يمنعه الشرع يمنعه العقل؛ لأن الله الذي أعطانا العقول هو الذي أنزل علينا القرآن وشرع لنا الشرع، وليس فيه ما يخالف العقل السليم. فهذا الأمر مضارُّه ظاهرةٌ وأذاه بيّنٌ، فينبغي أن يُمنع ويُزال.

* * *

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٩.



(٢٠)

الميراث والوصية

فكرة عامة عن الفرائض [1]

رجل مات عن أخت وأخوين لأم وابن عم وبنت عم، كيف تقسم التركة؟

❁ الجواب على المسألة أن الأخت تقوم مقام البنت إذا لم توجد البنت، والبنت الواحدة تأخذ النصف؛ فالأخت -هنا- لها النصف إذن. أما الإخوة لأم فالواحد منهم يأخذ السدس، فإن كانوا أكثر من واحد (اثنين فأكثر) فيشتركون في الثلث. وللإخوة لأم حالة خاصة؛ حيث أن الذكر والأنثى في توزيع الحصص (إن كانوا اثنين فأكثر) سواء. وابن العم ليس من أصحاب الفرائض وإنما من العصبات فيأخذ الباقي.

فإذا قسمنا التركة ستة أقسام فالأخت تأخذ ثلاثة (النصف)، والإخوة لأم اثنين (الثلث)، ويأخذ ابن العم القسم الباقي (السدس). أما ابنة العم فليس لها شيء لأنها من ذوي الأرحام.

وعلم الفرائض من العلوم التي يحتاج إليها الناس جميعاً. لا أقول إن على كل مسلم أن يعرف المسائل كلها والمناسخات، ولكنْ يعرف أصحابَ الفروض والأحكامَ العامة. ومعظمُ هذه الأحكام في سورة النساء؛ فاقرؤوها.

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٩.

فكرة عامة عن الفرائض [1]

رجل مات عن أخت وأخوين لأم وابن عم وبنت عم، كيف تقسم التركة؟

✿ الجواب على المسألة أن الأخت تقوم مقام البنت إذا لم توجد البنت، والبنت الواحدة تأخذ النصف؛ فالأخت -هنا- لها النصف إذن. أما الإخوة لأم فالواحد منهم يأخذ السدس، فإن كانوا أكثر من واحد (اثنين فأكثر) فيشتركون في الثلث. وللإخوة لأم حالة خاصة؛ حيث أن الذكر والأنثى في توزيع الحصص (إن كانوا اثنين فأكثر) سواء. وابن العم ليس من أصحاب الفرائض وإنما من العصبات فيأخذ الباقي.

فإذا قسمنا التركة ستة أقسام فالأخت تأخذ ثلاثة (النصف)، والإخوة لأم اثنين (الثلث)، ويأخذ ابن العم القسم الباقي (السدس). أما ابنة العم فليس لها شيء لأنها من ذوي الأرحام.

وعلم الفرائض من العلوم التي يحتاج إليها الناس جميعاً. لا أقول إن على كل مسلم أن يعرف المسائل كلها والمناسخات، ولكنْ يعرف أصحابَ الفروض والأحكامَ العامة. ومعظمُ هذه الأحكام في سورة النساء؛ فاقرؤوها.

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٩.

وأنا أقدم -هنا- فكرةً عامة عن الموضوع، لا أشرحه كله شرحاً وافياً لأنه لا يمكن تفصيله في سطور معدودات، وإنما أدلّكم على أول الطريق ليكمل من شاء السير فيه.

١- القرآن تعرّض -على الأغلب- للأسس والأحكام العامة ولم يذكر التفاصيل، حتى في العبادات التي لا تتغير ولا تتبدل كالصلاة والحج والزكاة. أما قضايا الميراث فقد قدمها مفصلة مبينة، فلا يجوز العدول عنها ولا المجادلة فيها؛ لأن الله رب العالمين قسمها وهو أعرف بمصلحة عباده؛ فلا نقول مثلاً: لماذا أخذ ابن العم ولم تأخذ بنت العم؟ ولماذا أُعطي هذا وحُرم ذاك؟ الله أعلم بالمصلحة وأحرص على مصلحة العباد، وهو يعطي من ناحية ويمنع من أخرى؛ وهذه بنت العم حُرمت من التركة هنا فتتزوج فتأخذ المهر من زوجها، وهذا ابن العم أخذ هنا فيتزوج فيدفع المهر في زواجه.

٢- أول ما يخرج من التركة[١] ديون الميت، فإذا ترك عشرة آلاف وعليه ديون مقدارها خمسة آلاف فإن هذه الديون تُقضى أولاً لأنها حق لغيره، ثم تقسم الخمسة الآلاف الباقية بين الورثة، إذا لم يترك الميت وصية.

٣- فإذا ترك الميت وصية أُخرجت الوصية من التركة قبل توزيعها، والوصية لها شروط لا تكون إلا بها؛ فمن شروطها ألا تتجاوز ثلثَ التركة، وأن تكون للأجنبي (أي لغير الوارث؛ فإنه لا وصية لوارث). ودليل إخراجها وإخراج الدَّين قبل توزيع التركة قول الله تعالى في الآيات من سورة النساء: ﴿مِنْ بَعدِ وَصيّةٍ يُوصَى بها أو دَيْنٍ﴾[٢].

٤- ثم يُعطى أصحاب الفروض؛ وهم الذين بيّن الله حصصهم في

---

[١] أي بعد مصاريف الدفن والجنازة.

[٢] النساء: ١٢.

القرآن وقسمها مفصَّلة مبيَّنة، وهذه -باختصار- أهم الأحكام المتعلقة بهم:

يأخذ الزوج إذا ماتت المرأة النصف إذا لم يكن لها ولد، فإن كان لها ولد فله الربع. وإذا مات الزوج وترك زوجة فإنها تأخذ الربع إذا لم يكن له ولد والثمن إذا كان له ولد، فإن ترك أكثر من زوجة فهما (أو هنّ) شريكات في الربع أو الثمن يقتسمنه بالتساوي. والبنت الواحدة تأخذ النصف، فإذا مات الأب أو ماتت الأم عن أكثر من بنت فلهن الثلثان. والأخت مثل البنت إذا لم توجد البنات؛ فإذا وجدت البنت والأخت، فالأخت تأخذ بقية التركة بعد تقسيم الحصص لأصحاب الفرائض.

٥- بقي مَن لم تُحدد لهم حصص معينة عند تسمية الذين يقتسمون التركة، وهؤلاء ليسوا من أصحاب الفروض ولكنهم يأخذون مما بقي من التركة ويُسمَّون العصبات.

هذه فكرة مختصرة؛ إذ لا يمكن بسط الموضوع كله في سطور قليلة، ومن أراد التوسع فعليه بكتب الفقه والمواريث.

* * *

ادّعاء الحق في مال الميت [١]

سؤال من ورثةٍ لميت يدعي أناسٌ حقوقاً لهم عليه وليس لديهم دليل، هل يعطونهم ما يطلبون مع أنهم غير موقنين بصحة دعواهم أم يمتنعون؟

✿ والجواب:

---

[١] أذيعت سنة ١٣٩٥.

وأنا أقدم -هنا- فكرةً عامة عن الموضوع، لا أشرحه كله شرحاً وافياً لأنه لا يمكن تفصيله في سطور معدودات، وإنما أدلّكم على أول الطريق ليكمل من شاء السير فيه.

١- القرآن تعرّض -على الأغلب- للأسس والأحكام العامة ولم يذكر التفاصيل، حتى في العبادات التي لا تتغير ولا تتبدل كالصلاة والحج والزكاة. أما قضايا الميراث فقد قدّمها مفصلة مبينة، فلا يجوز العدول عنها ولا المجادلة فيها؛ لأن الله رب العالمين قسمها وهو أعرف بمصلحة عباده؛ فلا نقول مثلاً: لماذا أخذ ابن العم ولم تأخذ بنت العم؟ ولماذا أُعطي هذا وحُرم ذاك؟ الله أعلم بالمصلحة وأحرص على مصلحة العباد، وهو يعطي من ناحية ويمنع من أخرى؛ وهذه بنت العم حُرمت من التركة هنا فتتزوج فتأخذ المهر من زوجها، وهذا ابن العم أخذ هنا فيتزوج فيدفع المهر في زواجه.

٢- أول ما يخرج من التركة[1] ديون الميت، فإذا ترك عشرة آلاف وعليه ديون مقدارها خمسة آلاف فإن هذه الديون تُقضى أولاً لأنها حق لغيره، ثم تقسم الخمسة الآلاف الباقية بين الورثة، إذا لم يترك الميت وصية.

٣- فإذا ترك الميت وصية أُخرجت الوصية من التركة قبل توزيعها، والوصية لها شروط لا تكون إلا بها؛ فمن شروطها ألا تتجاوز ثلثَ التركة، وأن تكون للأجنبي (أي لغير الوارث؛ فإنه لا وصية لوارث). ودليل إخراجها وإخراج الدَّين قبل توزيع التركة قول الله تعالى في الآيات من سورة النساء: ﴿مِنْ بَعدِ وَصيّةٍ يُوصَى بها أو دَيْنٍ﴾[2].

٤- ثم يُعطى أصحاب الفروض؛ وهم الذين بيّن الله حصصهم في

---

[1] أي بعد مصاريف الدفن والجنازة.

[2] النساء: ١٢.

القرآن وقسمها مفصّلة مبيّنة، وهذه -باختصار- أهم الأحكام المتعلقة بهم:

يأخذ الزوج إذا ماتت المرأة النصف إذا لم يكن لها ولد، فإن كان لها ولد فله الربع. وإذا مات الزوج وترك زوجة فإنها تأخذ الربع إذا لم يكن له ولد والثمن إذا كان له ولد، فإن ترك أكثر من زوجة فهما (أو هنّ) شريكات في الربع أو الثمن يقتسمنه بالتساوي. والبنت الواحدة تأخذ النصف، فإذا مات الأب أو ماتت الأم عن أكثر من بنت فلهن الثلثان. والأخت مثل البنت إذا لم توجد البنات؛ فإذا وجدت البنت والأخت، فالأخت تأخذ بقية التركة بعد تقسيم الحصص لأصحاب الفرائض.

٥- بقي مَن لم تُحدد لهم حصص معينة عند تسمية الذين يقتسمون التركة، وهؤلاء ليسوا من أصحاب الفروض ولكنهم يأخذون مما بقي من التركة ويُسمَّون العصبات.

هذه فكرة مختصرة؛ إذ لا يمكن بسط الموضوع كله في سطور قليلة، ومن أراد التوسع فعليه بكتب الفقه والمواريث.

* * *

ادّعاء الحق في مال الميت [١]

سؤال من ورثةٍ لميت يدعي أناسٌ حقوقاً لهم عليه وليس لديهم دليل، هل يعطونهم ما يطلبون مع أنهم غير موقنين بصحة دعواهم أم يمتنعون؟

✿ والجواب:

---

[١] أذيعت سنة ١٣٩٥.

١- لو كان يصح أن يُعطى من الناس كل من ادعى ولو أردنا أن نصدق كلَّ مدعٍ لأخذ الناس المال بعضهم من بعض؛ كما جاء في الحديث عن الرجل يأخذ مال الآخر من غير بينة.

٢- إذا كان الورثة كباراً بالغين ليس فيهم قاصر واقتنعوا بصحة هذه الدعوى، فلهم أن يعطوا المدعي، بل لهم أن يعطوا من شاؤوا ما دام المال قد صار لهم بالميراث وهم بالغون راشدون.

٣- أما إذا كان في الورثة قاصرٌ ناقصُ الأهلية أو صغيرٌ جداً فاقدُ الأهلية، فإنه لا يجوز أن يُدفع من التركة -عندئذ- شيء لأحد يدّعي ديناً إلا بحكم من القاضي، فيقدم المدعي البينة، فإذا حكم له القاضي أعطيها وإن لم يحكم له لم يُدفع له منها شيء.

* * *

الرحم وأولو الأرحام [1]

سؤال عن معنى الرحم، ومن هم أولو الأرحام؟

✿ والجواب بإيجاز:

١- الرحم كل الأقرباء. فإذا قلنا: «صلة الرحم»، وإذا قرأتم في الأحاديث ما يرغّب بصلة الرحم، فإنه يدخل في هذا الأقرباء كلهم؛ الأقرب فالأقرب، مع تقديم الأصلح منهم. فإذا كان لك ابن عم سيء منحرف وآخر حسن السيرة قدمت الصالح منهما على الآخر، حتى وإن كان أبعد قرابة.

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٣.

٢- أما «ذوو الأرحام» في الميراث فهم الذين تكون قرابتهم للميت بواسطة امرأة؛ فابن الأخت من ذوي الأرحام وكذلك ابن العمة، ما عدا الأخ لأم فهو من أصحاب الفروض لأن الله ﷻ فرض له في القرآن نصيباً من الميراث.

* * *

التصرف في المال الموروث

سائل يقول إن أباه توفي وقسمت التركة، ثم أرادت أمه أن تبيع حصتها لأحد إخوته فقيل لها إن هذا لا يجوز، فهل هذا الكلام صحيح؟

✿ الفتوى غير صحيحة؛ لأن الميت كان يملك المال في حياته فلما مات ارتفعت ملكيته عنه وانتقلت إلى الورثة، فمَن أُعطي نصيبه من الميراث صار ملكاً له يبيعه إن شاء لمَن شاء أو يهبه أو يتصدق به، والأم -هنا- قد صارت مالكة لحصتها التي قُسمت لها فهي تفعل بها ما تريد.

* * *

الوصية [1]

سؤال عن الوصية، ماذا ينبغي أن يكتب فيها، وهل يجب على الموصي أن يخصص مبلغاً للفقراء؟

✿ والجواب أن الوصية متروكة لصاحبها، هو حرٌّ فيها يفعل ما يشاء.

---

[1] أذيعت سنة ١٤٠٤.

فإن أحب أن يوصي فهي سنة يحسن اتباعها، وإذا لم يوصِ لم يرتكب مخالفة.

على أن للوصية شرطين لا بد منهما؛ أن لا تزيد على ثلث المال، وأن تكون لغير الورثة؛ فلا وصية لوارث. الشرع منع الوصية لأي واحد من الورثة لأنه لا يريد أن يقع بين أفراد الأسرة الواحدة نزاع أو خصام، بل يريد أن تشملهم رابطة المحبة والوئام.

فإن تحقق هذان الشرطان فأوصِ بما تشاء ولا حرج.

* * *





(٢١)

الذبائح والأطعمة

ذبائح أهل الكتاب

سؤال عن ذبائح أهل الكتاب يقول: إنها أبيحت في القرآن، ولكن النصارى ابتعدوا اليوم عن دينهم (كما نرى في أوربا وأميركا) فهل نأكل ذبائحهم؟

❁ وأنا أجيب بشيء من التفصيل:

١- الحيوان الذي يحرم أكله هو الذي يموت ميتة طبيعية، أي حتف أنفه، وقد يكون ذلك اختناقاً أو بسقوط على رأسه أو في اقتتال مع حيوان آخر. ومثله الذي يُقتل بالضرب على الرأس بشيء ثقيل أو بالصعق الكهربائي، وبأي طريق غير الذبح. فإذا ذُبح ذبحاً فالأصل جواز الأكل منه.

٢- الخنزير يحرم أكله قطعاً بأي طريقة مات بها، ويحرم فيه لحمه وشحمه، وشحمه يدخل الآن في تركيب كثير من المواد الغذائية ومنها أنواع من الحلويات، وعلى المسلم أن يتحرى ما يأكله فيجتنب اجتناباً كاملاً ما كان فيه لحم خنزير أو شحمه.

٣- يجب على المسلم أن يذكر اسم الله على الذبيحة عند ذبحها. والحنفية يشددون في هذه المسألة حتى إنهم ينصّون -في كتبهم- على أن الذبيحة التي تذبح تعظيماً للحاكم أو الأمير أو الكبير لا تؤكل وإنْ ذُكر اسمُ الله عليها عند ذبحها.

٤- أما ذبائح أهل الكتاب التي يذبحها اليهود والنصارى فيجوز أكلها، ونذكر اسم الله عليها عند الأكل. فاللحم الذي يأتينا اليوم محفوظاً في العلب ننظر فيه؛ فإن كان وارداً من بلدان نصرانية (مثل فرنسا وإنكلترا وأستراليا) فالأصل فيه الجواز، ما لم نعلم يقيناً أنه مأخوذ من حيوان موقوذ؛ أي مقتول بالضرب على رأسه، ومثله المصعوق بالكهرباء.

٥- ونحن -أصلاً- لسنا مكلفين بالسؤال والبحث، فلا نسأل البائع كلما اشترينا لحماً عن مصدره وطريقة الذبح، بل نحمل الأمر على الأصل في الحكم وهو الجواز. ولكن إذا سألنا فعلمنا (أو علمنا بغير سؤال) أن اللحم لحم حيوان موقوذ حرم علينا أن نأكل منه.

٦- ولا يُحتَج بقول من يقول: إن النصارى قد غيروا اليوم دينهم وخرجوا من نصرانيتهم؛ فالنصرانية التي أنزلها الله على عيسى ﷺ قد حُرِفت وبُدلت في وقت سابق لنزول القرآن، والقرآن -مع ذلك- أباحها: ﴿وطَعامُ الذينَ أوتوا الكِتابَ حِلٌّ لكُمْ﴾[1]. ولا يُحتج -كذلك- بقول القائل: إن الإلحاد والشيوعية والخروج من الدين ينتشر في تلك البلاد الآن؛ لأن الحكم على دين البلد يكون بدين أكثر أهلها، وأهل تلك البلاد أكثرهم على النصرانية، وإن كانت هي النصرانية المحرفة التي عابها القرآن.

٧- أما اللحم (المعلّب أو سواه) الوارد من البلدان الوثنية أو التي يكون معظم أهلها ملاحِدة لا يؤمنون بدين (ومثلها الدول الشيوعية) فإنه لا يحل أكله لأنه ليس من طعام أهل الكتاب.

* * *

---

[1] المائدة: ٥.

الذبح بواسطة الجنب [1]

سؤال غريب من جزّار يشكو جزّاراً آخر ارتكب ذنباً كبيراً فذبح الشاة وهو جنب وباعها للناس، وهو لا يدري ماذا يصنع الآن للذين اشتروا اللحم وأكلوه.

✿ والجواب باختصار:

١- الجنب لا يكون نجساً لا في يده ولا في جسده، ولكن الشرع أوجب عليه الاغتسال ليقف بين يدي الله.

٢- الذبح ليس كالعبادة فلا يُشترط له أن يكون الذابح على طهارة كما يشترط ذلك لمن يريد الصلاة.

* * *

الشرب بأواني غير المسلمين [2]

سؤال من طالب يدرس في بلاد غير المسلمين، قال: إذا أكل معهم قدموا إليه الشراب (أي الشراب غير المحرم) في الكؤوس التي يستعملونها في شرابهم المعتاد، فهل يجوز له الشرب فيها؟

✿ والجواب: نعم؛ يجوز. فقد نُقل في الحديث أن النبي ﷺ أجاب دعوة يهودي، وعمر بن الخطاب ؓ توضأ مرة من جرة نصراني.

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٩.

[2] أذيعت سنة ١٤٠٠.

٤- أما ذبائح أهل الكتاب التي يذبحها اليهود والنصارى فيجوز أكلها، ونذكر اسم الله عليها عند الأكل. فاللحم الذي يأتينا اليوم محفوظاً في العلب ننظر فيه؛ فإن كان وارداً من بلدان نصرانية (مثل فرنسا وإنكلترا وأستراليا) فالأصل فيه الجواز، ما لم نعلم يقيناً أنه مأخوذ من حيوان موقوذ؛ أي مقتول بالضرب على رأسه، ومثله المصعوق بالكهرباء.

٥- ونحن -أصلاً- لسنا مكلفين بالسؤال والبحث، فلا نسأل البائع كلما اشترينا لحماً عن مصدره وطريقة الذبح، بل نحمل الأمر على الأصل في الحكم وهو الجواز. ولكن إذا سألنا فعلمنا (أو علمنا بغير سؤال) أن اللحم لحم حيوان موقوذ حرم علينا أن نأكل منه.

٦- ولا يُحتَج بقول من يقول: إن النصارى قد غيروا اليوم دينهم وخرجوا من نصرانيتهم؛ فالنصرانية التي أنزلها الله على عيسى عليه السلام قد حُرفت وبُدلت في وقت سابق لنزول القرآن، والقرآن -مع ذلك- أباحها: ﴿وطَعامُ الذينَ أوتوا الكِتابَ حِلٌّ لكُمْ﴾[1]. ولا يُحتج -كذلك- بقول القائل: إن الإلحاد والشيوعية والخروج من الدين ينتشر في تلك البلاد الآن؛ لأن الحكم على دين البلد يكون بدين أكثر أهلها، وأهل تلك البلاد أكثرهم على النصرانية، وإن كانت هي النصرانية المحرفة التي عابها القرآن.

٧- أما اللحم (المعلّب أو سواه) الوارد من البلدان الوثنية أو التي يكون معظم أهلها ملاحدة لا يؤمنون بدين (ومثلها الدول الشيوعية) فإنه لا يحل أكله لأنه ليس من طعام أهل الكتاب.

* * *

[1] المائدة: ٥.

الذبح بواسطة الجنب [1]

سؤال غريب من جزّار يشكو جزّاراً آخر ارتكب ذنباً كبيراً فذبح الشاة وهو جنب وباعها للناس، وهو لا يدري ماذا يصنع الآن للذين اشتروا اللحم وأكلوه.

✿ والجواب باختصار:

١- الجنب لا يكون نجساً لا في يده ولا في جسده، ولكن الشرع أوجب عليه الاغتسال ليقف بين يدي الله.

٢- الذبح ليس كالعبادة فلا يُشترط له أن يكون الذابح على طهارة كما يشترط ذلك لمن يريد الصلاة.

* * *

الشرب بأواني غير المسلمين [2]

سؤال من طالب يدرس في بلاد غير المسلمين، قال: إذا أكل معهم قدموا إليه الشراب (أي الشراب غير المحرم) في الكؤوس التي يستعملونها في شرابهم المعتاد، فهل يجوز له الشرب فيها؟

✿ والجواب: نعم؛ يجوز. فقد نُقل في الحديث أن النبي ﷺ أجاب دعوة يهودي، وعمر بن الخطاب ﷺ توضأ مرة من جرة نصراني.

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٩.

[2] أذيعت سنة ١٤٠٠.

المطلوب من المسلم أن يعرف الحرام فيقف عند حدوده، أما ما كان حلالاً فما ينبغي التشدد فيه. الحرام لا يراعى فيه أحد ولا يُستحيى فيه من أحد من الناس، فإذا علمت أمراً حرمه الشرع فلا تقل إني أخجل من الناس أن أجتنبه؛ فمثلاً إذا دُعيت إلى وليمة فوجدت على المائدة الشراب المحرم لم يجُز لك القعود، سواء كان ذلك في بلاد المسلمين أو في أوربا أو أميركا.

ومثله القيام بما هو واجب، لا ينبغي أن يخجل منه المسلم؛ فإذا سافرت إلى تلك البلاد واضطررت إلى الصلاة أمام الناس فلا تمتنع عنها خجلاً منهم، فالقوم هناك قد يستغربون هذا الأمر ولكنهم إذا عرفوا أنك في عبادة احترموك، وقد وقع لنا هذا مراراً لما كنا في ألمانيا من سنين فكنا نقيم الصلاة في بعض الحدائق أحياناً فيعجب الناس منا ويتساءلون أي شيء نصنع، ثم يزول العجب ويحترموننا حين يعلمون أننا في صلاة. على أن المسلم لا ينظر إلى احترام أحد ولا إلى احتقار أحد من الناس، بل هو يصلي ويقوم بالواجبات أو يمتنع عن المحرمات إرضاء لرب الناس.

* * *



(٢٢)

الأنبياء والأعلام

الرسل بعد نوح أم قبله؟ [1]

طالبة من مكة تسأل عن الرسل الذين أشار الله إليهم في القرآن: ﴿ولَقَدْ أرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِك، مِنهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عليكَ ومِنهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عليك﴾[2]. هل جاؤوا بعد نوح أم بعد آدم عليهما السلام؟

⚙ آدم عليه السلام كان نبياً، ولكن هل بُعث برسالة وبشريعة ليبلِّغها إلى الناس كما أُرسل الرسل من بعده؟ في هذه المسألة خلاف، ولكن الظاهر أنه كان يوحى إليه فقط ولم يُؤمَر بالتبليغ، فهو -بالاصطلاح- يغلب أن يكون نبياً لا رسولاً. والأدلّة كثيرةٌ على أن نوحاً عليه السلام هو أول الرسل، فيلزم من ذلك أن يكون الرسل الذين أرسلهم الله ﷻ وأشار إليهم في الآية قد أرسلوا بعده. والله أعلم.

* * *

ابن الجوزي وابن قيم الجوزية [3]

سؤال عن ابن الجوزي، هل هو نفسه ابن قيم الجوزية؟

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٩.

[2] غافر: ٧٨.

[3] أذيعت سنة ١٤٠٢.

✿ أحد كثيرين يخلطون بين ابن قيم الجوزية وبين ابن الجوزي. وكلاهما حنبلي، ولكن ابن الجوزي بغدادي وهذا شامي.

وقد كان ابن الجوزي من أشهر وعّاظ الملة الإسلامية. وكان له ابن اسمه محيي الدين اشتغل بالحسبة والأوقاف، ثم سكن دمشق بعد موت أبيه وبنى فيها مدرسة سمّاها المدرسة الجوزية. أما ابن القيم فاسمه محمد ابن أبي بكر، وكان أبوه قيّماً على هذه المدرسة فنُسب إليها فيُدعى ابن قيم الجوزية أو ابن القيم.

فابن الجوزي عراقي غلب عليه التأليف في التاريخ والحديث، وابن القيم شامي وهو فقيه سلفي، ويكاد يكون التلميذ الخاص لشيخ الإسلام ابن تيمية. وبينهما نحو من ستين سنة.

* * *

قبور ابن تيميّه والأئمة الأربعة

سؤال يقول إنني أذكر ابن تيميّه كثيراً، فاين دُفن؟ وأين -بالمناسبة- قبور الأئمة الأربعة؟

✿ الذي يذهب إلى الشام فيزور مستشفى كلية الطب يجد في وسط البناء حديقة وفي وسط الحديقة قبرين. أحد هذين القبرين هو قبر الإمام ابن تيميّه، أما الآخر فاختلفت فيه الأقوال، وإن كان الأغلب أنه قبر أخيه الذي دُفن بعده بجواره.

وهذه الحديقة كانت -في الماضي- مقبرة وكانت تُسمى مقبرة الصوفية، ولم تكن جزءاً من المدينة كما هي الآن لأن دمشق كانت ضمن

الأسوار في تلك الأيام فكانت المقبرة تقع بعيداً عنها خارج أسوارها.

أما أبو حنيفة فقبره في المسجد المُسمّى باسمه في الأعظمية التي كانت -لمّا كنا ندرّس هناك[1]- بلدة قريبة من بغداد فصارت الآن حياً من أحيائها، وهو أشهر من أن يُعرَف.

وقبر أحمد بن حنبل معروفٌ أيضا ببغداد.

ومالكٌ قبره بالبقيع في المدينة المنورة.

والشافعي قبره في مصر بالقرافة، وقد بُني عليه مسجد وهو معروف مشهور، وإن كان الشرع يمنع بناء المساجد على القبور.

* * *

هارون الرشيد[2]

جماعة اختلفوا في هارون الرشيد، فمنهم من أخذ صورته من قصص «ألف ليلة وليلة» وأساطيرها، ومنهم من اعتمد في ذلك على كتب التاريخ. فجاؤوني سائلين أن أحسم الخلاف بينهم.

✿ والجواب أن هارون الرشيد وغيره من الخلفاء ليسوا معصومين. العصمة للأنبياء فقط، والخلفاء بشر تقع منهم زلات، لكن كما قال الشاعر: «كفى المرءَ نبلاً أن تُعدّ معايبُه».

فهارون الرشيد إذا قسناه بمقاييس العظمة التي يُقاس بها عظماء الرجال

---

[1] نحو سنة ١٣٥٧ هـ.

[2] أذيعت سنة ١٣٩٨.

يأتي في الطبقة الأولى بلا شك. بمقاييس العظمة البشرية هو من أعظم الحكام حقيقةً؛ مقدرة وفهماً ونشاطاً وقياماً بأعباء المنصب الضخم، منصب الخلافة. والناس غالوا فيه من الجهتين، فمن ناحيةٍ ما نُسب إليه مما في قصص «ألف ليلة وليلة» وأمثالها، ومن ناحية أخرى نزّهه البعض عن كل نقيصة، كما فعل ابن خلدون الذي ذهب في الدفاع عنه إلى حد نفي أنه كانت له تسلية أو أنه سمع الغناء قط، واحتج بأنه كان يصلي في اليوم والليلة مئة ركعة. ورأيي أن المرء يمكن أن يصلي مئة ركعة وتقع منه بعض الزلات الهينة، والله ﷻ قال عن مثل هؤلاء إنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

لقد كان هارون من أعظم الخلفاء، وقد حكم أكثر المتمدن من الأرض في عصره. كان يحكم ما بين المغرب الأقصى وأطراف الصين، وهو الذي رأى يوماً سحابة فقال لها: "أمطري حيث شئت؛ فسوف يأتيني خراجك". أما ما يُنسب إليه في «ألف ليلة وليلة» وأمثالها فصورة مكذوبة غير صحيحة.

وأقول -بالمناسبة- إن لبعض الناس شخصية تاريخية وشخصية أسطورية؛ شخصية هارون في التاريخ غيرها في «ألف ليلة وليلة» وقصصه مع أبي نواس فيها كلها كذب. وعنترة القصة غير عنترة التاريخ، فقد شوه الأدبُ التاريخَ في سيرته. وكافور وسيف الدولة، المتنبي شوّه التاريخ بشعره فجعل سيف الدولة في الذروة وكافوراً في الحضيض، مع أن كافوراً كان من أعدل وأصلح الحكام وسيف الدولة كانت سيرته سيرة الظلم والقهر والبغي (على أن فتوحاته وقتالَه الرومَ مما لا يُنكَر). وقراقوش الذي يُضرب المثل بفساد حكمه في أمثال العوام فيقولون: «حكم قراقوش» ظلمته الأساطير. هذا كان مهندساً عسكرياً عظيماً ومن أخلص العاملين مع صلاح الدين الأيوبي، وهو الذي بنى القلعة في القاهرة وبنى سور عكا، وكان غاية في الأمانة. لمّا

سلّمه صلاح الدين الإشراف على تصفية قصور الفاطميين (وهم العبيديون الذين يُسمَّون بالفاطميين كذباً) كان في قصورهم من الجواهر والتحف ما لو أخذ قبضة منه لاغتنى هو وأولاده إلى عشرة بطون، فما مدّ إليها يداً. والذي شوّه صورته في التاريخ كاتبٌ من كُتّاب صلاح الدين كان نصرانياً وأسلم، واختلف معه فلفق عليه حكايات وصنع كتاباً صغيراً سماه «الفافوش في أحكام قراقوش» ونشره بين الناس.

إذن توجد لبعض الناسِ شخصيات تاريخية وأخرى أسطورية، والغريب دائماً أن الشخصية التاريخية تُنسى وتبقى الشخصية الأسطورية.

* * *





(٢٣)

أسئلة عن كتب

إحياء علوم الدين [1]

سؤال من عدد من الشبان يقولون فيه إنهم اتفقوا على قراءة كتاب الغزالي «إحياء علوم الدين»، ويسألني عن هذا الكتاب وعن الغزالي.

✿ والجواب:

الغزالي إمام مشهور بلا شك، وكتاب «الإحياء» من أشهر الكتب التي يتداولها الناس. وهذا الكتاب له محاسن وعليه انتقادات، ولا تعجبوا إن قلت هذا، مع اعترافي بأن الغزالي يكاد يكون من أكبر المفكرين في الإسلام. إنه مفكر عظيم ذو مقدرة عجيبة على تبسيط أعقد المسائل العلمية (وأنا أستعمل تعبير «التبسيط» هنا على ما ألِفَه الناس بمعنى التيسير والتسهيل، أما معناه الأصلي في اللغة فهو التوسعة، والبسيط هو الواسع).

وفي حياة الغزالي طوران؛ أولهما حين كان أكبر أستاذ في أكبر جامعة في الدنيا يومئذ؛ المدرسة النظامية التي أسسها نظام الملك في بغداد. والثاني حين ترك العلم واشتغل بالتصوف واعتزل الناس والتدريس، حتى جاء إلى الشام فأقام في غرفة صغيرة تحت منارة الجامع الأموي لا يعرفه أحد، وراح يشتغل في تنظيف المراحيض وتنظيف المدرسة يريد أن يقهر نفسه

---

[1] أذيعت سنة ١٤٠٤.

على طريقة الصوفية. حتى كان يومٌ جاء فيه رجل عامي إلى العلماء في الجامع يسألهم مسألة فعجزوا عن الجواب، والغزالي يسمع، فلما انصرف الرجل دعاه فخلا به وأعطاه الجواب على مسألته. فعاد الرجل إلى العلماء فعرض عليهم الجواب فعجبوا، فما زالوا بالرجل حتى دلهم على الغزالي، ثم ما زالوا به حتى عرفوا أنه «الغزالي». فلما رأى أنهم قد عرفوه هرب في الليل.

ذلك هو الغزالي، أما كتابه «الإحياء» فهو كتاب عظيم حقيقةً وفيه مزايا كثيرة، وهو يؤثّر في قارئه تأثيراً قوياً، ولكنْ ليس كل ما فيه صحيحاً مسلّماً به. والغريب أن الغزالي قد ألفه في زمن الحروب الصليبية وأيام التتار؛ أي في الوقت الذي هاجم فيه المسلمين أكبرُ عدو واجههم عدداً وعدة: الصليبيون من الغرب والتتار من الشرق. فلو أن كل واحد من المسلمين أخذ برأي الغزالي في التصوف فقلل من طعامه حتى صار مريضاً ووجد زاوية من الزوايا فقعد فيها واعتزل الناس لكان قُضي على عالم الإسلام ولم تقم له قائمة من بعد.

* * *

أقدم كتب الفقه [1]

ما هي أقدم الكتب الموجودة بين أيدينا الآن في الفقه؟

✿ والجواب:

من أقدم الكتب التي توجد بين أيدينا من كتب الفقه كتاب «الموطأ» للإمام مالك، ومنها «الكتب الستة» التي ألّفها الإمام محمد صاحب أبي حنيفة،

[1] أذيعت سنة ١٤٠٠.

وكتاب «الأموال» لأبي عبيد القاسم بن سلام، وكتاب «الخراج» لأبي يوسف.

وأقدم من هذه كتاب «المجموع» للإمام زيد إمام الزيدية، وهو زيد ابن علي بن الحسن بن أبي طالب ﷺ، هذا ما ينقله أبو خالد الواسطي، فإن صحت روايته فهذا الكتاب هو أقدم كتب الفقه. وهو مشروح في كتاب فقه جليل عظيم اسمه «الدر النظير».

* * *

«الأذكار» للنووي [1]

هذا اقتراح بأن تُجمع بعض الأدعية المأثورة وتُطبع في كتيّب صغير يُوزع على الناس في المساجد.

✿ الاقتراح جيد جداً وفي تحقيقه منفعة وفائدة. وأنا أدلّ صاحب هذا الاقتراح ومَن أراد أن يستفيد من القراء على كتاب عظيم جمع الأدعية المأثورة كلها وهو: «الأذكار» للإمام النووي، وهو يغني عن جمع أي كتاب آخر.

والنووي إمام في الفقه والحديث مُجمَعٌ على إمامته وفضله، ومَن أراد الوقوف على سيرته فلي عنه رسالة من سلسلة «أعلام التاريخ» فليرجع إليها. وهو قدوة في نزاهته وزهده وخلقه؛ لم يجلس في داره ويعتزل الناس كما يصنع الزهاد المغفلون، بل شارك في الحياة العامة وله أثر في الإصلاح وفي الجهاد.

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٩.

وقد كان ينهى عن البناء على القبور ويبيّن كراهة ذلك، فلما مات دفنوه في قرية نوى بحوران وأقاموا على قبره قبة فسقطت، فأعادوا بناءها فانهدمت، وبنوها مرة ثالثة فانهدمت كذلك، فعُدَّت له من الكرامات.

* * *

قاموس للأحاديث [1]

سؤال من طالب علم يقول: هل يوجد قاموس للأحاديث؟

✪ والجواب:

توجد للأحاديث كتب كثيرة مرتبة على حروف المعجم، أشهرها وأيسرها كتاب «الجامع الصغير» للسيوطي، وهو كتاب متوفر في الأسواق له طبعات كثيرة، وقد رتب السيوطي فيه الأحاديث حسب أول حرف في أول كلمة فيها، فما كان أوله همزة يأتي قبل ما أوله باء، وهكذا. ويجب أن نعرف الكلمة الأولى من الحديث حتى نراجع فيه. وهو يبين -غالباً- درجة الحديث ويذكر مَن رواه ومَن أخرجه، وليس كل ما فيه من الصحيح المقطوع بصحته بالطبع.

وللسيوطي كتاب آخر أكبر منه اسمه «الجامع الكبير» ولكنه لم يُطبع [2]، وقد طُبع كتاب يشبهه هو «منتخب كنز العمال».

أما أوسع وأكبر معجم للحديث فهو الذي صنعه المستشرقون، وهو

---

[1] أذيعت سنة ١٤٠١.

[2] وقد طبع هذا الكتاب بعد إذاعة الفتوى السابقة بأكثر من عشر سنين، وهو الآن بأيدي الناس، وأحسبه يقع في نحو عشرين مجلداً.

«المعجم المفهرس لألفاظ الحديث». والمستشرقون يدسّون في كتبهم عن الإسلام ويعملون لخدمة الغايات الاستعمارية والتبشيرية؛ أكثرهم إن لم يكن كلهم، لكنْ لا ينطبق هذا على عمل معجمي كهذا العمل. لقد قاموا فيه بجهد عظيم حقيقةً وخدموا به الإسلام، فقد اختاروا مجموعة كبيرة من كتب الحديث[1] ورتبوا كلماتها ترتيباً معجمياً على الحروف، بحيث يمكن لمن عرف كلمة واحدة من الحديث أن يصل إليه ويعرف مَن رواه ومَن أخرجه والموضع الذي يوجد فيه.

* * *

كتب مفيدة

سائل يطلب مني أن أدلّه على تفسير سهل مختصر وكتاب جامع للأحاديث الصحيحة وكتاب مختصر في الفقه الحنفي.

✪ أما التفسير المختصر السهل فهو «التسهيل» لابن جُزَي، أو المصحف المفسر لفريد وجدي.

وأما الكتاب الجامع للأحاديث الصحيحة فهو «رياض الصالحين» للنووي.

أما الكتاب المختصر في المذهب الحنفي فهو «الهدية العلائية» للسيد علاء الدين بن عابدين.

* * *

---

[1] وهي تسعة كتب: صحيحا البخاري ومسلم، وموطأ مالك، وسنن الترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجة، ومسند أحمد، ومسند الدارمي.

كتاب في أحكام الإسلام وآدابه

يسألني كثيرون عن كتاب جامع يبين لهم أحكام الإسلام وآدابه مجملة.

✿ والجواب: أن من أحسن الكتب في هذا الباب كتاب «موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين» للشيخ جمال الدين القاسمي، أو المختصر الآخر للإحياء وهو «مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة المقدسي. ومن الكتب المفيدة أيضاً «صيدالخاطر» لابن الجوزي.

* * *

كتاب «نهج البلاغة»[1]

سؤال عن كتاب «نهج البلاغة»، هل هو حقاً من كلام علي بن أبي طالب ﷺ؟

✿ والجواب أن الناقد يستطيع أن يحكم بأن هذا الكتاب ليس من كلام علي ﷺ من أسلوبه الذي يشابه أساليب المنشئين في العصر العباسي؛ لا أسلوب البيان العربي الأصيل الذي كان في عهد الراشدين، فهذا موجز بعيد عن التكلف وعن بسط العبارة وتحميلها أثقالاً من الازدواج والسجع والصناعة، والأسلوبُ العباسي موصوف بهذا كله.

ومن قرأ خطبة لعلي مما رواه له ثقاة الرواة وقرأ الخطبة نفسها في «نهج البلاغة» بدا له الفرق. وفي «نهج البلاغة» ألفاظ ومفردات لم تكن

---

[1] من الأجوبة التي وجدتها بخط الشيخ رحمه الله.

مستعملة قط أيام علي، وفيه كلام عن أبي بكر وعمر يخالف ما ثبت عنه من توقيرهما وتعظيمهما وتقديمهما ومبايعتهما بالخلافة راضياً مختاراً.

ولا يغترّ بتقريظ الشيخ محمد عبده؛ فالشيخ لم يكن معصوماً.

أما شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي فهو طافح بالموضوعات وبالأكاذيب. وابن أبي الحديد لا يوثَق به ولا يُنقَل عنه، وهو ليس بالثقة ولا بالرجل الصالح.

* * *

سؤال عن كتاب

سائل يسألني عن رأيي في قراءة رسائل إخوان الصفا.

✿ والجواب أن «رسائل إخوان الصفا» إسماعيلية باطنية إلحادية، ولا أرى لك -يا أيها السائل- قراءتها.

* * *

(٢٤)

أسئلة لغوية



تصحيحات لغوية

✿ من الأخطاء الشائعة قولهم: جاء لوحده، والصواب: جاء وحده.

و«مشائخ» والصواب: «مشايخ» لأن الياء فيها أصلية لا زائدة.

ومفرد العقاقير «عقّار» (بفتح العين وتشديد القاف)، أما عَقَار بتخفيفها فهو البيت أو الدكان.

ومن الخطأ قولهم: «تجرُبة» (بضم الراء) وهي «تجرِبة» بكسرها، مثل: تهنِئة وتعزِية وتكرِمة.

ومن الخطأ تأنيث المستشفى وهو مذكر (نقول: هذا المستشفى لا هذه المستشفى). أما الرأس فمذكر، (والعرب «لا يؤنثون الرأس ولا يرئّسون الأنثى»).

* * *

المثنى والجمع

✿ إلى الطالب (س. ل): في العربية أيضاً يعبر عن الاثنين بصيغة الجمع. قال تعالى: ﴿وداوُدَ وسُلَيْمانَ إذْ يَحْكُمانِ في الحَرْثِ... وكُنّا

لحُكمِهِمْ شاهِدِينْ﴾[1]، وقال: ﴿هذَانِ خَصْمَانِ اختَصَمُوا في رَبِّهِمْ﴾[2].

* * *

السنة والعام [3]

سؤال لغوي عن الفرق بين السنة وبين العام.

✿ والجواب أنهما كلمتان مترادفتان. ولكن أعطيكم هنا فائدة يستفيد منها طلبة العلم.

كل لغة فيها مترادف ومشترك. فالمشترك من الألفاظ ما كان منها يدل على معنيين؛ مثل كلمة "النكاح"، تدل على الزواج الفعلي وعلى العقد. أما المترادف فما يدل على المعنى الواحد من الألفاظ المتعددة. لكن في اللغة مسألة دقيقة تنبه لها إمام عظيم من أئمة اللغة في القرن الرابع هو أحمد ابن فارس، صاحب الكتاب العظيم «الصاحبي»، وهو يقول إن اللغة العربية لا توجد فيها كلمتان تؤديان معنى واحداً. السيف -مثلاً- له أسماء كثيرة في المعاجم، لكن الاسم واحد هو «السيف» والبقية صفات؛ فالحسام هو السيف الطويل، والمهنّد هو السيف الذي جاء من الهند أو هو السيف القوي، إلخ. وهو أمر وضّحه أبو هلال العسكري في كتابه «الفروق» وجاء عليه بأمثلة؛ كقولنا «قعد» و«جلس»، فقال إن القعودَ يكون من وقوفٍ والجلوسَ من اضطجاع، فإن قلنا إن فلاناً قعد لفُهِم أنه كان قبل ذلك واقفاً، وإن قلنا إنه جلس فقد كان مستلقياً.

---

[1] الأنبياء: ٧٨.

[2] الحج: ١٩.

[3] أذيعت سنة ١٤٠٠.

والعام والسنة كذلك؛ فهما لفظتان مترادفتان ولكن بينهما فرقاً. وقد قيل إن العام يطلق على السنة الشمسية والسنة على القمرية، ولكن أصح فرق قيل بينهما أن «العام» يُطلق –غالباً– على سنة الخير، و«السنة» على سنة القحط. وفي القرآن في قصة يوسف ﷺ: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ... ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾[1].

* * *

كلمة «إنسانة» [2]

سائل يقول إنه يقرأ في بعض الكتب ويسمع في الإذاعات كلمة «إنسانة»، فهل هي كلمة صحيحة؟

✿ والجواب أن هذه الكلمة قد وردت في شعرٍ للمتنبي، في قوله في بعض قصائده: «لإنسانة في الحي شيمتها الغدر»، ولكني ما سمعتها في شعر مَن يُحتج بعربيته.

* * *

الطريق مذكر أو مؤنث [3]

سؤال عن «الطريق»، أهو مذكر أم مؤنث؟

✿ والجواب أن «الطريق» و«السبيل» يُذكّران ويُؤنّثان، وهما بمعنى

---

[1] يوسف: ٤٨-٤٩.

[2] أذيعت سنة ١٣٩٥.

[3] أذيعت سنة ١٤٠١

واحد. ولعل التذكير للطريق أفصح. أما السبيل فيستوي فيها التذكير والتأنيث، وفي القرآن: ﴿وإن يَرَوْا سَبيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذوهُ سَبيلاً﴾[1] فهنا جاءت مُذكّرة، و﴿قُلْ هَذِهِ سَبيلي﴾[2] فهنا جاءت مؤنثة.

* * *



[1] الأعراف: ١٤٦.

[2] يوسف: ١٠٨.



(٢٥)

موضوعات متفرقة

استعمال رخص السفر [1]

سؤال عن مدة استعمال رخص السفر، وهل هي مرتبطة بقدر المشقة التي تصيب المسافر؟

✿ والجواب أن مدة استعمال رخص السفر هي مدة السفر، إلا إذا نوى الإقامة في بلد واحد فوق أربعة أيام. هذا ما يوافق أقوال العلماء جميعاً، ومنهم من أوصلها إلى خمسة عشر يوماً.

أما إذا نزل المسافر بلداً ولا يدري متى يخرج منه، كأن يكون أمره بيد غيره (كالجندي في الجيش مثلاً)، فإنه يكون بحكم المسافر مهما أقام في هذا البلد.

والرخصة للمسافر إنما شرعت -في الأصل- للمشقة، ولكن المشقة لا يمكن أن يكون لها مقياس إلا شعور الإنسان نفسه، والأحكام إنما تستند إلى مقاييس ظاهرة؛ لذلك اعتُبر السفر نفسه هو سبب الرخصة ولو خلا من المشقات.

* * *

---

[1] من الفتاوى التي وجدتها بخط الشيخ رحمه الله.

رهبانية أتباع عيسى عليه السلام[1]

وصف الله في القرآن أتباع عيسى عليه السلام بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[2]. والسؤال: كيف يكونون قد ابتدعوها مع كون الله -عز وجل- هو الذي كتبها عليهم؟

✿ والجواب:

١- الإعراب النحوي يتوقف على المعنى الإجمالي، والمعنى التفصيلي يتوقف على الإعراب. فلكي نعرب كلمة في جملة لا بد لنا من فهم المعنى الإجمالي لهذه الجملة، ثم نفهم من إعرابها معناها التفصيلي.

٢- للوهلة الأولى تبدو كلمة «رهبانية» في الآية وكأنها معطوفة على ما قبلها فتصبح مثل «رحمة» و«رأفة»؛ بمعنى المفعول به للفعل «جعلنا». وهذا الفهم السريع هو الذي يقود إلى التباس المعنى.

٣- على أن «رهبانية» غير معطوفة -في الحقيقة- على ما قبلها، وإنما هي منصوبة على الاشتغال. ومعنى «الاشتغال» أن يتقدم اسمٌ ويتأخر عنه العامل، وعندئذ يُضمَر للاسم السابق إذا نُصب عاملٌ مناسب للعامل الظاهر. والعامل هنا هو الفعل «ابتدعوها»؛ فيكون التقدير: «ابتدعوا رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم».

٤- ولتأكيد هذا المعنى ذهب علماء الرسم إلى لزوم الوقف على

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٨.

[2] الحديد: ٢٧.

قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةً﴾ والابتداء من قوله تعالى: ﴿ورَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعوها﴾.

٥- فنفى الله ﷻ أن يكون قد ألزمهم بها أو كتبها عليهم، ووصف فعلهم لها وإتيانهم بها بأنه ابتداع فقال: ﴿ابتَدَعوها﴾؛ لأن من يبتدع شيئاً يأتي به من نفسه، ولو كتبها الله عليهم ما كانت بدعة.

٦- قوله: ﴿إلاّ ابْتِغَاءَ رِضْوانِ اللّه﴾ نوع من الاستثناء المنقطع؛ لأن المعنى الأصلي: ما ابتدعوها إلا رضوان الله؛ أي ما ابتدعوها إلا لأجل رضاء الله، ومع ذلك فما رعوها حق رعايتها.

٧- فمعنى الآية يكون على النحو التالي: الله جعل في قلوب الذين اتبعوا عيسى رأفة ورحمة، ثم هم قد ابتدعوا رهبانية ما كتبها الله عليهم ولم يبتدعوها للمعصية بل أرادوا بها رضوان الله، ولكنهم لم يرعوها حق رعايتها.

٨- وهذه الرأفة والرحمة جعلها الله في قلوب أتباعه الذين اتبعوا دينه الذي أنزله الله عليه، أما من يدّعي الآن أنه من أتباع المسيح عيسى بن مريم (وهو ليس له بمتبع) ففي قلبه وقلوب أمثاله قسوة وشدة وبأس على المسلمين شديد.

٩- وهذه الرهبانية هي التي أراد أن يعمل بها نفر من الصحابة حين عزم أحدهم على أن يصلي الليل كله فلا ينام، وعزم الثاني على أن يصوم الأيام جميعاً فلا يفطر، وعزم الثالث على أن يعتزل النساء فلا يتزوج أبداً، فقال لهم النبي ﷺ: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر وأصلّي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».[1]

* * *

[1] الحديث رواه أنس بن مالك وأخرجه البخاري (واللفظ له) ومسلم والنسائي وأحمد.

الاستهتار بالنعمة [1]

سؤال من موزع بريد يقول إنه يدخل كثيراً من الشوارع فيجد فيها نعم الله ملقاة مع القمامة، اللحم والرز والخضراوات والخبز، فلماذا لا نحفظ نعمة الله ونطبخ بالقدر المطلوب والذي يزيد عن أكل العائلة يُتصدَّق به؛ فما زال المساكين وأهل الحاجة موجودين؟ أم هل أخذنا على الله عهداً أن يديم نعمه علينا؟

✿ لقد أحسن صاحب هذه الرسالة ولم يدع لي مزيداً لقول.

إن الله يختبرنا بنوعين من الاختبار: النعم أو المصائب. فالامتحان بالنعم يكون النجاح فيه بالشكر عليها، وليس الشكر باللسان وحده؛ بل بالعمل أيضاً. فإن كان عدد أفراد أسرة من الأسر -مثلاً- خمسة أفراد، فلماذا يطبخون ما يكفي عشرة ثم يرمون ما يزيد من الرز واللحم وغيره في الطريق بهذا الشكل؟ الذي يعمل هذا العمل ثم يقول بلسانه ألف مرة: «الحمد لله» لا يكون شاكراً نعمةَ الله.

إن رمي الطعام حرام، والذين يفعلون هذا ليسوا إخوان الملائكة بل إخوان الشياطين. لا تظنوا أنني أسبهم؛ بل الله هو الذي يقول: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾[2]. فليطبخ كل واحد بمقدار الحاجة، وتذكروا أن في المسلمين فقراء ومحتاجين يشتهي الواحد منهم لقمة اللحم وغيرهم يرمي أكوام الطعام.

يا أيها المسلمون، اتقوا الله بالمحافظة على النعم، وإلا فإن الله يعاقب

---

[1] أذيع هذا الحديث سنة ١٣٩٥.

[2] الإسراء: ٢٧.

في الدنيا بسلبها، وعقابُه في الآخرة أشد وأخزى.

* * *

«الدبلة» الذهب للرجال [1]

سؤال عن لبس الدبلة من الذهب، هل هو حلال؟

✿ والجواب أن الحديث[2] يقول إن الذهب والحرير حرام على الرجال حلال للنساء، فلبس الرجل الذهب حرامٌ قطعاً بأيّ شكل كان.

وعادة وضع الخاتم في الإصبع عند الزواج عادة جديدة لم نكن نعرفها قديماً، وعندما تزوجت أنا (منذ نحو خمسين سنة) لم يكن الناس يستعملون الخاتم الذي يسمي اليوم «الدبلة»، وهذه كلمة عامية لا أدري من أين جاءت ولا أعلم لها أصلاً عربياً.

فإن كان لا بد من لبسها فلتكن من الفضة أو البلاتين، والبلاتين أغلى من الذهب ولكن المنع لا يشمله، بل المنع مقصور على الذهب من المعادن والحرير من الألبسة. فإذا كانت «الدبلة» من أي شيء آخر غير الذهب فهي ليست بحرام.

* * *

---

[1] أذيعت سنة ١٤٠٤.

[2] عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «حُرّم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأحل لإناثهم». أخرجه الترمذي وقال: "وفي الباب عن عمر وعلي وعقبة بن عامر وأنس وحذيفة وأم هانئ وعبد الله بن عمرو وعمران بن حصين وعبد الله بن الزبير وجابر وأبي ريحان وابن عمر والبراء وواثلة بن الأسقع". والأحاديث بهذا المعنى كثيرة متواترة أخرجها البخاري ومسلم وأحمد وأصحاب السنن جميعاً.

البيّنة على من ادّعى [1]

سؤال خلاصته أن القاعدة الفقهية تقول: «البيّنة على من ادّعى واليمين على من أنكر». ولكن توجد ظروف لا تمكن الشخص من الحصول على البينة ولا سيما الشهود، فما العمل؟

❁ والجواب:

١- الفقهاء المتأخرون ضيّقوا على أنفسهم فحصروا البينة بالشهادة فقط وبالإقرار، وجعلوا الإقرار سيد البينات.

٢- ولكن الإمام ابن القيم، وهو إمام كبير وعالم عظيم، بحث هذه المسألة بحثاً موسعاً في كتاب له اسمه: «الطرق الحكمية»، وقد بيّن في هذا البحث أن الإقرار (أو الاعتراف) ليس حجة قاطعة؛ لأن الإنسان قد يعترف بارتكاب شيء لم يرتكبه، إما خوفاً من التهديد والتعذيب أو للتستّر على آخرين. وهذا هو الذي يقول به اليوم الحقوقيون العصريون من غير المسلمين في أحدث النظرات (ولا أقول: النظريات) الحقوقية، ويحسبون أنهم أتوا بجديد.

وأنتم ترون تمثيليات وروايات تُعرض عليكم في الرائي يعترف فيها إنسان أحياناً بجرم لم يرتكبه ليحمي شخصاً آخر عزيزاً عليه أو قريباً إليه وليفديه بنفسه من العقاب.

٣- ولا يلزم للشهادة وجود شاهدين اثنين؛ إذ يقول الإمام ابن القيم أن المدعي إذا لم يجد غير شاهد واحد فإنه يُعتبر بيمينه فيكفيه الشاهد الواحد وحلف اليمين.

---

[1] أذيعت سنة ١٣٩٨.

٤- ولكن القرائن لا تُحصر بالشهادة والإقرار؛ لأن كل دليل مادي يمكن أن يكون قرينة معتبرة؛ فالبصمات صارت تعتبر -اليوم- من القرائن، لأن البشر الذين يعيشون على وجه الأرض جميعاً لا يوجد اثنان منهم ببصمات متشابهة، حتى إنني قرأت مرةً أن ضابطاً في شرطة سكوتلانديارد أسلم لمّا سمع قوله تعالى: ﴿بلى قَادرينَ على أنْ نُسَوِّيَ بَنَانَه﴾[1]، فلماذا استشهد الله ﷻ على قدرته بخلق البنان وليس بخلق العيون أو الآذان وهي تبدو -للوهلة الأولى- أدلُّ على القدرة والإعجاز؟

ومثل البصمات الشعر، فلو وجدوا في مكان حادثة من الحوادث شعرة أو بعض شعرة فإنها قد تدل على الفاعل. ومثلها سطح الجلد؛ فقد وجدوا -حديثاً- أنه لو أُخذت منه عينات دقيقة لم تشبه واحدةٌ من شخصٍ الأخرى من شخصٍ آخر. فهذه كلها تلحق بالقرائن وإن كان ليس على إطلاقها؛ فالقرائن القضائية يُستدل بها وإن لم تكن بينةً كاملة في كثير من الأحوال.

٥- فإذا لم يكن عند المدّعي شهود ولا بينة؟ عندئذ تكون اليمين على من أنكر. والفطرة التي فطر الله الناس عليها تجعلهم في خوف من حلف اليمين الكاذبة، وكثيرٌ من الناس ينصرفون عنها ولو كانوا غير متدينين، وأنا قد وجدت -خلال حياتي الطويلة- أن الذين يحلفون اليمين كذباً أمام القاضي يُبتلَون في الدنيا قبل الآخرة، وقرأت وسمعت عن ذلك وشاهدت الكثير.

فالإقدام على اليمين الكاذبة ليس بالأمر السهل، وحتى الذي يتجرأ على ذلك ويظن أنه نجا فإنه لم ينجُ، وهو لا يأمن أن يصاب في نفسه أو

---

[1] القيامة: ٤.

ماله أو ولده، وإن لم يُصَبْ بشيء في الحياة الدنيا فإن عقاب الله في الآخرة أشد وأبقى.

* * *

الاستخارة

سؤال عن مشروعية الاستخارة وكيفيتها.

✿ والجواب أن المؤمن يعمل ما يستطيع ويطلب العون عليه من الله، وما لا يستطيعه ولا يدخل في الأسباب المادية يطلبه من الله وحده، ومن هنا جاءت الاستخارة.

كيف تكون الاستخارة المشروعة (التي هي عبادة من العبادات وطاعة من الطاعات)؟

إذا عزم الإنسان على أمر يفكر فيه ويوازن بين محاسنه ومساوئه ويستشير العقلاء من أصدقائه وإخوانه، فإذا فرغ من هذا كله عمد إلى الاستخارة، فصلى ركعتين وتوجه إلى الله فقال: «اللهمّ إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علاّم الغيوب. اللهُمّ إن كنتَ تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي ومعاشي ومعادي فَيَسِّرْه لي وهوّنْه عليّ، وإن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ودنياي ومعاشي ومعادي فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضّني به».

أما الاستخارة بفتح المصحف وقراءة ما يخرج فيه، أو عدّ حبات المسبحة، أو أن ينام وينظر ما يرى في منامه (فإن رأى ماء أو زرعاً عدّ الأمر

خيراً وإن رأى حية أو شوكاً عدّه شراً) فهذا وأمثاله لا أصل له في الشرع.

* * *

الخيال موهبة أو اكتساب

هل الخيال موهبة أم اكتساب، وإذا كان كذلك فما هي أحسن الطرق لتنميته وتوسيعه؟

✿ السؤال واسع ومبهم، لكني أحاول أن أجيب عنه باختصار:

يقسم علماء النفس الخيال إلى نوعين: «خيال مُرجِع» و«خيال مُبدِع»، والخيال المُرجع هو الذي يستطيع به الإنسان أن يتصور شيئاً يعرفه مسبقاً؛ كأن يتصور وهو قاعد في بيته شكلَ الكعبة وحجمها ولونها لأنه رآها قبل ذلك عياناً في مكة أو في الرائي أو الصور. وهذا النوع من الخيال يشترك به الناس جميعاً، فمن فقده صار فاقداً للذاكرة، وفقدان الذاكرة مرض ينبغي أن يُداوى.

أما النوع الثاني من الخيال فهو الذي يتفاوت فيه الأدباء والشعراء وأصحاب الفن، وهو يأتي بصورة منتزَعة من الواقع ومقبولة في الجملة لكنها أرقى من الحقيقة وأعلى. ويحتاج هذا الخيال إلى شيء من الاستعداد النفسي وإلى كثير من المطالعات الأدبية، فهو موهبة من ناحية، وهو اكتساب من ناحية أخرى.

القصص كلها وسائر فنون الأدب فيها عنصر الخيال، فما الذي يجعلنا نقسمها إلى مذهب واقعي ومذهب رمزي ومذهب خيالي؟ صنعنا هذا اعتماداً على درجة الخيال في كل نوع من الأدب.

فمن الخيال ما يرتضيه الناس كلهم ويكون قريباً من الواقع، لكن خيالاً آخر يجنح ويبتعد عن الحقيقة حتى يصبح خيالاً كاملاً، فيكون -عندئذ- من المذهب الخيالي؛ مثل الكاتب الإنكليزي الذي كتب قصة تصور فيها أن الجاذبية الأرضية قد انعكس اتجاهها فصارت تجذب الأجسام إلى الأعلى بدلاً من جذبها إلى الأسفل، وأتى بعد ذلك بصور مضحكة عجيبة بناها على مخالفة أبسط المسلَّمات في الواقع.

* * *



المحتويات